جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

" أدب النّساء الصوفيّات في العصر العباسيّ دراسة موضوعية وفنّية "

" Sufi women's Literature of the Abbasid period Athematic, Artistic study "

إعداد :

محمد عايد صالح العكيدي

الرقم الجامعي :
١٣٢٠٣٠١٠١٨

إشراف:

الدكتور عبد الرحمن محمد الهويدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

الفصل الدراسي/ الأول
٢٠١٥-٢٠١٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا .

صدق الله العظيم

الأحزاب: ٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تفويض

أنا، **محمد عايد صالح جاسم** أفوّض جامعة آل البيت بتزويد نُسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإقرار

أنا محمد عايد صالح جاسم **الرقم الجامعي: ١٣٢٠٣٠١٠١٨**

التخصص: اللغة العربية وآدابها **كلية: الآداب والعلوم الإنسانية**

أقر بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه عندما قمت شخصيًا بإعداد رسالتي الموسومة بـ:

"أدب النّساء الصوفيّات في العصر العباسي، دراسة موضوعية وفنّية"

بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية ،وأقر كذلك بأن رسالتي هذه غير منقولة، أو مستله من رسائل، أو أطروحات، أو كتب، أو أبحاث، أو أي منشورات علمية تم نشرها، أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين بخلاف ذلك، بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها، وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: ..... التاريخ: / /٢٠١٦م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" أدب النّساء الصوفيّات في العصر العباسيّ دراسة موضوعية وفنّية "

" Sufi women's Literature of the Abbasid period Athematic, Artistic study "

إعداد :

محمد عايد صالح العكيدي

الرقم الجامعي :

إشراف:

الدكتور عبد الرحمن محمد الهويدي

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
د. عبد الرحمن محمد الهويدي (مشرفاً ورئيساً)	
د. مها عبد القادر المبيضين (عضوا)	
د.محمد موسى العبسي (عضوا)	
أ.د. حسين يوسف خريوش (عضوا/ خارجياً)	

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ ٢٠١٦/٠١/٠٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

إلى من قال فيهما الحق: ((وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)) (الإسراء:٢٤).

إلى والدتي العزيزة....أطال الله عمرها وأمدها بالتقوى والعافية .....

إلى والدي .... رحمه الله تعالى وغفر له، دائماً تمنّى هذه اللحظات.....

إلى من هُمْ سَندي ...إخوتي وأخواتي.....

إلى من صَبرت معي، تَحمّلت بُعد السُّبل، عن الأهل، وعاضدتني وساندتني..زوجي المخلصة الغالية.

إلى أولادي: مصطفى، عبد الرحمن، لُجين، وصَغيري بيان،....

إلى أشخاص في قلبي، فطوى فراق البعد بيني وبينهم.....

وخاتمة أولئك :

جدّي..... وإلى شيوخي .... أمدّهم الله من نُورِهِ، وسَقاهم من يدِ حَبيبه، نَبيّنا محمد (عليه الصلاة والسلام).

أُهدي هذا العمل المتواضع.

الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشكر والعرفان

لا يَسعني بعد التوكّل على الله وانجاز هذا البحث، إلا أن أتقدم بوافر الشّكر وعظيم العرفان من بعد شكر الله تعالى، إلى أُستاذي الفاضل
الدكتور عبد الرحمن محمد الهويدي

الذي تفضّل بالإشراف على هذه الدّراسة، وقدّم لي النّصح والإرشاد في فترة الإعداد فله مني كلّ الشُّكر والعرفان.

كما وأقدم شكري إلى الدكتور: أمين يوسف عودة، لما أعانني به.

ولا يفوتني أن اتقدم بجزيل الشّكر أيضا إلى أعضاء لجنة المناقشة كلٌ من :

١-الأستاذ الدكتور: حسين يوسف خريوش.

٢-الدكتور: محمد موسى العبسي .

٣-الدكتورة: مها عبد القادر مبيضين.

كما وأشكر أعضاء الهيئة التّدريسيّة في كلية الآداب؛ قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة آل البيت لما أبدوه من جهد أسهم في إثراء هذه الدّراسة.

وشكري لمن أعانني ولو بدعوة صاقة.

الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية	ب
تفويض	ج
الإقرار	د
قرار لجنة المناقشة	هـ
الإهداء	و
الشكر والعرفان	ز
فهرس المحتويات	ح
ملخص الدراسة بالعربية	ي
المقدمة	١-٢
التمهيد:	٣-١١
١- بين الزهد والتصوف	٣-٦
٢- مفهوم التصوف	٦-٧
٣- أوليات الأدب النّسوي الصوفي	٧-١١
الفصل الأول: مضامين الشعر النّسوي الصوفي	١٢
المبحث الأول: **المقامات**	١٢
- مفهوم المقام	١٢-١٣
١-مقام التوبة	١٤-١٧
٢- مقام الفقر	١٧-١٩
٣- مقام الزهد	١٩-٢١
٤- مقام الصبر	٢١-٢٥
٥- مقام التوكل	٢٥-٢٧
٦-مقام الرضا	٢٧-٣١
المبحث الثاني: **الأحوال**	٣٢
- مفهوم الحال	٣٢-٣٣
١- حال المحبة	٣٣-٣٦
٢- حال الرّجاء	٣٦-٣٨
٣- حال الشوق	٣٩-٤١
٤- حال الخوف	٤١-٤٣
٥- حال السّكر	٤٣-٤٤
٦- حال الغَيبة	٤٥-٤٦
٧- حال الأُنس	٤٦-٤٨
الفصل الثاني: أشكال النّثر النّسوي الصوفي ومضامينه	٥٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	الصفحة
١- العبارات	٥٠-٥٥
٢- الوصايا	٥٥-٥٧
٣- الــرؤى	٥٨-٦١
٤- الحكايات	٦١-٦٧
الفصل الثالث: أساليب الأدب النّسوي الصوفي وصوره	٦٨
خصائص اللغة الصوفية	٦٩
١- اللغة الدينية	٦٩-٧٣
لغة المصطلحات الصوفية ولغة الحب الصوفي	٧٣-٧٦
٢- لغة المصطلحات الصوفية	٧٦-٧٩
٣- لغة الحب الصوفي	٧٩-٨١
خصائص الصورة والإيقاع في الأدب النسوي الصوفي	٨١-٨٤
١- التشبيهات	٨٤-٨٦
٢- المجازات	٨٧-٨٩
٣- الاستعارات	٨٩-٩٢
٤- الكنايات	٩٢-٩٤
٥- التكرارات	٩٤-٩٥
٦- الإيقاع الشعري والإيقاع النثري	٩٦-١٠٣
الفصل الرابع : ملحق بنصوص الأدب النّسوي الصوفي	١٠٤
١- شعر النّساء الصوفيات	١٠٤-١٣٢
٢- نثر النّساء الصوفيات	١٣٣-١٨٢
الخاتمة	١٨٣
ثبت المصادر والمراجع	١٨٤-١٩٠
الملخص باللغة الإنجليزية	١٩١-١٩٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص

أدب النّساء الصّوفيّات في العصر العباسي، دراسة موضوعية وفنّية.

إعداد الطالب: محمد عايد صالح

إشراف الدكتور: عبد الرحمن الهويدي

تأتي هذه الدراسة محاولة لفهم الأدب الصوفي النّسوي في العصر العباسي، لبيان التّشكيل الموضوعي والفني لأدبهن، في مدى تأثير الوازع الديني في نفسياتهنّ، ومعرفة الأسباب التي جعلتهن، أكثر ارتباطاً بالزهد، بعيداً عن الدنيا ومتاعها. وتنطلق الدراسة في ذلك كلّه من خلال جمع أدبهن. مستعينا بالمصادر القديمة، مثل كتاب" صفة الصّفوة" لابن الجوزي، وكتاب "ذكر النّسوة المتعبّدات الصوفيات" لأبي عبد الرحمن السُّلَمي، فضلا عن العديد من المصادر التي تناولت التراث النّسوي الصوفي.

وتقع الدّراسة في أربعة فصول، يتناول الفصل الأول منها مضامين الشعر النّسوي الصوفي، وتناول الحديث عن المقامات والأحوال، في شعر النساء الصوفيّات، فضلا عن قيمتها القدسية في ذواتهن. بينما تناول الفصل الثاني، الحديث عن أشكال النثر النّسوي الصوفي ومضامينه، تنظيراً وتطبيقاً، والوقوف على ملامحها، ومضامينها، ودلالاتها، وأبعادها، والإلمام ببعض خصائص الآثار النثرية الصوفيّة.

والفصل الثالث، يحاول الباحث من خلاله، أن يبرز الخصائص الفنّية التي استخدمت، في أدب النّساء الصوفيات، وتقوم الدّراسة كذلك على التنظير والتطبيق، ومدى توظيف النّساء الصوفيّات لتلك الخصائص الفنية، بما يوحي بالعاطفة المسيطرة عليهن.

أما الفصل الرابع، فجمع فيه الباحث النّصوص التّطبيقية وسواها، من أشعار وأقوال، للنّساء الصوفيّات، في العصر العباسي.

الكلمات الدّالة: (أدب عباسي، نّساء الصوفيات، شعر نِسْوي، نثر نِسْوي).

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المقدمة :

الحمد لله المعبود بحق والصلاة والسلام على خير الأنام، ومصباح الظلام، سيدنا ونبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً .

وبعد :

فإن استكمال البحث في الأدب الصوفي يتطلب الوقوف على أدب النساء الصوفيات، ودراستهِ دراسة توازي تلك التي نالها أدب الرجال الصوفيين، لأن هناك عدداً غير قليل من النّساء الصوفيات اللواتي برزنَ إلى جانب الرجال، وكان لهنَّ الفضل الأكبر في هذا الأدب العفوي الذي يميل إلى السهولة والوضوح، و يغلب عليه طابع الحب الإلهي والزهد في الملذات، ويعبر عن أحوال التصوف ومقاماته، كالخوف والرجاء والأنس والتوكل والرضا والصبر وسواها. ومن تلك النساء العابدات، آمنة الرملية وثويبة بنت بُهلول وعائشة الدينَورية وأشهرهن رابعة العدوية، وغيرهن.

بعض هؤلاء النّسوة الصوفيات عشن بعيداً عن بيئة اللهو والإقبال على الدنيا وملذاتها، واتخذنَ طريق العبادة بقيام الليل وصيام النهار، متأثرات بأحوال المتعبدين والمحبين على اختلاف مشاربهم الروحية من خوف وطمع وحب وشوق. ونجد أنَّ بعضهن قد اتخذن من مجالس الوعظ مقاماً لهنَّ، فضلا عن اتصالهنّ بكبار زهاد عصرهنّ، وهذا دليلٌ على أنّ بعضهنّ كان لهنّ شأن ليس بالهين، وبسبب هذه المجالس وتلك اللقاءات حَفظَ الناس ما كان يصدر عنهن من مقولات وأشعار، وتناقلوها لمّا رأوا وأحسوا بقيمتها من خلال تأثرهم بها ورغبتهم وسعيهم للوصول إلى مثل حالاتهن، مما ساعد على إيصال تراثهن الأدبي الصوفي إلينا.

إنّ أهمية هذا الموضوع تكمن في كونه لم تُخصَّص له دراسة مستقلّة؛ ذلك أن أغلب الدارسين وجَّهوا عنايتهم إلى دراسة الشعر الصوفي الذي خلّفه الصوفيون، ولا توجد دراسة موسَّعة خاصَّة بتراث النساء الصوفيات، إلا دراسة يتيمة و بعنوان" الحب الإلهي ولوازمه في شعر النّساء الصوفيّات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النّسوي الصوفي" لأمين يوسف عودة، تناولت بعض المقطوعات الشعرية لرابعة العدوية وغيرها.

ويقتضي البحث في هذا الموضوع أن يتمَّ جمع ما يمكن من أشعار النّساء الصوفيات، وأقوالهن، وتصنيفها قبل البدء بدراستها، ولا سيما التي قيلت وأسندت إلى كبار النّساء العابدات الزاهدات الصّوفيّات، إلى جانب بعض النّصوص الأدبية لنساء عابدات مجهولات الأسماء، فمن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنظور الواقع، هو استحالة الإحاطة بكل تلك الأقوال، إلا أن ما تم جمعه يمكن أن يكون لبنة في صرح التراث الصوفي، وخطوة في الاتجاه الصحيح، لإثبات النّصوص الشعرية والنثرية.

إنّ النّساء الصّوفيات كان لهن ثقل في إثراء المجتمع بإبداعاتهن، ولا ننسى الفضل، لمن نقل هذا الخزين الأدبيّ الكامن في نفوس صفوة من العابدات النّاسكات.

وقد ارتأيت أن توزَّع الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة. خصص الفصل الأول لمضامين الشعر الصوفي النّسوي، وعُنِي الفصل الثاني بأشكال النثر الصوفي النّسوي ومضامينه، وجاء الفصل الثالث لدراسة لغة الأدب الصوفي النّسوي وصوره وإيقاعاته. وأخيرًا اهتمَّ الفصل الرابع بإثبات مجموع النّصوص الشعرية والنثرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد:

١ _ بين الزهد والتصوف :

يرى غير قليل من الباحثين، أن الزهد مرحلة انتقالية أدت إلى ظهور التصوف في القرن الثالث الهجري، ومنهم ابن الجوزي، الذي فرّق بين الزهد والتصوف حيث يقول: "الصوفية من جملة الزهاد...إلا أنّ الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال، وتوسّموا بسمات، فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي"[١]. حيث يتدرج ابن الجوزي في الوصول إلى نشأة التصوف مروراً بالزهد.

وينطلق فيصل بدير من فكرة أنّ التصوف وليد الزهد يقول:"إنّ الزهد هو الأب الشرعي للتصوف، فقبل نشأة التصوف مرّ بمراحل متعددة قبل أن ينمو ويزدهر، ذلك أن أي متصوف قبل دخوله هذا الاتجاه أو الظاهرة كان في البداية زاهدا، ثم حدث أن أخذ التصوف قواعده وأصوله وأهدافه ومصطلحاته...فالزهد هو المعرفة الضرورية التي لا بد منها لقيام التصوف، خاصة وأن موضوع الزهد لم يلق اختلافا بين الصوفية، وإنما كان اختلافهم حول الموضوعات التي ينبغي أن يزهد فيها، كاختلافهم حول موضوع الزهد في أمور الحلال"[٢].

ويرى محمد عبد المنعم خفاجي: "أن الزهد هو أول حركات التصوف في الإسلام، وقد انتشرت حركة الزهد في عصر الرسول وبعده، وبخاصة بعد ثراء المسلمين وحكمهم للعالم القديم المعروف آنذاك. وفرق بين التصوف والزهد، فالتصوف زهد في الدنيا لكسب رضا الله، والزهد بعد عن الدنيا لكسب ثواب الآخرة، والتصوف دخول في جمال الملأ الأعلى وروحه ورحمته، والزهد دخول في مجال التقوى خوفا من عذاب الله ونقمته وجبروته، والتصوف فلسفة روحيه في الإسلام والزهد منهج عملي من مناهج بعض المسلمين وله نظائر في الديانات القديمة... "[٣] .

وقد عُنيَ الصوفية بتقعيد مفاهيم الزهد وحاولوا ربطه بالتصوف، ومنهم الغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١١٢م) الذي أورد بعض أقاويلهم ثم حاول أن يوفق بينهما فقسّم الزهد إلى درجات، لما فيه من تفاوت بحسب تفاوت قوته، الدرجة الأولى: من زهد في الدنيا وهو لها مشتهٍ، وميلان القلب إليها، فهو يجاهد النّفس ويكفها ويذيب نفسه ثم كيسه،ويسمى المتزهد، بينما الزاهد يذيب كيسه ثم نفسه، فهو لا زال على خطر، فربما تغلبه نفسه إلى الدنيا بقليل أو كثير. والدرجة

---

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت٥٩٧هـ/١٢٠١) تلبيس إبليس دار ابن خلدون، الاسكندرية، ط١، ١٩٩٨م، ص١٦٣.

(٢) عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال،مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٣، ص٩-١١.

(٣) خفاجي، محمد عبدالمنعم: الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، القاهرة، ص٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثانية: الذي يترك الدنيا طوعاً لاحتقاره إياها، فضلا عمّا طمع فيه، كالذي يترك درهماً لأجل درهمين، فهو لا يرى محالة زهده ويلتفت إليه، كما يرى البائع المبيع ويلتفت إليه؛ ويظن في نفسه أنه ترك شيئاً له قدر، لما هو اعظم قدراً منه، وهذا أيضا نقصان. والدرجة الثالثة: العليا، أن يتزهد طوعاً، ويزهد في زهده، فلا يرى زهده، لتيقنه ان الدنيا لا شيء، فيكون كمن ترك خزفة لأجل جوهرة، وهذا كامل في المعرفة، آمنٌ من خطر الالتفات إلى الدنيا [١].

وهناك عوامل قد ارتبطت بين كل من الزهاد والصوفيين، باعتبار أنهما حركتان، ولهما رواد، فنرى أن كلتيهما من الموالي ومتميزتان بالثقافة القومية لأوطانهم، والخلاف هو بين مولّد الحركتين، والطبيعة لكلتيهما، أن الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية في العصر الأموي كانت من أهم الأسباب لقيام الزهد، وبسبب ظلم الأمويين للموالي فقالوا عنهم، أن لا فرق بين حكمهم وحكم سابقيهم قبل الفتح العربي، فنشأت بوادر الزهد الفلسفي المنظم كما فعل أسلافهم ليكون نوعاً من المقاومة والمعارضة التي تتميز بالصمت، أضف إلى ذلك قيامهم بدراسة العلم وإتقانه، ومن جانب آخر، فقد كان الحكم والسياسة والحرب هي الغالبة على العرب، في العصر الأموي، فحين ازدهرت البصرة والكوفة بالزهد، كانت دمشق تنعم بالحكم والثروة، وعند انتقال الحكم من دمشق إلى بغداد في العصر العباسي، نرى الوجهة قد تبدلت، فبدأت كفة الميزان بالرجوح في دمشق، فامتلأت زهداً، فكانت العملية تناسبية بين الزهد، والحكم والثروة[٢].

العامل الديني، يُؤدّي دوراً مهماً في كل المجتمعات، فتطورالمدن وازدهارها كان نتيجة الانفتاحات على الشعوب الأخرى، لا محال أن تنتقل كل عوامل الترف والملذات معها، وهذا ما يولدُ تياراً معاكساً يحاول مواكبة الحدث ليغير مجرى الأنسياق وراء الترف، والذي مثله الزهاد فبابتعادهم عن مواطن الغلو إلى مواطن المناجاة والعبادة، كوّنوا ملاذاً آمناً لمن لحق بركبهم، فمن خلالهم نشأ الرجال المنشغلون بالعبادة، والزهد والورع، والبعد عن اللذّات، داعين ببلاغة القول وابداع العمل في ترك الدنيا والرجوع إلى رب العباد.

كان المجتمع العباسي، في عصره الأول، وكذا الثاني، متأثراً بحركات الزندقة والشعوبية والمجون من جهة أخرى، كان هناك المتعبدون والنسّاك، الذين أحبوا حياة الزهد وانصرفوا عن كل ملذات الحياة ونعيمها، يذكر الدكتور شوقي ضيف بدايات بزوغ التصوف في العصر العباسي الأول، وانتشاره في العصر الثاني، فيقول: "فأخذت تنبثق بينهم مقدمات نزعة التصوف

---

[١] الغزالي، أبو حامد، (ت٥٠٥هـ/١١١١م): إحياء علوم الدين، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص١٥٨١.

[٢] منصور، أحمد صبحي، التمهيد لكتاب التصوف والحياة الدينية في مصر المملوكية، ٢٠١٤، مقال من موقع أهل القرآن، http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=12638.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متمثلة في شيوخ كثيرين، في مقدمتهم إبراهيم ابن أدهم البلخي المتوفي سنة ١٦٠ هـ، ورابعة العدوية المتوفاة بالبصرة سنة ١٨٠هـ، وشقيق البلخي تلميذ ابن أدهم المتوفي سنة ١٩٤هـ، ويقال إنه أول من تكلم في التصوف وعلوم الأحوال... وينبغي أن لا نبالغ فنزعم أن التصوف نضج في هذا العصر، إنما أخذت مقدماته في البروز والظهور، أما تكونه التام فقد حدث في العصر التالي، أما في هذا العصر فقد تفتحت تباشيره الأولى"[١].

أما في العصر العباسي الثاني فقد كان التصوف قد عرف، وانتشر بين أواسط المجتمع العباسي، وربط ربطا وثيقا بالشريعة الإسلامية، بعد أن شَكّك في أصله وانبثاقه المستشرقون. يقول الدكتور شوقي ضيف: "وإذن فالتصوف إسلامي في جوهره وفي نشأته ونموه وتطوره، وهو الرأي العلمي الصحيح"[٢].

بالرغم من وجود تقارب كبير بين حركة الزهد والتصوف وتداخلهما على مرّ العصور، فإن هناك مبادئ وركائز تندرج تحت اسم كل منهما، حتى وإن كان التصوف نابعا من الزهد، فإن ذلك لا يعني أن كل زاهد هو متصوف، لكن نستطيع القول إنّ كل متصوف هو في الأصل والبداية زاهد.

ولقد كان للزهد والتصوف أثر ملموس في مساعدة المجتمعات الإسلامية على تخطي الوضع الاقتصادي الذي تميز بالطبقية، فقد كانت هناك فروق واضحة بين طبقات المجتمع، من حيث الغنى والفقر، وكان الزهد في الدنيا بالتخلي عن ملذاتها، وفِتنها مُقنعاً لكثير من الناس لحلِّ مشاكلهم الاجتماعية والسياسية، التي كان سببها الانشغال الكبير بالدنيا، فانتشر الزهد والتصوف في المجتمعات الإسلامية، لِمَا يوفر هذان المسلكان من حياة مستقرة بعيدة عن مشاكل الدنيا وفتنها والالتفات إلى ما هو أهم، وهو الاهتمام بالآخرة والعمل لها.

ولا شك أن لظاهرة الزهد، ومن بعدها ظاهرة التّصوف في العصر العبّاسي، مرجعيات سلوكية ودينية سابقة، فقد كان أكثر الصّحابة والتابعين زهاداً في الدنيا، أي تخلّوا عنها اتباعاً، لما رأوا من ابتعاد النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) عن الدنيا وملذاتها، وتيقّنهم بالرحيل عنها بالموت، واستعدادهم لملاقاة الله تعالى وهم راغبون فيه، تاركون كل شيء لوجهه الكريم، فأصبح هذا الاتباع خلقاً في نفوسهم ونهجاً لهم في الحياة . يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة في يوم حارّ ثم راح وتركها)) [٣].

---

[١] ضيف، شوقي: العصر العباسي الأول، الطبعة ٨، دار المعارف، القاهرة، ص٨٦.
[٢] ضيف، شوقي: العصر العباسي الثاني، الطبعة ٢، دار المعارف، القاهرة ص١٠٧.
[٣] الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ج٤، ص٣٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن هذه الصورة الموجزة الدّالة تشير بدقة إلى معنى الزهد الذي يتمثل في صورة الراكب المرتحل إلى مستقرَّه، وهو الآخرة، ولا شك أن المرتحل لا يأخذ معه سوى القليل او ما لا بد منه من متاع الدنيا، وكذلك هو حال الزاهد، وحين نستعرض أقوال الصحابة الأجلاء وأفعالهم نجد الصورة المتجلية فيهم قد استوحت معانيها من صفات الرسول وأفعاله فامتزجت في نفوسهم، وآثر أغلبهم الزهد في ملذات الحياة.

ويتفق التصوف مع الزهد من خلال ما ذكر سابقا، فكلاهما مستوحى من اخلاقيات الكتاب والسنة العطرة، وهذا يظهر جلياً، عياناً، إذا أمعنا النظر فيمن يمثلون الطريق القويم والنهج الصحيح. ولكن التصوف يزيد على الزهدِ في كونه يتضمن رؤى جديدة، سيُشار إليها في تضاعيف المباحث المقبلة.

٢- مفهوم التصوف:

كثرت الأقوال وتعددت المعاني في اشتقاق (التصوف) فنذكر بعض ما قيل، في سبيل إيصال ما أُشير وذكره أكثر الباحثين سواء من الصوفية، أم من غيرهم، فاشتقت كلمة (تصوف) من الصفاء، وهناك من نسبها إلى (الصوف) مستندين إلى أن القوم كانوا يلبسون الصوف كثيراً، لزهدهم ونبذهم للنعيم الزائل، وأيضاً من (الصّفة) ، لاتصافهم بمحاسن الأخلاق وأعلى الصفات وترك المذموم منها، وقيل من (الصّف)، فكأنهم من الصف الأول لصفاء القلوب مع الله تعالى [١].

ومن معاني (التصوف) ما ذهب إليه معروف الكرخي(ت٢٠٠هـ/ ٨١٥م)بأنه الأخذ بالحقائق واليأس بما في أيدي الخلائق، وأبو سليمان الدّاراني (ت٢١٥هـ/٨٣٠م) التصوف أن تجري أعمال على الصوفي لا يعلمها إلا الحق وأن يكون دائما مع الحق على حال لا يعلمها إلا هو، و بشر الحافي (ت٢٢٧هـ/٨٤١م) يقول: إن الصوفي من صفا قلبه لله، وأيضا ما قاله ذو النون المصري (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م): الصوفية قوم آثروا الله عزّ وجلّ على كل شيء، وفي موضع آخر يقول: هو من إذا نطق كان كلامه عين حاله، فهو لا ينطق بشيء إذا كان هو ذلك الشيء، وإذا أمسك عن الكلام عبّرت معاملته عن حاله، وكانت ناطقة بقطع العلائق الدنيوية عن حاله[٢].

ما جاء من معان وتعريفات لمفهوم التصوف، جاءت مرتكزة على حُسن التوجه بالقلب والفعل مع الله ولله، لأنَّ الرادع عندهم هو مراقبة الله لهم في كل حين فهم منشغلون باللهِ سبحانه

---

(١)القشيري، عبد الكريم هوازن(ت:٤٦٥هـ١٠٧٢م): الرسالة القشيرية ، تح: معروف زريق، دار الخير، دمشق، ط١، ١٩٨٨م ،ص٤٦٤.

(٢)عون، فيصل بدير ، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص١٨-١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعالى. فقد عبّر أبو الحسن الحصري(ت٣٧١هـ/ ٩٨١م)، أنّ الصوفي من إذا فنى عن آفات الدنيا، لم يرجع إليها، ومن إذا ولّى وجهه نحو الحق لم يتحول عنه، وليس للحوادثِ أثر فيه بحال.

فلا راحة له ولا سلوى له في الدنيا إلا بالله ومن سلّم جميع أمره إلى ربه الذي يعلم ما قدّر له، فماذا بعد الحق إلا الضلال، إذا وجد الصوفي ربه لم ينظر بعد ذلك إلى شيء سواه [١].

فنستخلص أن التصوف هو الاستسلام التام لله وحده، وإيثاره عن كل شيء مخلوق، والانفصال والبعد عن الدنيا وأحوالها، على الرغم من اختلاف بعضها في سبب التسمية، ومهما يكن من أمر، فالتصوف في مجمله يعني التقرب إلى الله تعالى بالطاعات والعبادات، ومحبته الخالصة، وترك الدنيا وملذاتها، ، واتباع سنة نبيه محمد (عليه الصلاة والسلام)، وللجنيد البغدادي إتحاف في هذا، حيث بين المعنى الحقيقي وتأصيله فقال: "الطرق كلُّها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، واتَّبع سُنّته، ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلَّها مفتوحة عليه" [٢].

٣_ أوليات الأدب النّسوي الصوفي:

لقد كان للمرأة دور واضح في الحياة الثقافية في تاريخ الإسلام، فكان منها المرأة الشاعرة والمرأة المحدِّثة والمرأة الفقيهة والمرأة الزاهدة والصوفية....

وما وصل إلينا من أدب المرأة قليل جدا بالنسبة إلى أدب الرجل، عبر مسيرة الأدب العربي، وثمة نتائج تكمن وراء ذلك يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أولاً: النظرة غير الصائبة إلى نتاج المرأة عامة، بوصفه باللين والضعيف أسلوبياً لا يرقى إلى نتاج قرائح الرجال.

ثانياً: الصفة الغالبة هي النظم الخفيف، أي السهل، متمثلاً بالمقطعات الشعرية أو النثرية، مما يقلل من مكانتها الأدبية.

ثالثاً: إن ما ذكر من تصانيف عن النساء، قد اقتصر على نقل اخبارهن، ومحاسنهن، وأحوالهن الاجتماعية، دون ذكر الجانب الأدبي أو الاهتمام به، بل واقتصر على ذكر القليل من القصائد الطويلة والمقطوعات الأدبية التي لا ترتقي إلى مرتبة القاعدة وامتدادها[٣].

---

(١)عون، فيصل بدير ، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص٢١.

(٢)السّلمي، أبو عبد الرحمن(ت٤١٢هـ/١٠٢١م): ذكر النّسوة المتعبدات الصوفيات، تحقيق: محمود محمد الطناحي،الطبعة ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٣.

[٣]الحلبوني، خالد: أدب المرأة في العصر العباسي وملامحه الفنية، مجلة جامعة دمشق، المجلد٢٦، العدد الثالث +الرابع، ٢٠١٠م، ص٩٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن نظم الأشعار في الزهد والتصوف، يمكن أن يكون أحد موضاعات بروز المرأة في الجانب الأدبي في العصر العباسي، فلم يكن هذا الموضوع من نصيب الرجل فقط بل برزت فيه جملة من النسوة الزاهدات، اللواتي تركن أثرهن في الأدب النسوي على العموم والشعري الصوفي على الخصوص، فقد دخلت المرأة الموروث الصوفي، واحتملت أمر الزهد والتصوف، وكانت "المرأة العربية المسلمة في ميدان استبد به الرجال وانفردوا زمانا، حتى ليُظن أن علم التصوف والأحوال إنما هو علم الرجال؛ لأنه قائم على المجاهدة والمصابرة وقطع العلائق والتقلل من أسباب الدنيا، وكل ذلك مما لا تطيقه المرأة بطبيعة فطرتها وما جُبِلت عليه"[١] فهي بهذا الدور أنما "تضيف إلى الموروث الصوفي قدراً طيباً من أقوال القوم وتجلياتهم، جاءت على لسان هؤلاء العابدات، من كلامهن أنفسهن، أو من كلام سمعنه، أو روينه على رجال الصوفية ومشايخهم، مما لا نجده في تراجم هؤلاء الرجال من كتب التراجم والطبقات"[٢].

ولم يكن زهد هؤلاء النّسوة أو تصوفهن، محض تقليد أو تجريب، وإنما كان نابعاً من إيمانهنّ القوي الحق، وثبات شخصيتهن، فكنّ يُعبِّرن عن ذلك بطريقة أدبية، عن طريق الشعر والأمثال والحِكم، من شدة حبهنّ لله وزهدهن في الدنيا.

وعن ميمونة أخت إبراهيم بن أدهم(ت١٦٠هـ/٧٨٦م) أنها كانت تسلك مسلك أخيها إبراهيم في الزهد والتقلل والورع والتوكل... وذُكر من بين عابدات بغداد عن زبدة أخت بشر الحافي(ت٢٢٧هـ/٨٤١م) أنها قالت: أثقل شيء على العبد الذنوب، وأخفه عليه التوبة، فما له يدفع أثقل شيء بأخف شيء؟ [٣].

وقد أورد أبو عبد الرحمن السّلمي كلاماً لبعض الصوفيات، ومنه:

تقول العابدة مؤمنة بنت بُهْلُول(القرن الثالث الهجري)– وقد سئلت: من أين استفدت هذه الأحوال– : من اتباع أمر الله، على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤].

وجاءت امرأة إلى العابدة أم علي امرأة أحمد بن خضرويه البلخي(ت٢٤٥هـ/٨٦٩م)، فقالت لها: ما حاجتك؟ قالت: جئت لأتقرب إلى الله بخدمتك. فقالت لها أم علي: لما لا تتقربين إلي بخدمة ربك؟[٥] وقدّمت لها النصح أن تتقرب إلى الله تعالى بخدمته، فتنال ما نالته أم عليّ،

---

[١] السلمي، أبو عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص٩.

[٢] السلمي، أبو عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، من مقدمة المحقق، ص٩.

[٣] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(٥٩٧هـ/١٢٠١م): صفة الصفوة ، تحقيق: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٢ م ، ص ٥١٤ .

[٤] السلمي، أبو عبد الرحمن ، ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص٣٤.

[٥] المصدر السابق، ص٧٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الطلب أيضاً دليل حسن الطريق الذي تسلكه هؤلاء النسوة، وأنّ حالهن مبني على حق، وما يقمن به، امتثالاً لأمر الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

هذا ما كان من شأن بداية تصوف هؤلاء النسوة، وأسباب تصوفهن، أما ما ظهر من تصوفهن في الأدب فكان بدايته العصر العباسي، حيث "اتسعت حركة الزهد فيه نتيجة عوامل عدة، وأسهمت المرأة في هذه الحركة، وكان لها دور فاعل للغاية إذ نالت غذاءً روحياً هيأها للتعبير عن موضوع الزهد بتفرعاته وتشعباته"[١].

ولعل رابعة العدوية المَعْلَم الأول الذي أدى إلى تحوّل مسار الزهد إلى مسار التصوّف، فأدى الاهتمام بمقولاتها وأخبارها إلى الحفاظ على جزء لا بأس به من المقطوعات الشعرية والنثرية والتي قالتها في مختلف الميادين، فهي تنقل الصورة المستخلصة لحالها وما تروم إليه، كي تقتدي بها من تحب السير على خطاها[٢].

ولدت رابعة العدوية في البصرة عام ٩٥هـ، فشهدت رابعة العدوية في هذه المدينة ألواناً من الصراع السياسي والمذهبي، كما تأثرت حياتها بالفوارق الاجتماعية التي كانت تفصل بين الطبقات في البصرة، وبسبب مرارة الفقر تقلّبت بها الأحوال وجرفها تيار اللهو والمجون حينا من الدهر، حتى أفاقت روحها مما غشيها من إثم، فاعتزلت الحياة والناس، فاعتكفت بنفسها تنشد الاتصال الروحي بالله، ولم تكن رابعة مجرد متنسكة زاهدة، ولكنها تعتبر من أوائل الصوفيين الذين اختاروا لحياتهم الشظف والحرمان ليطهروا نفوسهم من شوائب الحياة المادية فتَصفوا وتستجيب للاتصال الروحي بالمحبوب وهو الله [٣].

وقد ذكر عن رابعة العدوية، التي استغرقت في الحب الإلهي وملك عليها ذاتها ومشاعرها، أنها كانت إذا صلت العشاء، قامت إلى سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت: "إلهي أنارت النجوم، ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك، ثم تقبل على صلاتها فإذا كان وقت السحر وطلع الفجر قالت: إلهي هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنأ، أم رددتها إلي فأعزى. فوعزتك هذا دأبي ما أحييتني وأعنتني وعزتك لو طردتني عن بابك ما برحت عنه لما وقع في قلبي من محبتك، ثم أنشدت تقول:

---

[١] الحلبوني، خالد: أدب المرأة في العصر العباسي وملامحه الفنية، ص٩٥.

[٢] الأطرقجي، واجدة: المرأة في أدب العصر العباسي ، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١م، ص٣٢٨.

[٣] هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ص٢٩٠-٢٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يا سروري ومنيَتي وعِمادي وأنيسي وعُدَّتي ومُـــرادي
أنت رُوح الفؤاد أنت رجائي أنت لي مؤنِسٌ وشوقُك زادي
أنت لولاكَ يا حياتي وأنسي ما تشتت في فسيح البــلاد[1] "

وفي أبيات أخرى تقول:

أحبّك حُبّين: حُبّ الهــوى وحبــًّا لأنك أهــلٌ لــذاك
فأمَّــا الذي هو حُب الهوى فذكر شغلتُ به عن سواكَ
وأمّــا الذي أنت أهلٌ لــه فكشفُكَ الحُجبَ حتى أرَاكَا
فما الحمدُ في ذا ولا ذاكَ لي ولكنَّ لك الحمدَ في ذا وذاك [2]

إن رابعة العدوية كان لها قدم السبق في التأسيس لأوليات الشعر النّسوي الصوفي، وكان لها الأثر في النساء الصوفيات الأخريات فيما بعد، فمقولاتها الأدبية ذات النّفَس الصوفي، كانت بحق مفتاحاً يضيء للواتي قد شغفهن المسير على ما سارت عليه رابعة العدوية.

ومن متعبدات النّسوة نجد عثامة بنت بلال بن أبي الدرداء(ت٩٣هـ) تقول:

أعثــامُ مــا لكِ لاهيـــةٌ حــلَّت بــدارِكِ داهيةٌ
إبْكي الصَّلاةَ لِـــــوَقتِهَا إنْ كــُنتِ يومًا باكيــةٌ
وابــْكي القــرآن إذا تُلِــيَ قدْ كُــنتِ يومًــا تالِيــةٌ
تَتْلِينَـــــــهُ بِتَفَـــكُّــرٍ ودُمُــوعُ عينٍ جـــارية
لَهفي عليــْــكِ صَبَابــــةً ما عِشتُ طــولَ حياتيهْ[3]

كان لهؤلاء النّسوة فسحة ليُبدين زهدهنّ من خلال الشعر يتغنين به، ويظهر ورعهن في الدنيا، وتعلقهن الشديد بدينهن، خاصة إن تعلق الأمر بشيء لا يستطعن نيله رغم إرادتهن الشديدة لذلك، مثل ما حدث مع عثامة بنت بلال، فقد كف بصرها وحال بينها وبين قراءة القرآن.

وريحانه الزاهدة ترى أن النفس ينبغي أن تُلجم عن مطاردة اللذات واستجلابها، فهي لا تقنع بحدٍّ معين، بل تطلب المزيد على الدوام، فإن اعتادت على الحرمان صبرت عليه، وهان كل شيء، تقول:

---

(١) الحريفيش، شعيب بن سعد المكي(ت٨١٠هـ/١٤٠٧م): الروض الفائق في المواعظ والرقائق، الطبعة الأولى، المطبعة العامرة الشرقية،١٣٠٨هـ، ص١١٠-١١١.
(٢) المكي، أبو طالب محمد بن علي عطية (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م): قوت القلوب في معاملة المحبوب، تح: محمود ابراهيم الرضواني، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ج٢، ص١٠٦٨.
(٣) السلمي، أبو عبد الرحمن ، ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صبرت عــن اللذّات حتى تولّت وألزمتُ نفسي صبرها فاستمرت
ومـــا النفس إلا حيث يجعلها الفتى فـــإن طمعتْ تاقت وإلّا تسلّت[١]

وكانت دعوتها صادقة إلى الالتزام بقيام الليل، والتهجد فيه، وذكر المولى عز وجل، وطرد النوم لأنه ملهاة وخسران مبين، تقول:

اجعل لنفسك في الليالي نبهة يُنْبِهْكَ من خلل المنام قيامُ
وأنس إلى طول الصلاة تجلُّداً واترك لذاذ النوم والأحلام[٢]

وقد بينت ميمونة السوداء عن مكاشفة القلوب، وأشارت إلى الخمر التي صارت عند شعراء الصوفية رمزاً عرفانياً قائماً بذاته، تقول:

قلوبُ العارفين لها عيــونٌ ترى ما لا يراه الناظرونـــا
وألسنة بسرٍّ قـــد تُنـــاجي تغيبُ عن الكرام الكاتبينـــا
وأجنحةٌ تطير بغير ريـــش إلى ملكـــُـوتِ رب العالمينا
فتسقيها تراب الصدق صدقا وتشرب من كؤوس العارفينا[٣]

وتحمل هذه الأشعار في طيّاتها، الرقة في العبارة، والسهولة في التركيب، واستخدام العلوم الدينية، في بساطة تعبيرية تحدد خصائص المرأة بعيداً عن الإغراب والغموض[٤] وهو ما بيّناه في بداية الحديث عن ما يمتاز به الأدب النسوي الصوفي.

هكذا أفسحت المرأة لنفسها ولنظيراتها المجال في ممارسة الجانب الروحي من الدين الممثل في التصوف، وفي دخولها مجال الأدب الصوفي من جهة اخرى، فانفردت بعيدا عن ما ينجزه الشعراء والأدباء والمتصوفون الرجال بأعمالها الخاصة، التي تنوعت وتعددت غرضاً وصوراً و كانت زاخرة بالمعاني الدينية والروحية جاذبة لأرواح المحبين والعاشقين والسالكين، فكنّ مدرسة روحية يفقهها العامة والخاصة.

---

[١] النيسابوري، أبو القاسم الحسن بن محمد(ت٤٠٦هـ/١٠١٥م): عقلاء المجانين، تـح: عمـر الأسـعد، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص٢٧٩-٢٨٠.
[٢] النيسابوري: المصدر السابق، ص٢٨١.
[٣] المصدر نفسه، ص٢٩٣.
[٤] الحلبوني، خالد: أدب المرأة في العصر العباسي وملامحه الفنية، ص٩٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

مضامين الشعر النّسوي الصوفي

المبحث الأول: المقامات

للصوفية مصطلحات خاصة قد تبدو للدارس في أول وهلة مصطلحات سهلة ومألوفة، ولكن لها في حقيقة الأمر مفاهيم ومقاصد قد لا تتبادر إلى الذهن بسهولة. ولا يستطيع الإلمام بها وإدراك أبعادها، إلا من له صلة معرفية وثيقة بمنظومة الفكر الصوفي على نحو عام، وبلغته ومفاهيم مصطلحاته على نحو خاص. سيحاول هذا المبحث تسليط الضوء على أهم المصطلحات التي تتداولها النساء الصوفيات، واستجلاء أثرها في أقوالهن الشعرية والنثرية. ولعل من أهم هذه المصطلحات مصطلح المقام الذي نجده عندهم في ترتيبهم للمقامات مثل مقام القناعة ومقام التوكّل ومقام التّسليم ومقام التوبة ومقام الإنابة ومقام الورع ومقام الزهد. فماذا يعني المقام؟ وما أهم المقامات التي يرتقين إليها؟

مما لا شك فيه أن أي مفهوم اصطلاحي، لا بد أن تكون له صلة بمعناه اللغوي. وقد وردت كلمة "مقام" في المعاجم اللغوية بعدة معانٍ ذات صلة بمفهوم المصطلح الصوفي. وكلمة "مَقام" مصدر ميمي من: قام يقوم. والمقام: موضع القدمين. والمقامة: المجلس، والقوم. وبالضم: الإقامة، كالمَقام والمُقام، ويكونان للموضع. قال تعالى:﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[1]، أي: موضعًا. والمَقام والمُقام قد يكون كل واحد منهما بمعنى: الإقامة، وقد يكون بمعنى: موضع القيام[2].

مفهوم المقام:

وقد تداول الصوفية مفهوماً للمقام يتصل اتصالا مباشراً بالمعنى اللغوي، ولكنه ينزاح عنه في الرتبة الوجودية، فإذا كان معنى المقام اللغوي يتصل بالموضع المادي الذي هو مكان الإقامة، أو موطئ القدمين، فإن المعنى الاصطلاحي يتصل بالموضع المعنوي؛ أي بالرتبة المعنوية والمنزلة الروحية للصوفية، رجالا ونساء، الذين يرتقون في سلّم المجاهدات النفسية. يحدّد الطّوسي(ت: ٣٧٨هـ) معنى المقام بقوله : "مقام العبد بين يدي الله عز وجل، فيما يقام فيه

---

[1] الفرقان: ٧٦.

[2] انظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٤م) ، القاموس المحيط، راجعه واعتنى به: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م، مادة "قوم". محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل، وقال الله تعالى: ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ (إبراهيم:١٤)"[١].

أمّا القشيري(ت:٤٦٥هـ) في رسالته، فقد جاء تعريف المقام على أنه: "ما يتحقق بهِ العبد بمنازلتهِ من الآداب، مما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلّب، ومقاساة تكلّف، فمقام كل أحد: موضع إقامته عند ذلك، وما هو مشتغل بالرياضة له، وشرطه: ألا يرتقي من مقام إلى مقام آخر، ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل، ومن لا توكل له لا يصح له التسليم، وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد"[٢]. يرتبط مفهوم المقام في هذا التعريف بموضع إقامة العبد، ومدى تحقيقه لشروط الارتقاء من مقام لآخر، والذي لا يتم دون أن يستوفي جميع أحكام مقام معين ليستطيع الانتقال إلى المقام الذي بعده.

وتعتبر المقامات عند الصوفية طريقا موصلا إلى معرفة الله تعالى، وقد وصفها ابن خلدون بالغاية المطلوبة لنيل السعادة، يقول: "ولا يزال المريد يترقى من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة"[٣]. ويتفق الصوفية مع ابن خلدون في رأيه بأن الترقي في المقامات ينتهي بصاحبه إلى توحيد الله تعالى ومعرفته، وطالما وصل صاحب المقام إلى هذا فإنه يكون قد تحقق له غاية السعادة والأمن والسلام مع نفسه ومع غيره[٤].

والمقام هو: "الإقامة، كالمدخل بمعنى الإدخال، والمخرج بمعنى الإخراج، ولا يصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام، ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة"[٥].

من كلّ ما سبق من تعريفات، نرى أنّ مفهوم المقام قد فارق معناه المادي كما تبيّنه اللغة إلى معنى أشمل له علاقة بالمنزلة والرتبة الرّوحيّة التي يرتقي إليها الصّوفيّة بالمكابدة والانقطاع

---

[١] الطوسي، أبو نصر سراج(٣٧٨هـ/٩٨٨م): اللمع، تحقيق د. عبدالحليم محمود، دار الكتب الحديثة بمصر، ١٩٦٠ م، ص٦٥.

[٢] القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص١٣٢.

[٣] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، ص٦١٢.

[٤] فهمي، مصطفى: ما بين الحال والمقام–وجهة نظر صوفية، الموقع الفلسفي للدكتور مصطفى فهمي، نشر يوم: ٣يونيو ٢٠١٢، http://kenanaonline.com/users/Dr-mostafafahmy/posts/419690

[٥] القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية ، ص ١٣٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن الدنيا والزهد فيها لتحقيق السّعادة المنشودة ، سعادة التوحيد والمعرفة . فالمقامات إذن سيرورة من الارتقائات المكتملة التي يبذل فيها الصّوفيّ جهدا مضنيا من أجل تحقيق مرماه الكبير.

١_ مقام التوبة :

تحتلّ التوبة عند الصّوفيّة صدارة المقامات وبدايتها، وهو مقام يسعون إليه؛ لأنّه أصل كلّ المقامات وعتبتها، على الرغم من تنوع تعريفاتهم لها وأطنبوا فيها، فإنّهم قد اتّفقوا على معنى الالتزام بالتعاليم الإلهيّة التزاما غير مشروطٍ وبإقبال وانقياد تامّين.

وجاء في كتاب اللمع: "التوبة الرجوع من كل شيء ذمه العلم إلى ما مدحه العلم"[١]، وفيه أيضا: "التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله تعالى"[٢].

ونجد الطوسي قد ربط في تعريفه التوبة بالعلم: فكل ما ذمه العلم، كان لزاما على المرء الابتعاد منه، وما كان ممدوحاً وجب الرجوع له.

والتوبة عند القشيري هي: "أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقام الطالبين، وحقيقة التوبة في لغة العرب هي: الرجوع، يقال: تاب، أي رجع، والتوبة الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه"[٣]. والرجوع والانابة، هي قصد السالكين والتائبين لوضع أولى خطوات قبول ما حسُنَ من عمل.

وهناك من عرفها بأنها: "الندم على ارتكاب الذنوب وصون الجوارح عن الخوض في الباطل، ومن ذلك صون السمع عن سماع الباطل والتجافي عن سماع الشهوة وإخراج المظلمة وترك سماع الغيبة والنميمة، وهي أيضا الرجوع عن الآثام إلى الطاعة للحق تعالى، وتوبة العوام هي عن سماع الذنوب والمعاصي، أما توبة الخواص هي عدم الغفلة واليقظة والذكر والسماع الدائم لأوامر الله ونواهيه"[٤].

فالتوبة تعني دائماً الندم على فعل المعصية، وعدم الرجوع إليها، وصون الحواس عن سماع ما حرّم الله تعالى، وفي هذا التعريف نجد أن التوبة قسمان: توبة العوام من الناس وهي: التوبة عن سماع المحرمات والندم على ارتكاب الذنوب والمعاصي، والقسم الثاني: توبة

---

[١]الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص٦٨.
[٢] المصدر السابق، ص٦٨.
[٣]القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ١٧٨.
[٤]فؤاد، فاطمة: السماع عند صوفية الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٧م، ص١٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخواص ويقصد بها النخبة من المتصوفين والعابدين الذين لا يغفلون عن الذكر وطاعة الله الدائمة واجتناب ما حرم.

وقد عرّفها ابن قيّم الجوزيّة بقوله: "وتوبة الخواص : من تضييع الوقت؛ فإنه يفضي إلى درك النقيصة ويطفئ نور المراقبة ويكدر عين الصحبة ليس مراده بتضييع الوقت ...والوقت عند القوم : أخص منه في لغة العرب ...والغالب على اصطلاحهم : أنه من الإقبال على الله بالمراقبة والحضور والفناء فى الوحدانية ... فتوبة هؤلاء من إضاعة هذا الوقت الخاص الذي هو وقت وجد صادق وحال صحيحة مع الله تعالى لا يكدرها الأغيار"[١].

وفي منازل السائرين: "لا يتم مقام التوبة إلا بالانتهاء إلى التوبة مما دون الحق ثم رؤية علة تلك التوبة، ثم التوبة من رؤية تلك العلة"[٢]. فشرط التوبة هو معرفة السبب الذي أدى إلى التوبة أي معرفة الذنب المقترف، ثم التوبة من رؤية ذلك السبب أو العلة.

"والتوبة لا تصح إلا بعد معرفة الذنب، وهي أن تنظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء: إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه، وفرحك عند الظفر به، وقعودك على الإصرار على تداركه مع يقينك بنظر الحق إليك"[٣].

هذا التعريف يؤكد أن التوبة مرحلة بعدية تأتي بعد ارتكاب المعصية، وبعد معرفتها وذلك بالنظر إلى ثلاثة أشياء: الانخلاع من العصمة، والفرح عند الظفر به، والإصرار على تداركه.

"والتوبة في نظر ابن تيمية جاءت تأكيداً للمعاني التي حفلت بها الآيات القرآنية والأحاديث، يقول: إن العبد لايزال يتقلب في نعم الله وآلائه لأنه –ولا يزال– محتاجا إلى التوبة والاستغفار، ولهذا كان سيد ولد آدم، وإمام المتقين يستغفر جميع الأحوال"[٤].

وعن مقام التوبة في شعر النّساء العابدات قد لا نجد الشيء الكثير، ذلك أن الشعر الصوفي للرجال كان أكثر وأوفر منه عن ذاك الذي خطته النسوة، ولكن تقصينا في البحث لنظفر بالقليل من شعر النساء الصوفيات، ولم تسعفنا المصادر إلاّ بالقليل الذي استوجب منّا

---

[١] الجوزيّة، ابن قيّم : مدارج السّالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠١، ج ١ ، ص ٢٦٥

[٢] الهروي، عبد الله الأنصاري(ت٤٨١هـ/١٠٨٨م): منازل السائرين، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،١٩٨٨م، ص١٣.

[٣] المصدر السابق، ص١٣.

[٤] انظر: حلمي، مصطفى: ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ١٩٨٢م، ص٤٩٢،٤٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكثير من الجهد حتّى نتبيّن حضور مقام التوبة فيه . وفي معرض الحديث في هذه المسألة ، نقف عند إمامة النساء الصوفيات، وسيدة الحب الإلهي، التي عرفت شهرة واسعة في التاريخ بعبادتها وزهدها وتصوفها ومحبتها للخالق، وهي رابعة العدوية، فها هيّ تخاطب " حبيبها " قائلة:

حبــك الآن بغيتي ونعيــمي وجلاء لعيــن قلبـــــي الصـــادي
ليس لي عنك مـــا حييت براح أنـــت مني ممكن في الســـــــواد
إن تكـــن راضيـــا عليَّ فإنـــي يا منى القلـــب قـــد بدا إسعـــــادي[١]

إنّ الشاعرة في هذه الأبيات تقابل بين حالتين، الأولى مسكوت عنها في الخطاب والثانية مصرّح بها . فأمّا المسكوت عنها فهي حالة ماضية قبل أن ترتقي إلى مقام التوبة . وأمّا المصرّح بها فإطارها الحاضر كما يبيّنه ظرف الزمان " الآن" ، حاضرها بعد التّوبة و انقطعت سبلها إلاّ مع الله، مصدر سعادتها، فالتوبة عندها إذن هي انتقال من الصّدى إلى الارتواء ومن الشقاء إلى السّعادة.

و قد كانت رابعة تخشى الذنوب خشية بالغة، وقد سألها رجل مرة عن التوبة قائلا: "إني قد أكثرت من الذنوب والمعاصي، فهل يتوب عليَّ إن تبت؟ فقالت وهو من نادر القول: لا، بل لو تاب عليك لتبت"[٢]. وتقول في هجران المعاصي هذا البيت:

أطاع اللهَ قومٌ فاستراحوا ولم يتجرعوا غصص المعاصي[٣]

ولعلها تريد بذلك أن هناك صنفا من الناس حرصوا من جهتهم على طاعة الله، فصرف الله تعالى قلوبهم عن الخوض في المعاصي، فاستراحوا من مقاساة الندم ومرارة الذنب.

وتقول تحفة العابدة في مقام التوبة:

أجبتُ لما دعيت طوعـــا ملبّيـــا للـــذي دعانـــي
وخفتُ مما جنيـتُ قدْمـــا فوقّـــع الحبّ بالأمـــان[٤]

---

[١]الحريفيش، شعيب بن عبد الله بن سعيد، الرّوض الفائق، ص ١١١.
[٢]كامل، مجدي: أحلى قصائد الصوفية، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ١٩٩٧م، ص١٢٣.
[٣]الشريشي، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن(٦١٩هـ/١٢٢٢م): شرح مقامات الحريري، تـح: محمـد أبـو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢، ج٢، ص٣٤٧.
[٤]اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م): روض الرياحين في حكايات الصالحين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٤٩.(طبعة المكتبة التوفيقية، ص١٣٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالشاعرة هنا تصرح بقبولها دعوة الله لها طواعية دون اعتراض، لكنها في الوقت ذاته خائفة مما ارتكبته من أفعال قد تغضب المولى عز وجل عليها.

وقالت جارية (مجهولة) ترجو عفو الله عنها بعد توبتها مما ارتكبته من معاصٍ:

إلـــهي لا تعذبنـــي فإنـــــي مُـــقرّ بالذي قـــد كان منـــي

فكم مـــن زلة لي في الخطايا غفرت وأنت ذو فضل ومَـــنٍّ

يظن الناس بـــي خيراً وإنـــي لشر الناس إن لم تعف عنـــي

ومـــالي حيلـــة إلا رجائـــي لعفوك إن عفوت وحسن ظني[١]

تصرّح الشاعرة في هذه الأبيات بتوبتها إلى الله عز وجل، وتطلب مغفرته وعفوه، فهي تقر بما ارتكبته، وتعلم أنها على خطأ، لكن حسن ظنها بالله ويقينها بعفوه ومغفرته وإيمانها الشديد به، يجعلها على يقين بقبوله لتوبتها، فالتوبة في حقيقتها قائمة على الندم الصادق، وبعدها يأتي رجاء قبولها .

وخلاصة ما تقدّم أنّ التوبة في شعر الصّوفيات كانت حاضرة حضورا لافتا، ندركه من خلال تصويرهنّ لحياتهن الماضية ، حياة الزّيغ عن طريق الله والمعصية ، وندركه من خلال ندمهنّ ومن خلال إشادتهنّ بسعادتهنّ وهنّ يرتقين هذا المقام ويسعين للعبور منه إلى مقام أرفع في طريقهنّ إلى الحقّ واليقين.

٢_ مقام الفقر :

مقام الفقر من المقامات التي دعا إليها الصوفيون، وأقروا بمدى أهميتها لصلاح قلب المؤمن، حيث أن الفقر أمر ضروري إذا أراد السالك السير في الطريق والإقبال على الله والوصول إلى منتهاه، لأن المرء إن شغل نفسه بأمور الدنيا سيلتهي عن أمور الآخرة التي تدوم.

وقد عرّفه إبراهيم بن أحمد الخواص (ت٢٩١هـ/٩٠٣م): "الفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وزين المؤمنين، وغنيمة العارفين، ومنبه المريدين، وحصن المطيعين، وسجن المذنبين، ومكفر للسيئات، ومعظم للحسنات، ورافع للدرجات، ومبلغ إلى الغايات، ورضا الجبار، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار، والفقر هو شعار الصالحين، ودأب المتقيين"[٢].

---

[١] اليافعي : روض الرّياحين، ص ١٤٤.

[٢] الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالخواص يستعرض لنا هنا، الصّفات التي يمنحها الفقر للمرء والتي تجمله بها عن غيره، فقد اعتبرها رداء للشرف وتاجاً، وغنيمة، ولباسا ... وغيرها من الصفات الحميدة التي يمنحها الفقر للصوفي الزاهد بفقره عن ملذّات الدنيا ومتاعها.

أمّا في الرسالة القشيرية فقد جاء أنّ : "الفقر شعار الأولياء، وحلية الأصفياء، واختيار الحق سبحانه لخواصه، من الأتقياء والأنبياء"[١]. وعرّف آخرون على أنه: "اسم للبراءة من رؤية الملكة، قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾، (سورة فاطر/الآية١٥)" [٢].

من خلال هذا التعريف يتبيّن لنا أن الفقر صفة تحلّى بها الأنبياء، وهي ميزة تجمل العبد الصالح التقي وتطهّره من دنس التعلّق المادي فيرقى بجوهره إلى القناعة والتلذذ بالقليل.

وقد قسّم الصّوفيّة الفقر إلى درجات ثلاثٍ:

"الدرجة الأولى: فقر الزهاد: وهو نفض اليدين من الدنيا ضبطا أو طلبا، وإسكات اللسان عنها ذما أو مدحا، والسلامة منها طلبا أو تركا، وهذا هو الفقر الذي تكلموا في شرفه.

والدرجة الثانية: الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل: وهو يورث الخلاص من رؤية الأعمال، ويقطع شهود الأحوال، ويمحص من أدناس مطالعة المقامات.

والدرجة الثالثة: صحة الاضطرار، والوقوع في يد التقطع الوحداني والاحتباس في قيد التجريد، وهذا فقر الصوفية"[٣].

وعموما "الصوفية في ذكرهم لهذا المقام وحديثهم عنه إنما يتسقون تماما مع آرائهم، فهم قوم فضلوا الله على كل شيء، لأنهم يذهبون إلى أنه سبحانه وحده هو الغني وما عداه فمحتاج إليه، وعندهم أن من يستغني بالله أو إن شئتم من يملكه الله فإنه يكون حينئذ مالكاً لكل شيء"[٤].

"والفقر عند الصوفية لا يقتصر على الناحية المادية فحسب بل إنه يتجاوزها إلى المعنى الروحي الذي هو أقرب إلى الافتقار لله، يقول إبراهيم بن أدهم (ت١٦١هـ/٧٧٨م): طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر"[٥].

---

[١] القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص٤٥٢.
[٢] المصدر السابق، ص٤٥٢.
[٣] الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٧٢.
[٤] عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١١٣.
[٥] أنظر: عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالفقر كما سبق الذكر لا يقتصر فقط على الجوانب المادية، بل يتجاوزها إلى معناه المعنوي الروحي في الحاجة الدائمة إلى الله والافتقار له، وهذا الفقر بنظرهم، أعظم وأفضل منزلة من الفقر المادي.

تقول رابعة الشامية:

وزادي قليل ما أراه مُبَلّغي أللزاد أبكي، أم لطول مسافتي؟[1]

العابدة هنا تبين حقيقة الافتقار وبلوغ المراد، وتتحدث عن فقرها وقلة زادها، ولكن لا تشير إلى فقرها المادي، وإنما قلة زادها المعنوي، وتخشى أن لا يكفيها هذا الزاد للوصول إلى الله وبذلك تدخل النار، لكن رجاءها ومخافتها لله سبحانه عز وجل تجعلها مطمئنة برحمته لها.

تقول جارية من عاقلات مجانين البصرة:

إنَّ إلهـي لغني حميد في كلِّ يوم منه رزق جديـد

الحمـد لله الذي لم يزل يفعل بـي أكثر مما أريـد[2]

تكتفي هنا بغنى الله وحده، فهي لا تحتاج إلى الغنى طالما أن الله يكفيها، فله الحول والقوّة لفعل ما يريده بها، ورزقها عليه، لا تخشى أن لا يأتي لأنه بيد الغني الحميد، فالفقر هو بمثابة عطاء من الله لهنّ فيرضين به ويصبرن عليه.

٣_ مقام الزهد :

الزهد عند الصوفية هو الانقطاع عن الدنيا وما فيها، والنظر إليها بعين المقت، والصوفية يعتبرون الزهد "الأب الشرعي للتصوف، ومن غير الممكن أن يوجد التصوف دون أن تسبقه في ذلك حركة الزهد، فالزهد هو المعرفة الضرورية التي لا بد منها لقيام التصوف ونهضته، وهو شرط رئيسي وهام للتصوف، والصوفية بأكملهم يجمعون على ذلك[3].

للزهد أهمية كبرى عند الصوفيين لدرجة أنهم اعتبروه الأب الشرعي للتصوف، فكل متصوف هو في الأصل زاهد، وليس بالضرورة أن يكون كل زاهد متصوفا، فالزهد شرط أساسي لا يصح التصوف إلا بوجوده.

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٥٩.
(٢) المصدر السابق، ص٧٢١ .
(٣) أنظر: عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١٠٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وللزهد تعريفات كثيرة تختلف باختلاف وجهات نظر أصحابها نأخذ من بينها:

عرّفه الطوسي بقوله : "الزهد مقام شريف، وهو أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل، والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله تعالى، فمن لم يُحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده، لأن حُب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة"[١].

وعرّفه ابن الجلاء (ت٣٠٦هـ/٩١٨م): "الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك، فيسهل عليك الإعراض عنها"[٢].

وجاء في الرسالة القشيرية: "الزهد أن تترك الدنيا، ثم لا تبالي بمن أخذها"[٣].

وقد جعل الأنصاري للزهد درجات ثلاثاً وهي:

"الدرجة الأولى: الزهد في الشبهة بعد ترك الحرام بالحذر من المعتبة، والأنفة من المنقصة، وكراهة مشاركة الفسّاق.

والدرجة الثانية: الزهد في الفضول وما زاد على المسكة والبلاغ من القوت باغتنام التفرغ إلى عمارة الوقت وحسم الجأش، والتحلي بحلية الأنبياء والصديقين.

والدرجة الثالثة: الزهد في الزهد بثلاثة أشياء: باستحقار ما زهدت فيه واستواء الحالات عندك، والذهاب عن شهود الاكتساب ناظرا إلى وادي الحقائق"[٤].

وقد فصّل الطّوسي الزهاد إلى ثلاث طبقات هي طبقة المبتدئين وهم الفقراء الذين ليس لديهم ما يحببهم في الدنيا ويثير رغباتهم في متعها. أمّا الطبقة الثانية فهي طبقة المتحققين في الزهد ، وهم من تركوا " حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا"[٥] بما في ذلك ما يعود به عليهم الزهد من شهرة بين الناس وحظوة. أمّا الطبقة الثالثة فهم من أدركوا أنّه لو كانت الدنيا تعني عند الله شيئا لما متّع بها الكافرين، فاختاروا الزهد نأيا بأنفسهم . وبهذا يتبيّن لنا أنّ الصّوفيّة قد أجمعوا على الزهد في ما حرّمه الله ولكنّ تفرّقهم إلى درجات وطبقات كان في الزهد في أمور الدّنيا غير المخصوصة بالتحريم .

---

[١] الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص٧٢.
[٢] عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١١٠.
[٣] القشيري، أبو القاسم ، الرسالة القشيرية، ص٢١٩.
[٤] الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٣٠-٣١.
[٥] أنظر: الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص ٧٢-٧٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ظهر كلّ ذلك عند الكثير من الصّوفيات العبّاسيات منهم رابعة العدوية التي كانت" في الزهد مضرب المثل، ومقامها فيه هو المقام الأرفع، فكانت لا تأكل بالأسبوع، وتنسى الجوع، وكانت خلاله لا تجلس ولا يفتر ذكرها لله، تصوم وتصلي، فإذا خفعت من الجوع وانهارت ساقها وسرى التكسر في أعضائها فلا تتناول سوى الماء، ويحكى أن قطا دخل فقلب كوز الماء وبقي كبدها ظمئان مشتعلا من تأوه القلب كما يقول العطار، ويجيئها الهاتف يقول: لا تحزني إن شئت أن تكوني مولعة بالله فعليك أن تتخذي من ترك الدنيا صناعتك الدائمة، ولقد فعلت"[١].

وقد صاغت الزاهدات الشاعرات ذلك في أشعارهن، فها هي واحدة من عاقلات مجانين البصرة تقول فيه:

زهــد الزاهدونَ والعابدونا إذ لمولاهُم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعينَ القريحة فيه فمضى ليلهمْ وهمْ ساهرونا

حيرتهـــمْ محبة الله حتـــى عَــلِم الناس أن فيهـــمْ جنونا

هــم ألِبـّــا ذَوو عقولٍ ولكنْ قد شجاهمْ جميع ما يعرفونا[٢]

فهذه الأبيات تحكي عن زهد العابدة، من سهر وتجويع بطون، وعبادة وكلها لأجل الله وحده وهنا تذكيراً منها أن من ترونهم مجانين هم أصحاب عقول ولكن أهمهم وأحزنهم ما عرفوا فلم يهتموا لظاهرهم لأن باطنهم منشغل بالله .

٤_ مقام الصبر :

إن ّالقرآن الكريم يزخر بآيات تدعونا إلى الصبر وتحثّنا عليه وتبشّر الصابرين وتعدهم بحسن العاقبة ، قال تعالى: ﴿ وآصبر وما صبرك إلا بالله﴾ (النحل ، ١٢٧) ، وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا﴾ (آل عمران:٢٠٠) وقوله تعالى أيضا: ﴿والله يحب الصابرين﴾ (آل عمران: ١٤٦)، أمّا عن جزاء الصابرين فقد مدحهم الله بقوله:﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾، (الرعد: ٢٤). وقد قدّم " سبحانه وتعالى الصبر على الصلاة والصوم والحج وغيرها، لأن هذه الفرائض بلا شك تقتضي الصبر الذي بدونه لا تكتمل عبادة الإنسان لله ولا يوفيه سبحانه دينه حق وفائه"[٣].

---

[١] الحفني، عبد المنعم: العابدة الخاشعة– رابعة العدوية، ص١٥٣.
[٢] ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٢١.
[٣] عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعتبر مقام الصبر من أهم المقامات التي يبذل فيها العابد جهداً معنوياً، وهو من أصعب المقامات التي يدركها، والصبر من المقامات التي يصل إليها الصوفي بما يبذل من جهد وتحمّل، وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى. الصبر عند الصّوفيّة مقام شديد الأهميّة لأنه على علاقة وطيدة بمقام الزهد ، يجب على الصّوفيّ فيه أن يتحمّل ويبذل جهدا مضنيّا للرّقيّ إليه.

وقد اختلف تعريف الصبر داخل منظومة المصطلحات الصّوفيّة ، فهو يتعلّق عند البعض بالبدن، وعند البعض الآخر برؤيته للدّنيا، وآخرون يحدّدونه بمسألة الفناء في الله ومنهم من يراه في الالتزام بالأوامر والنواهي الإلهيّة. وفي كلّ الأحوال فإنّ مجموع هذه الاختلافات يشكّل مقاما صوفيّا ومرتبة يسعى الصّوفيّ إلى الارتقاء إليها.

فقد عرّفه أبو عثمان (ت٢٩٨هـ) بقوله : "الصبر هو الثبات مع الله تعالى وتلقي بلائه بالرحب والدعه"[١]. في حين جاء في اللمع أنّ "الصبر حمل المُؤن لله تعالى حتى تنقضي أوقات المكروه"[٢].

وأمّا في الرسالة القشيرية فنجد أنّ "الصبر تجرّع المرارة من غير تعبيس"[٣]. وقد نقل القشيري في الرسالة المذكورة تعريفا لذي النون المصري (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م) جاء فيه أنّ "الصبر: التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر ساحات المعيشة"[٤].

و جاء تعريفه أيضا على لسان الهروي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م) بقوله: "الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى، وهو أيضاً من أصعب المنازل على العامة، وأوحشها في طريق المحبة، وأنكرها في طريق التوحيد"[٥].

فالصبر إذن، حقيقة من أصعب المقامات؛ لذلك فإن ما يبذله العابد من جهد في حبس نفسه وكتمها، تقبل قضاء القدر وتقلّب الدّهر بنفس راضية مُطمئنة. وفي كل هذه التعريفات، نلمس معنى واحداً واضحاً وهو: تحمل الشدائد، وتجرع مرارة الأيام، وتحمل أيام الشدة حتى يحل الرخاء، فينبغي على المؤمن العابد الثبات وتلقي البلاء بنفس راضية غير شاكية، ونلمس أيضا في هذه التعريفات اجماع العلماء والصوفيين على ضرورة التحمل وضبط النفس على الألم

---

[١] عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص ١١٧.
[٢] الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص٧٦.
[٣] القشيري، أبو القاسم ، الرسالة القشيرية،ص٣٢٤.
[٤] المصدر السابق، ص٣٢٥.
[٥] الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٤٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمكروهات، وتلقي البلاء بصدر مفتوح متقبل لقضاء الله، والثبات وعدم الشكوى لأجل الله تعالى وهي التي تميز العابد الصابر من غيره.

والصبر درجات ثلاث:

"الدرجة الأولى: الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد إبقاءً على الإيمان، وحذراً من الجزاء، وأحسن منها الصبر عن المعصية حياءً.

والدرجة الثانية: الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دواماً، وبرعايتها إخلاصاً، وبتحسينها علماً.

والدرجة الثالثة: الصبر في البلاء بملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج، وتهوين البلية بعد أيادي المنن، وتذكر سوالف النِعم.

وفي هذه الدرجات الثلاث نزلت: ﴿اصبروا﴾، يعني في البلاء،﴿وصابروا﴾، يعني عن المعصية،﴿ورابطوا﴾، يعني على الطاعة"[١].

وكغيرهنّ من أهل الصّوفيّة حفلت أشعار النساء الصّوفيات بمقام الصبر ، فأبدعن في صوغ أبياتهن الشعرية ونذكر منها بيتا لريحانة تقول فيه:

واجهد وكدّ وكن في الليل ذا شجنٍ يسقيك كأس ودادِ العزِّ والكرَم[٢]

بدا هذا البيت رسالة باثٍّ إلى متقبّلٍ مضمونه في النّصح والإرشاد والدّعوة إلى بذل الجهد في الفرائض وقيام الليل، وهو في الحقيقة تصويراً دقيقا لمقام الصّبر عند الشاعرة ، هذا المقام الذي رقت إليه في تعبّدها حتى صارت تدعو إليه وتبشّر بحسناته ، وأساسه المجاهدة والبذل والكدّ في العبادة والتقرّب، فالعابدة قد صبرت كثيراً والفوز بالوداد هو محصلة ذلك الصبر والتحمل.

وتروي تحفة المجنونة معاصرة لسَريّ السّقطي، (ت٢٥٣هـ/٨٦٧م)، أيضا قصتها مع الصبر عن بعدها عن محبوبها تقول:

يا ســـرور السرور أنت سروري يا حياة النفوس أنت حبـــوري

أنت نـــــاري وجنتي ونعيمـــي وأنيسي وأنت نـــور النـــــور

كم ترى يصبر المحب على البعـ ـد وكم يلبث الهوى في الصدور[٣]

---

[١] الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص٥٠.
[٢] ابن الجوزي، صفة الصفوة ، ص ٧٢٥.
[٣] الحريفيش، الرّوض الفائق في المواعظ والرقائق، ص ٢٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشاعرة تستفسر في هذه الأبيات عن مقدار الصبر الذي يلزم المحب ليصبر على معشوقه، وفي هذه الأبيات تصريح واضح للعابدة عن صبرها لبعد محبوبها عنها.

وقالت امرأة معاصرة لذي النون (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م):

أنـت تدري يا حـــبيبي من حبـيبي أنت تدري

ونحـــول الجسم والدمـــ عُ يبوحـــان بـــسرّي

يا عزيزي قـــد كتمتُ الـ حبَّ حتى ضاق صدري[١]

فهذه العابدة صبرت حتى نال منها الصبر، ومن صبرها ذبل جسمها ودمها وباحا بسرها الذي لم تبح به، وهو شوقها لفراق حبيبها عنها.

وقالت جارية (مجهولة):

وذي قلـق لا يعرف الصبر والعزا له مقلة عبرى أضر بها البكـا

وجسم نحيل من شجى لوعة الهوى فمن ذا يداوي المستهام من الضنا

ولا سيمـــا والحب صعب مـرامُه إذا عطفت منه العواطف بالقنـا[٢]

وهذا مثال آخر أوردناه عن ما قالته النّساء الصّوفيات في الصبر، وفيه تحكي العابدة عن ما فعله العشق بها وبحالها، وكيف صبرت حتى ضمر جسمها، وذبلت مقلة عينها، فكيف يصبر المحب عن فراق محبوبه؟

وقد أنشدت ريحانة في إمساك النفس عن الهوى قائلة :

صبرتُ عن اللذات حتى تولت وألزمت نفسي صبرها فاستمرت

وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأت عزمي على الذل ذلت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن طمعت تاقت وإلا تسـلت[٣]

لا شكّ أنّ هذه الأبيات توضّح ببساطة شديدة منهج صاحبتهن في ترقي هذا المقام، ألا وهو منهج الإعراض عن اللذّات والالتزام بذلك و ترويض النّفس عليه، وهو ما يسمّيه الصوّفية بالرّياضات، فكأنّ الصبر إذن بهذه الأمور مجموعة مقامات وَحْده لا مقاماً واحداً.

---

(١) ابن عربي : الكوكب الدّري في مناقب ذي النون المصري، تحقيق :سعيد عبد الفتاح، مجلد٣، ص ١٩٧.

(٢) اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي : روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص١٠٠. (وفي طبعة المكتبة التوفيقية، ص٨٦).

(٣) النيسابوري، ابن حبيب: عقلاء المجانين، ص٢٧٩-٢٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥_ مقام التوكل :

إنّ محبّة الله والإخلاص له تترجم عند الصّوفيّة بالتوكّل. ولكنّ التوكّل عندهم مقام واجب على الخاصة بقدر وجوبه على العامة، فإذا كانت الدنيا مطمع المتوكّلين على الله عند العامة فإنّ الصلاح هو مأمل الخاصّة منه.

ففي القرآن الكريم، يرتبط توكل الإنسان بعلاقته مع الله من محبة وقرب، وهذا ما تظهره الآيات مفصحة عن هذا الترابط، قال تعالى:﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾" (الطّلاق: ٣).

إلى جانب ما ورد في القرآن بمواضع كثيرة ذكراً خاصاً بالمؤمنين المتوكلين "يربو على التسعين ذكراً ... نجد أنّ الصوفية يذهبون إلى أن مسبب الأسباب وعلة العلل وموجد الموجودات كلها هو الله، وأن كل ما عداه فأسباب وعلل ثانوية... ولهذا فإن على المرء بعد أن صفى قلبه أن يخضع جوارحه لأحكام هذا القلب وهي الأحكام التي ذهب فيها الصوفي إلى أنها توافق تماما الطبيعة أي توافق حكم الله"[١].

فالتوكل، من هذه الناحية، بالرغم من كونه مقاماً صوفياً إلا أنه لا يخص الصوفية وحدهم، بل هو مقام أمر الله به العامة من الناس، فالتوكل يجعل من المرء حسن الظن بالله، ومن ثم فهو يعقد النية ويتوكل على الله في كل أمور دنياه ودينه فإذا ما عزم المؤمن على أمر وجب عليه التوكل استجابة لأمر الله تعالى لأن العزم مرتبط الحدوث بالتوكل والذي هو باب لتحقيق كل ما نسعى لنيله.

"وإذا كان الصبر موقفا سلبيا يقفه الصوفي تجاه ما يحدث له، فإن التوكل غير ذلك تماما، إذ إنه موقف يسلكه الصوفي تجاه الآخرين لأن التوكل يتضمن الفعل ولا ينبغي أن يفهم من هذا المقام أن الصوفية مجمعون على حقيقة التوكل، ذلك أن منهم من ذهب إلى القول بأن التوكل يعني طرح الأسباب جانبا، بينما ذهب آخرون إلى أنه الأخذ بالأسباب والاعتماد على رضاء الله وتأييده في نفس الوقت"[٢].

ويختلف مقام الصبر عن مقام التوكل، فالأول يعني الصبر على الشدة وعلى المصائب، و الثاني يدخل في نطاق الفعل وعقد نية التوكل على الله دون سواه في قضاء أي حاجة.

---

[١] عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص١١٩.
[٢] المصدر السابق، ص١١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاء في منازل السائرين أن: "التوكل كلة الأمر كله إلى مالكه، والتعويل على وكالته، وهو من أصعب منازل العامة عليهم، وأوهى السبل عند الخاصة، لأن الحق قد وكل الأمور كلها إلى نفسه، وأيأس العالم من ملك شيء منها"[١].

وعرّفه أبو تراب النخشبي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩ م): "التوكل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطي شكر، وإن مُنع صبر راضياً موافقاً للقدر"[٢].

وجاء في الرسالة القشيرية قول سهل بن عبد الله (ت٢٨٣ هـ): "أول مقام في التوكل: أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت في يد الغاسل، يقلبه كيف شاء، لا يكون له حركة ولا تدبير"[٣].

فالتوكل يجعل من المرء خاضعاً لله لا يعترض على أوامره ونواهيه، وفي ذلك تشبيه له بالميت الذي يتقلب يميناً وشمالاً بين يدي غاسله دون حراك ودون أي اعتراض على أمر، كذلك المؤمن المتعبد عليه في توكله على الله أن يكون خاضعاً له، مستسلماً لأوامره لا يعترض على حكمه في شيء بعيداً عن إرادة النفس غير راجع إلى مشورة العقل فذاك هو عين التوكل.

وخلاصة هذه التعريفات أنها تجتمع على أمر واحد وهو الاعتماد على الله تعالى والأخذ بأسبابه، والخضوع له والتوكل عليه في كل فعل يقوم به المرء لدينه أو دنياه فنلمس ذلك التوكل في أقوال العابدات الصوفيات اللواتي يعظن ويطلبن من الناس التوكل على الله في كسب الخير والسير بطرقات الدنيا حتى يحين اللقاء معه سبحانه بعد الممات فلم يعرن أي اهتمام لطرق العيش وأسبابها فنرى مريم البصرية من أيام رابعة العدوية تقول: "ما أهتممت بالرزق ولا تعِبتُ في طلبه منذُ سمعتُ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾"[٤]. (الذاريات:٢٢).

ومن النماذج الشعرية للنساء المتصوفات في التوكل قول عابدة من بيت المقدس:

تزود قرينا من فعالك إنمـــا قرين الفتى في القبر ما كان يعمل

ألا إنما الإنسان ضيف لأهلـه يقيـم قليـــلاً عندهمْ ثم يرحـــل[٥]

---

[١] الهروي، عبد الله الأنصاري،: منازل السائرين، ص٤٣-٤٤.
[٢] الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص٧٨.
[٣] القشيري، أبو القاسم ، الرسالة القشيرية، ص٢٩٥.
[٤] السلمي، عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص٣٣.

[٥] ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهي هنا تظهر في وعظها ونصحها أن التوكل على الله ثم العمل هو ما ينفع الإنسان وهو في قبره، لأنه ومهما عمّر في هذه الدنيا يظل ضيفا عليها فقط، وسيأتيه يوم للرحيل، والانتقال من الدُّنيا إلى الآخرة.

٦_ مقام الرّضا :

يعتبر مقام الرضا من أجلّ المقامات الصوفية وأعلاها ، ويرى أكثر الصّوفيّة أنه ليس من السهل على أيّ إنسان الوصول إليه.

وهو في اللغة، من مادّة رضِيَ، والرّضا هو الاستحسان واطمئنان النّفس وهو نقيض السخط. أمّا اصطلاحا فهو سرور القلب بمُرِّ القضاء [١]. وهو عند بعض الصوفية من الأحوال يهبه الله تعالى لمن توكل عليه وأخلص العبادة له سبحانه.

وقد تعددت تعريفاته عندهم ، وهو عند الطوسي " باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وهو أن يكون قلب العبد ساكنا تحت حكم الله عزَّ وجل"[٢]. فإذا امتلك الإنسان الرضا و وصل إلى مقامه فقد ظفر بباب الله الأعظم، ونال أفضاله الكثيرة التي لا تكون إلاّ للخاصّة من الأولياء. وقد نُقل عن ابن عطاء رحمه الله (ت: ٧٠٩هـ) قوله: "الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد، لأن يعلم أنه اختار له الأفضل فيرضى به ويترك السخط"[٣].

أمّا في " منازل السائرين" فتعريف الرضا هو أنه: "اسم للوقوف الصادق حيث ما وقف العبد لا يلتمس متقدماً ولا متأخراً، ولا يستزيد مزيداً ولا يستبدل حالاً، وهو من مسالك أهل الخصوص، وأشقها على العامة"[٤].

والرضا يعني الخضوع التام والقناعة بكل ما يأتي من الله خيراً كان أم غير ذلك، واليقين بأن كل ما يأتي للإنسان من الله هو فيه الصلاح له، حتى لو بدا له غير ذلك. قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[٥].

---

[١] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(٤٧١هـ/١٠٧٨م)، التعريفات ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص ٩٦.
[٢] الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص ٨٠.
[٣] الطوسي، المصدر نفسه، ص٨٠.
[٤] الهروي، عبد الله الأنصاري،: منازل السائرين، ص٥١.
[٥] سورة البقرة، الاية : ٢١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"والرضا هو ذلك المقام الذي يشير إلى عدم اعتراض المرء على كل ما يحدث له، بعبارة أخرى: أن الرضا هو موافقة العبد على قضاء الله وقدره بسهولة من غير تكلف أو استياء أو قنوط ذلك أن الصوفي يدرك حينئذ أن كل ما يحدث حادث بقضاء الله وقدره"[١].

إذن، يأتي الرضا بعد قناعة تامة من العبد بأن كل ما هو آت من الله فيه الخير والرشاد، والرضا يكون بتقبل قضاء الله وقدره، فالإنسان المؤمن يحمد الله في الشدة كما يحمده في الرخاء.

وللرضا ثلاث درجات وهي:

"الدرجة الأولى: رضا العامة: وهو الرضا بالله ربا، بسخط عبادة ما دونه، وهذا قطب رحى الإسلام، وهو يطهر من الشرك الأكبر، وهو يصح بثلاثة شرائط: أن يكون الله عز وجل أحب الأشياء إلى المرء، وأولى الأشياء بالتعظيم، وأحق الأشياء بالطاعة.

والدرجة الثانية: الرضا عن الله عز وجل: وبهذا الرضا نطقت آيات التنزيل، وهو الرضا عنه في كل ما قضى، وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص، ويصح بثلاث شرائط: باستواء الحالات عند العبد، وبسقوط الخصومة مع الخلق، وبالخلاص من المسألة والإلحاح.

والدرجة الثالثة: الرضا برضا الله: فلا يرى العبد لنفسه سخطاً ولا رضى، فيبعثه على ترك التحكم وحسم الاختيار، وإسقاط التمييز ولو أدخل النار"[٢].

وكما أن كبار العابدات عرّفن الرضا بكمال التعريفات لبلوغهن عالي الدرجات فعندما "سُئلت رابعة العدوية (ت١٨٠هـ/٧٩٦م): متى يكون العبد راضيا؟ فقالت إذا سرّته المصيبة كما سرّته النعمة"[٣].

"والرضا من أجلّ مقامات رابعة، ومن لا يصل في معراجه إلى الرضا فما ذاق من لذة المحبة، إذ تقول:

من ذاق حبّك لا يــرى مبتسما من طول حزن في الحشا إشعــال[٤]

ومن يبلغ إلى الرضا ويرتقي عنه إلى استعذاب الألم فهو المحقق، وكانت رابعة المحققة، فكم اشتاقت وكم تعذبت، وتقول: كم طالت بي الليالي والأيام بالشوق إلى لقاء الله، وتخشى أن يداخلها الشعور بالفرح فتقول: لا يكون حزني أن أكون محزونة، بل حزني أني ما كنت محزونة، وترضى أن تكون محزونة طالما أن حزنها له، وتكذّب حزن سفيان الثوري

---

[١] عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص١٢٢.
[٢] الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٥١-٥٢.
[٣] القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية،ص٣٤٠.
[٤] القشيري، الرسالة القشيرية، ج٢، ص٦٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(ت١٦١هـ/٧٧٨م) لأنه يطلب الدنيا ومسرور بها، وتستغفر ربها أن لا تكون مخلصة في استغفارها"[١].

ومن الأمثلة الشعرية النّسوية في الرضا ما قالته رابعة العدوية:

راحتي يا أخــوتي في خلوتي وحبيبي دائما في حضرتي
لم أجــد لي عن هواه عوضا وهــواه في البرايا محنتــي
حيثمــا كنت أشاهــد حــسنه فهــو محرابي إليه قبلتــي
إن أمت وجـــــداً وما ثمّ رضا وعنائي في الورى وشقوتــي[٢]

تذكر رابعة العدوية في هذه الأبيات مدى ولعها وعشقها لله، ومن شدّة عشقها له فهي تشاهده أينما حلّت وأينما ذهبت، وتذكر أيضا خوفها الشديد من إمكانية عدم رضا الله عليها برغم عشقها للمولى عز وجل.

تقول رابعة العدوية:

ليس لي عنك ما حييت براح أنت منى ممكّن في السواد
إن تكن راضيا علي فإنـــــي يا منى القلب قد بدا إسعادي[٣]

تنشئ رابعة في هذين البيتين خطاباً توجّهه إلى " حبيبها " واصفة مكانته عندها مستعملة وصفاً بليغا تضيّق به المسافة بينه وبين سواد قلبها تعبيراً عن حبّ شديدٍ تشعر به وتحسّه. وتنمّي خطابها بأسلوب الشرط الذي أفاد الإمكان بحيث تقيّد سعادتها برضا المحبوب ، دون أن ننسى جملة النداء الواردة في الخطاب على سبيل الاعتراض الذي أفاد الالتماس الذي يحدّد طبيعة العلاقة بين العابدة و"حبيبها" علاقة تذلل وتضرّع من جانبها.

قالت حَيّونة المَجنونة–الأهوازية:

يا ذا الذي وعد الرضى لحبيبه أنت الذي ما إن سواك أريد[٤]

إنّ هذا البيت لا يختلف في معناه عمّا عهدناه عند الصّوفيّة ولكنّه في أسلوبه على غاية كبيرة من الطرافة، فعبارة " ما إن سواك أريد" تحتمل معنيين :

فالمعنى الأوّل ينشأ من كونها ظرفاً وإطاراً لا يرد إلاّ في تركيب لغويّ تلازميّ يفترض جوابا له كقولك مثلا: "ما إن أكلت حتّى جعتُ من جديد". وهذا يعني أنّ حيّونة أخفت الجواب عن المتلقي وقدّرته ، ولكن ما تقديره؟ لا يمكن للمتلقي أن يدرك ذلك، فهو بذلك خطاب من

---

[١] انظر: الحفني، عبد المنعم: العابدة الخاشعة– رابعة العدوية، ص١٥٥–١٥٦.
[٢] الحريفيش، الرّوض الفائق في المواعظ والرقائق، ص ١١١.
[٣] المصدر السابق، ص ١١١.
[٤] النيسابوي: عقلاء المجانين، ص٢٨٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القلب إلى القلب لا يستطيع أيّ طرف خارجيّ أن يدركه، وهو بذلك دعوة من حيّونة للائمها بالكفّ عن التدّخل بين محبيّن ضاقت المسافة بينهما حتّى صارا واحدا.

وأمّا المعنى الثاني فهو ببساطة وبلاغة شديدة يقوم على النّفي، أي أنّ الأداة " ما إن " هنا تفيد النّفي المطلق القاطع ، نفي لأيّ شراكة في حبّ العابدة لمحبوبها حتّى وإن كانت شراكة جسدها.

وتقول عابدة أخرى في مقام الرضا:

أحبك حبين حب الرضـــا وحبّ لأنك أهـــــل لذاكـــا

فأما الذي هو حب الرضا فذكر شغلت به عمن سواكـــا

وأمـــا الذي أنت أهل لـــه فكشفك للحجب حتى أراكـــا

فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا[١]

تُعدّد العابدة في هذه الأبيات أسباب حبّها للذّات الإلهيّة وتفصّلها وتجعل رضا الله أوّل الأسباب متقدّما عن كون الله أهلاً لحبّها ، والتّقديم هنا ليس للمفاضلة وإنما لأنّ الأوّل يحقق الاستغراق الكليّ في الله الذي ينتج عنه تجلّي الذّات الإلهيّة لها. وهذا يعني، بعبارات قليلة، أنّ الرّضا هو طريق الحب، والحبّ طريق التجلّي. إنّ هذه الأبيات على قصرها ورغم أنها وردت على بحر المتقارب المعروف بسرعة نغمته فإنها تبدو من حيث بناؤها على درجة كبيرة من التماسك بين وحداتها وتحمل في معانيها أسلوب تفكير واستدلال ووعيّ تامّ بالعلاقات السببيّة أو المنطقيّة الكامنة بين مراقي التصوّف ومقاماته.

وهو ما نلحظه أيضا فيما يلي:

فقد قالت ريحانة في الرضا:

رَضِيْها فأرضتْه فحازت من الرضى وحلّتْ من المحبوب بالمنزل الرحب [٢]

---

[١] ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٩٢٧.
[٢] النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيه قالت عوسجة:

ارض بالله صاحبـــــــــــــــا وذر الناس جانبـــــــــــــــا[1]

وفيه قالت شعوانة أيضا:

جعــل الرضا لسباقــه ميدانا فجرى وأطلق من يديــه عنانا

فتقدم السباق في غسق الدجى يطوي القفار ويطلب الأوطانا

هجر الخلائق والعلائق في رضا محبوبــه وتجنب الإخـــوانا

شرب الظما حتى تعطش قلبــه فغــدا وراح من الظما ريانا[2]

إنّ طرافة هذه الأبيات تتجلّى في اعتماد شعوانة فيه على سرد الأفعال ليس بغاية الإخبار وإنما بغاية وصف أحوال الصّوفيّ وتعدادها ، فالصّوفيّ هو عندها ثلاثة مقامات ، أوّلها الرّضا وثانيها اجتناب الناس والتفرّد وثالثها الزهد. وليس من الصدفة أن يتقدّمها الرّضا ، فكأنّه بابها جميعا الذي لا يمكن أن تسلك طريقها إلا من خلاله.

والرضا هو آخر المقامات التي ينتهي عندها الصوفي، وهو المحور الذي تدور حوله أخلاق الصوفي، إذ منه ينبع التوكل والزهد، وهو يورث السكينة في القلوب، والاطمئنان إلى أحكام قضاء الله.

---

(١) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص٣٠١.

(٢) اليافعي : روض الرياحين، ص٣٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: الأحوال في شعر النّساء الصّوفيات

إن الحديث عن الأحوال لابدّ أن يأتي في مرحلة لاحقة بعد المقامات؛ وذلك لأن الأحوال تعتبر حالات وانفعالات شعورية يحس بها المتصوف وهو يعرج بين المقامات، وفي هذا المبحث سوف نتطرق إلى الحديث عن الأحوال ومنزلتها عند الصوفي، لنقف عند كل حال منها، ونتعرف إلى النّساء العابدات الصوفيات وعلى أحوالهن الصوفية، ونستعرض أهم الأبيات الشعرية لهن. لكن قبل كل هذا سنقوم بتعريف الحال عند أكبر أئمة الصوفية، ونتعرّف إلى أقوالهم فيه.

مفهوم الحال:

نستطيع القول إن الحال هو عبارة عن حالة معنوية يشعر بها العبد السالك أثناء سلوكه إلى الله تعالى، وقد جاء في الرسالة القشيرية تعريف الحال على أنه: "معنى يرد على القلب، من غير تعمد منهم، ولا اجتلاب، ولا اكتساب لهم من: طرب أو حزن، أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو انزعاج، أو هيبة، أو احتياج"[١].

فهذا التعريف ربط لنا الحال بالقلب، والقلب كما يعرف هو خزّان الانفعالات وتقلباتها.

وورد في اللمع: "وأما معنى الأحوال فهو ما يحل بالقلوب، أو تحل به القلوب: من صفاء الأذكار"[٢].

وعرّفه الجنيد (ت٢٩٨هـ) قائلا: "الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم"[٣]. وفي تعريف الجنيد نلحظ أنه جعل من الحال حالة تنزل على القلب لفترة معينة ثم تذهب ولا تدوم، وهذا ما يفرق بين الأحوال والمقامات، كون الأخيرة تعد منازل يرتقي إليها السالك بعبادته وتصوفه، بينما الأحوال هي ما يصاحب السالك من حالات شعورية في أثناء الترقي إلى المقامات وهذه الأحوال تُوهب وهباً ولا تُكتسب اكتساباً، وهي تتغيّر وتزول وهذا على العكس من المقامات التي تكتسب اكتسابا، وتظلّ مرافقة للسّالك .

---

[١] القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص١٣٣.
[٢] الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع، ص٦٦.
[٣] المصدر السابق، ص٦٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ت: ٧٣٦هـ) أنّ : "الحال هو ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمل واجتلاب، كحزن أو خوف أو بسط أو قبض أو ذوق، ويزول بظهور صفات النفس، سواء يعقبه المثل أو لا، فإذا دام وصار ملكاً سمي مقاماً"[١].

وفي قاموس المصطلحات الصوفية: "الحال هو عبارة عن أمر يرد من حضرة الحق بصورة قهرية أو جمالية، يكيّف العبد بصورة ما هو منطبقٌ عليه"[٢].

إنَّ هذه التعريفات كلها أجمعت على كون الحال هو ما يَرِد على القلب من انفعالات مختلفة، دون تعمُّل، تحدث تأثيرها فيه، وشرطها عدم الدّوام؛ لأن أحوال المرء تتغير ما بين حزن وفرح وقلق وطمأنينة وشوق ... الخ.

"وسئلت إحدى العابدات وهي مؤمنة بنت بهلول: من أين استفدتِ هذه الأحوال؟ فقالت: من اتباع أمر الله على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتعظيم حقوق المسلمين، والقيام بخدمة الأبرار الصالحين"[٣].

١_ حال المحبة :

ورد ذكر حال المحبة في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، منها "قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾، [المائدة: الآية ٥٧]، وقوله في موضع آخر: ﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾، [آل عمران: ٣١]"[٤].

وعرّفها أبو يزيد البسطامي (ت:٢٦١هـ) بقوله: "المحبة استقلال الكثير من نفسك، واستكثار القليل من حبيبك"[٥].

و"المَحبه تعلّق القلب بين الهمّة والأنس، في البذل والمنع، على الإفراد، والمحبة أول أودية الفناء"[٦]. وجاء في الرسالة القشيرية تعريف المحبة على أنها: "غليان القلب وثوراته عند العطش والاهتياج إلى لقاء المحبوب"[٧].

---

[١] الكاشاني، عبد الرزاق(ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م): معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م، ص٨١.
[٢] حمدي، أيمن: قاموس المصطلحات الصوفية، ص٥٤.
[٣] السلمي، أبو عبد الرحمن: مصدر سابق، ص٢٤.
[٤] الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع، ص٨٦.
[٥] عون، فيصل بدير: التصوف الإسلامي–الطريق والرجال، ص ١٢٦.
[٦] الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٨٨.
[٧] القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ٤٨٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"وقالت عافية المشتاقة، وهي إحدى العابدات من البصرة: "المحب لا يسأم من مناجاة حبيبه، ولا يهمه سواه، واشوقاه، واشوقاه، واشوقاه"[١].

إذن، فقد أجمعت هذه التعريفات على جعل المحبة مرتبطة بالعطاء أكثر من الأخذ، فالمحب يؤثر محبوبه على نفسه في كل شيء، وفي المحبة تجتمع كل مشاعر الشوق والولع والشغف للقاء المحبوب.

وقد ورد حال المحبة في شعر النساء الصوفيات كثيراً، حيث إنهن عبّرن في مواضع كثيرة عن شغفهن وولعهن بالله، ونورد بعض النماذج لذلك كقولٍ نقله ذو النّون عن جارية عابدة تقول فيه:

أحبّك حُبّين: حُبّ الودادِ وحبًّـــا لأنك أهلٌ لــذاكا

فأمَّـا الذي هو حُبّ الودادِ فذكر شُغلتُ به عن سواكَا

وأمّـا الذي أنت أهلٌ لـــه فكشفُكَ الحُجبُ حتى أرَاكَا

فما الحمدُ في ذَا ولا ذاكَ لي ولكنْ لك الحمدَ في ذا وذاكا[٢].

تعدّد المتعبّدة في هذه الأبيات أنواع حبّها للذّات الإلهيّة مفسّرةً كلّ نوع منها متّبعة أسلوب " التوليد المعنوي" بحيث تتناسل المعاني من بعضها لتصبّ في نهاية الخطاب في نتيجة هي ملخّص حال المحبّة فيها ، ألا وهو الاعتراف لله و"حمده" عن هذا الحبّ، ونساء الصوفية عموماً أغلبهن كتبن عن قصص محبتهن لله، وجسدن هذه المحبة في صور مختلفة.

قالت رابعة العدوية:

راحتي يا إخوتي في خلوتي وحبيبي دائمـــا في حضرتي

لم أجـــد لي عن هواه عوضا وهـــواه في البرايا محنتي

حيثما كنت أشاهـــــد حسنه فهو محرابي إليـــــه قبلتي[٣]

---

[١] السلمي، أبو عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص٤٠.
[٢] ابن الجوزي : المصدر السّابق ، ص ٨٩٨.
[٣] الحريفيش : الروض الفائق، ص ١١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ الراحة الحقيقية عند رابعة تكون وهي في حضرة المحبوب، وفي خلوتها معه، ذلك لأنها لم تجد من يُعوّضها عن حبه فلا شيء يقارَن به، ولا شيء يضاهي حسنهُ وجماله، وذلك هو الحب الحقيقي في أسمى معانيه، حين يتجرد المرء من ثوب المادة ويسبح في فضاء التأمل في لحظات خلوة مع الحبيب يستشعر فيها معاني العِشق والشوق وهو في حَضرته، فهي ساعة تغيب فيها كل المخلوقات ويبقى هو وحده الحاضر في قلب محبه.

وتقول في موضع آخر:

يـــا طبيب القلب يا كل المنى جد بوصل منك يشفي مهجتـــــي

يـــا سروري وحياتـــي دائما نشأتي منك وأيضا نشوتـــــــي

قد هجرت الخلق جمعاً أرتجي منك وصلا فهـــو أقصى منيتي[١]

فرابعة هنا تعبر عن وجدها وشغفها بمحبوبها، وكيف أنها تجد راحتها حين تكون بخلوته، وكيف أنها هجرت كل الخلق لتجد الوصل من محبوبها، وذلك هو أقصى مناها، وفي المحبة يضحي العاشق ويتخلّى عن أشياء كثيرة ليظفر بمحبوبه، فحتى يظفر بحب الخالق عليه ترك المخلوق وهجره، والانشغال فقط بمحبوبه.

ونجد في المحبة أيضا في قول عثامة بنت بلال:

لَـهفي عليْكَ صَبَابـةً مـا عِشتُ طـولَ حياتيــه[٢]

لقد ربطت العابدة في هذا البيت الشعري المحبة في أوسع درجاتها وهي اللهفة، فحين تجتمع المحبة بالشوق مع عدم الصبر على فراق الحبيب يصبح العاشق متلهفا ينتظر فقط ساعات خلوته بحبيبه، وهذا ما فعلته العابدة حيث جسدت هذا البيت في أحسن صورة.

وقالت رابعة الشامية:

حـيّرتـهم محبة الله حتـى عَلِم الناس أنّ فيهـم جُنونـا[٣]

إنّ هذا البيت من الأبيات القليلة التي نجدها عند النّساء الصّوفيات والتي تتحدّث عن الجنون عند الصّوفيّة عامّة ، فها هيّ رابعة الشّاميّة تفسّره بأنّه رتبة ساميّة من مراتب المحبّة التي " حيّرت " عامّة الناس وصعُب عليهم إدراك كنهها فنعتوها بالجنون.

---

[١] الحريفيش : الروض الفائق ، ص ١١١.
[٢] السلمي، أبي عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص٤٦.
[٣] ابن الجوزي : صفة الصفوة، ٧٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقالت ريحانة:

حسب المحب من الحبيب بعلمه أن المحب بـــــابه مطـــروح

والقلب منه إن تنفس في الدجى بسهام لوعات الهوى مجروح[١]

وقالت جارية سوداء:

لك علم بما يُجنّ فؤادي فارحم اليوم ذلّتي وانفرادي[٢]

نلاحظ في أبيات ريحانة والعابدة والجارية حضور معجمين اثنين يلخّصان حال المحبّة ويكشفان عن صورته عند الشاعرات الصّوفيات ، هما معجم الحبّ بعبارات من قبيل " حبّ" و"حبيب" و"عزيز" و"هوى" و"عواطف"، ومعجم الألم من مفرداته "دمع" و "لوعة" و"ضنا" وغيرها. وهو ما نجده عند الصّوفيّة الرّجال، بحيث يجوز لنا أن نقول في هذا المقام إنّ حال المحبّة هو حال سواءٌ عند الجنسين لاشتراكهما في رهافة الحسّ وصدق العاطفة. أمّا عن علاقة هذه المعجمين، الواحد بالآخر فهي علاقة سببيّة، بحيث ينحدر الثّاني من الأوّل ويعبّر عنه، فلولا ما في الحبّ من ألم ما تحدّث فيه المتحدّثون دون أن ننسى ما فيه من سعادة أيضا، وهو ما يتوافر عند الصّوفيين.

فمما سبق، يتضح كيف كانت رابطة هذه المحبة قوية ومتينة بين العابدات ومحبوبهنّ الله، وكيف أنهن شغفن بالله، وملأن قلوبهن بحبه، ورأين أن العناية الإلهية دليلها هو حبّ الله تعالى لهن بأن كافأهن فجعل إخلاصهن وحبهن له وحده سبحانه.

٢_ حال الرّجاء :

يذكر الطوسي (ت: ٣٧٨هـــ) في كتابه اللمع: "والرجاء حال شريف، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرجُوا اللهَ واليَوْمَ الآخِرِ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ... فالرجاء في ثواب الله وفي سعة رحمته: لعبد مريد، قد سمع من الله ذكر المنن، فرجاه، وعلم أن الكرم والفضل والجود من صفات الله فارتاح قلبه إلى المرجو من كرمه وفضله"[٣].

وجاء في منازل السائرين في ذكر باب الرجاء أنه على ثلاث درجات: "الدرجة الأولى رجاء يبعث العامل على الاجتهاد، ويولّد التلذذ بالخدمة، ويوقظ الطباع للسّماحة بترك المناهي.

---

(١) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص٢٨١.
(٢) ابن الجوزي : صفة الصفوة، ص ٨٦٢.
(٣)الطوسي، أبو نصر السراج: اللّمع ، ص٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والدرجة الثانية رجاء أرباب الرياضات، أن يبلغوا موقفا تصفو فيه هممهم، برفض الملذوذات، ولزوم شروط العلم، واستقصاء حدود الحمية، والدرجة الثالثة رجاء أرباب القلوب، وهو رجاء لقاء الحق عز وجل، الباعث على الاشتياق، المنغّص للعيش، المزهد في الخَلق"[١].

ويذكر الإمام القشيري الرجاء في رسالته فيستفتحه ببيت شعري، يمهد به لذكر ما قيل في هذا الباب وفضائله، ثم يعرّفه فيقول:

"هو تعلق القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل. وكما أن الخوف يقع في مستقبل للزمان، فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل في الاستقبال وبالرجاء عيش للقلوب، واستقلالها. والفرق بين الرجاء وبين التمني، أن التمني: يورث صاحبه الكسل، ولا يسلك طريق الجهد والجد، وبعكسه صاحب الرجاء، فالرجاء محمود، والتمني معلول"[٢].

فلما كان لابد من الاجتهاد في التصوف، فإن الرجاء من بين الأحوال التي يرجو المتصوفون الظّفر بها، وهو الذي يسمو بهم إلى كسب حب محبوبه الأعظم، فيكون لهم التلذذ والشغف في رجائهم للمولى دون ملل أو كلل.

تقول رابعة:

يـــا طبيب القلب يا كل المنى جد بوصل منك يشفي مهجتـــي

يا سروري وحياتي دائمـــــا نشأتي مـــنك وأيضا نشوتـــي

قد هجرت الخلق جمعـــاً ارتجي منك وصلا فهو أقصى منيتي[٣]

فضلا عما ذكرناه سابقا في موضع متقدّم من هذا الفصل فإنّ هذه الأبيات أيضا تشي بحال الرّجاء وتوضّحه عند صاحبته فهو يتمثّل عندها في كونها تخشى هجر الله لها، فهي تتمنى وصاله لها دوما؛ لأنها لأجل هذا الوصال قد هجرت جميع خلقه، وهي بذلك جعلت حياتها مخصصة له وحده.

وقالت أيضا:

قد هجرت الخلق جمعا أرتجي منك وصلا فهو أقصى منيتي[٤]

---

[١] الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ٣٤-٣٥.
[٢] القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص٢٤٤-٢٤٥.
[٣] الحريفيش : الروض الفائق، ص ١١٨.
[٤] المصدر السابق، ص ١١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقالت جارية مجهولة:

ومـالي حيلةٌ إلا رجـائـي لـعفوك إن عفوتَ وحُسْنُ ظني[1]

يعكس هذان البيتان بلاغة واضحة وشاعريّة متدفقة عند قائلتيهما، فانظر إلى التشبيه البليغ الذي قام عليه البيت الأوّل وكيف ماهت به بين الذّات الإلهيّة ورجائها إلى درجة تجعلنا نفهم غاية الرّجاء عند الصّوفيّة وهي الوصول إلى مرجوّهم والحلول فيه. هذا إلى جانب ما يظهره البيتان من تلازم دقيق بين أحوال مختلفة مثل حال المحبّة وحال الشّوق.

وقالت ريحانة في الرجاء:

بوجهـك لا تعذبني فـإني أؤمـل أن أفـوز بخيـر دار

منجـدة مـزخرفة العلالي بهـا المأوى ونعم هي القـرار

وأنت مجـاور الأبـرار فيها ولـولا أنت ما طاب المـزار[2]

في هذا البيت تقابل ريحانة بين عفو الله ورجائها بالجنّة ، ولكنّ الجنّة المرجوّة عندها لا تستمدّ قيمتها إلاّ من مجاورة الله لأهلها وقربه منهم . وهو ما يجعلنا نحدّد مفهوم الرّجاء عند هذه المتعبّدة ومن ورائها بقيّة المتصوّفة ، ألا هو أملهم الكبير في جنّة القرب لا جنّة المتع والملذّات.

وقالت رابعة الشامية:

وزادي قليل ما أراه مبلّغـي أللزاد أبكي، أم لطول مسافتي؟

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك أين مخافتي؟[3]

في هذه الأبيات الشعرية اختلفت أنواع الرجاء بين من كتبت ترجو وصل الله وعدم هجره لها، وبين من ترجوه أن يرحمها ولا يعذبها رغم قلة زادها وكثرة ذنوبها، وبين من ترجو عفوه لحسن ظنها به، فالرجاء هو سؤال الله مع خضوع النفس والقلب؛ لأنّ ذلك هو مفتاح استجابة الله وتحقق صدق هذا الرجاء.

---

(١) اليافعي : روض الرّياحين، ص ١٢٩.
(٢) النيسابوي: عقلاء المجانين، ص٢٨١.
(٣) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٨٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣_ حال الشَّـوق :

يحملُ هذا الحال اسم مقام معروف هو مقام الشّوق ولهذا يُسمّيه بعض الصّوفيّة حال الاشتياق حتّى يفصلوا بينه وبين مقام الشّوق الذي يروم كلّ صوفيّ الارتقاء إليه متى كانت رحلته ، سالكا، من ذاته إلى الذات الإلهيّة، في حين أنّ الحال ناجم في اتّجاه معكوس من الذّات الإلهيّة المحبّة الرّاضية إلى ذاته المشتاقة. وهو بذلك عندهم مرتبط بالمحبّة لأنها متى تحققت وتعمّقت واستولت على القلوب هيّجت رغبة جارفة في اللقاء وحنينا بالغا إلى المحبوب ونارا لا تنطفئ أبدا. مع العلم أنّ الفصل بين المحبّ والمحبوب هنا هو فصل منهجيّ لا غير لأنهما يتساويان في المعنى والحال، بحيث يتساوى الصّوفيّ مع الله في ذلك ، فكلاهما في شوق إلى الآخر. فالله عبّر عن ذلك في خطابه إلى عبيده والصّوفيّ عليه أن يرتاد المقامات والأحوال.

"روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم): أنه قال: «ألا هل مشتاق إلى الجنة؟ هي ورب الكعبة ريحانة تهتز، ونهر مطرد وزوجة حسناء» وروي عنه عليه السلام أنه كان يقول في دعائه: «أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك». ولذة النظر إلى وجه الله تعالى في الآخرة، والشوق إلى لقائه في الدنيا... والشوق هو لعبد قد تبرم ببقائه شوقا إلى لقاء محبوبه"[١].

وفي حديث الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي عن حال الشوق عند الصوفية قال: "الشوق هبوب القلب إلى غائب، وفي مذهب هذه الطائفة علة الشوق عظيمة، فإن الشوق إنما يكون إلى غائب، ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة ولهذه العلة لم ينطق القرآن باسمه، ثم هو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى شوق العابد إلى الجنة، ليأمن الخائف، ويفرح الحزين، ويظفر الآمل. والدرجة الثانية شوق إلى الله عز وجل، زرعه الحب الذي نبت على حافات المِنن، فعلق قلبه بصفاته المقدسة، فاشتاق إلى معاينة لطائف كرمه، وآيات بره، وأعلام فضله. وهذا الشوق تفثأه المبار، وتخالجه المسار، ويقاويه الاصطبار. والدرجة الثالثة نار أضرمها صفو المحبة، فنغّصت العيش، وسلبت السلوة، ولم ينهنهها معز دون اللقاء"[٢].

من خلال هذه التعريفات ندرك أنّ الشّوق رغبة متأجّجة متصلة بالمحبة تحمل الصّوفيّ إلى أسمى درجات الوجد والانشغال القلبي الصّميم سعيا للذّة اللقاء بالنّظر إلى وجه الله طمعاً في رضاه.

---

[١] الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع، ص٩٤.
[٢] الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص٩١-٩٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قالت ريحانة:

يا عزيزي وهمتي ومرادي طال شوقي متى يكون لقاكا[١]

وقالت أيضا:

برى أعظمي شوقي فأوهن قوتي وحالفتُ أحزاني فهاج رقادي[٢]

في البيت الأوّل نداء تحدّد المتعبّدة في المنادى صورة حبيبها وتشكو في رسالته من شدّة شوقها إليه ، في حين أنها في البيت الثاني تصف حالها وتأثير شدّة الشّوق فيها وهو ما يبيّن بوضوح أثر هذا الحال فيها ، وما يفسّر أيضا أهميته عند الصّوفيّة عموما.

وقالت رابعة فيه:

تركتُ هوى ليلى وسُعدى بمعزل وعُدتُ إلى مصحـوب أوّل منزلِ

ونادت بي الأشواق: مهلا! فهــذه منازل من تهوى رويدكَ! فانزلِ[٣]

تبدو رابعة في هذا البيت "نواسيّة" المذهب – إن صحّت العبارة – في موقفها من الحبّ الإنساني في الغزل، فهي تدعو لتجاوزه كما فعل أبو نواس مع أطلال حبيبات الجاهليين، لترسي مفهوما للحبّ هو الحبّ الإلهي الذي فرضه حال الشّوق، فالحبّ إذن والشوق متلازمان في علاقة جدليّة بحيث يصنع الواحد الآخر. فالشَوق إذن عند الصّوفيّة؛ المحبّة، يجب أن يكون مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً ببقية الأحوال التي سبقته، فلا محبة بدون شوق، ولا شوق دون رجاء.

ومن أحوال الشوق، أن أم أيمن بنت علي وزوجة أبي علي الرّوذباري (ت٣٢٢هـ) "خرجت يوماً...وقت خروج الحجاج، والجمال تمر بها وهي تبكي وتقول:

فقلت: دعوني وآتَباعي ركابكم أكن طوعَ أيديكم كما يفعلُ العبد

وما بال رغمي لا يهون عليهمُ وقد علموا أن ليس لي منهم بدّ

وتقول: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف يا ترى حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت؟"[٤].

---

[١] السلمي، أبو عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص٣٨.
[٢] النيسابوري: عقلاء المجانين، ص٢٨١.
[٣] بدوي، عبد الرحمن: سيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، ص٢٠.
[٤] ابن الجوزي، صفة الصفوة :ص ٨٧٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالشوق إلى زيارة بيت الله الحرام جعلها تكون عبدة مأمورة عند الحجيج تعمل ما يريدون بلا هوان، من أجل تحقيق الشوق باللقاء، فكيف بها تعمل من أجل لقاء الله تعالى؟ فلا النفس ولا الجسد يقفان أمامها من أجل هذا التحقيق بالنظر واللقاء.

ومن الشوق نعرج إلى حال الخوف، والخوف من الله صفة لازمت قلب كل متعبد يخشى الله ويخاف عذابه، وللنساء الصوفيات محطات توقفن فيها عند حال الخوف.

٤_ حال الخَــوف :

قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم خَوْفاً وطَمَعاً﴾ [السجدة: ١٦]، وجاء في الجامع الكبير للترمذي في فضل البكاء من خشية الله والخوف منه وقال الرّسول: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»[١].

و"الخوف هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر، وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الخوف من العقوبة: وهو الخوف الذي يصح به الإيمان، وهو خوف العامة، وهو يتولد من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العاقبة. والدرجة الثانية خوف المكر في جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة، المشوبة بالحلاوة، وليس في مقام أهل الخصوص وحشة الخوف إلا هيبة الإجلال، وهي أقصى درجة يشار إليها في غاية الخوف: وهي هيبة تعارض المكاشف أوقات المناجاة، وتصون المشاهد أحيان المسامرة، وتقصم المعاين بصدمة العزة"[٢].

فالخوف عند الصّوفيّة هو خوف الحبّ و مطلب القرب والرّضا ، وهو خوف تفرضه الهيبة والعظمة الإلهيّتين وهو ما يختلف في معناه عند العامّة خوف من العقاب لا غير.

وقد جاء في كتاب اللمع للطّوسي أن حالي الخوف والمحبة هما اللذان يدفعان الصّوفيّ إلى البحث عن القرب من الله ، فالخوف يدفعه إلى طلب القرب احتماءً، والحبّ يدفع إلى إرادة القرب من الله كما يفعل المحبوب مع حبيبه "فمنهم من يغلب على قلبه الخوف من نظره إلى قرب الله منه، ومنهم من يغلب على قلبه المحبة، وذلك على حسب ما قسم الله للقلوب من التصديق وحقيقة اليقين والخشية، وذلك من كشف الغيوب، فإن شاهد قلبه في قربه من سيده عظمته وهيبته وقدرته فيؤديه ذلك إلى الخوف والحياء والوجل، وإن شاهد قلبه في قربه لطف

---

[١] الترمذي، أبو عيسى محمد(٢٧٩هـ/٨٩٢م): الجامع الكبير، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، المجلد الرابع، الحديث رقم:٢٣١١، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٩٩٦م، ص١٤٤.

[٢] الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص٢٦-٢٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيده وقديم عطفه وإحسانه له ومحبته أداه ذلك إلى المحبة والشوق والقلق والحرق، والتبرم بالبقاء، وذلك بعلمه ومشيئته وقدرته..."[١].

قالت ريحانة:

ويلي لذنبي في كتابي ويلي ويلي إذا نودي باسمـي ويلـي

ويلـي إذا قيل خذوها ويـلي ويلي إلى النار مصيري ويلـي[٢]

رغم ما ذكرنا من أمر خوف الصّوفيّة فإنّ ريحانة في هذين البيتين لا تختلف عن العامّة في ربطها لمفهوم الخوف بالذّنوب والعقاب، ولكنّ المتمعّن في مقولها والعارف بسيرتها يدرك دون جهد كبيرٍ أنها ما خافت العقاب بقدر ما خافت عدم رضا الله عنها، فالزاهد الصّابر لا ترهبه الشدّة، شدّة النّار، بقدر ما يرهبه أن يكون العقاب عنوانا لغضب "حبيبه"، وهذا ما يجعلنا نؤكّد مرّة أخرى على تلازم الكثير من الأحوال عند الصّوفيّة. وهذا بالضّبط ما تؤكّده تحفة بقولها:

وخفتُ ممّـا جنيت قِدمـاً فوقـع الحـبُّ بالأمـان[٣].

إنّ الخوف عند تحفة هنا ، هو خوف الصّوفيّ من ذنوبه السابقة ولكنّه ينعدم ويحلّ محلّه الأمان بحال أخرى هي حال الحب.

وقالت عابدة سوداء:

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدْر في أيٍّ المحلين تنزلُ[٤]

وهو عند هذه العابدة حيرة بين مآلين في الأخرة ، هما مآل الجنّة المأمولة والنار المرهبة. وبهذا يكون الخوف عند الصّوفيّة حال ملازمة لهم ما داموا على طريق العبور إلى الذات الإلهية ولم يقتربوا منها بعد.

وقالت رابعة الشامية:

وزادي قليل ما أراه مبلّغـي أللزاد أبكي أم لطول مسافتـي

أتحرقني بالنار ياغاية المنى فأين رجائي فيك: أين مخافتي[٥]

---

[١] الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع ، ص٨٩.
[٢] النيسابوري: عقلاء المجانين، ص٢٨٤.
[٣] المصدر السابق، ص ٣٣٧.
[٤] ابن عربي ، رسائل ابن عربي، ص٢٢٢.
[٥] ابن الجوزي: صفة الصفوة ، ص ٨٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعند رابعة كما تبيّنه هذه الأبيات فهي حال ممزوجة بحال ، حال الخوف وحال الرّجاء، لأنّ الثانية هو السبيل إلى النّجاة من النار التي تبعث خوفها وتذكّيه.

إذن ، فالخوف عند الصوفية يعني مخافة الله، والخشية من عذابه وغضبه وسخطه، وهو أمر معروف عند العامة، وهو أيضا عندهم مخافة المحبّ من عدم رضا محبوبه بغض النّظر عن مسألة الثّواب والعقاب. وهو كما رأينا متعدّد الدّوافع ممزوج بأحوال أخرى.

٥_ حال السُّكــر :

يحُدّه الصّوفيّة بكونه درجة قصوى من درجات الطّرب، درجة يفقد معها قدرته على ضبط أفعاله من شدّة الوجد. وهو من" مقامات المحبين خاصة، فإن عيون الفناء لا تقبله، ومنازل العلم لا تبلغه، وللسّكر ثلاث علامات: الضيق عن الاشتغال بالخبر والعظيم قائم واقتحام لجة الشوق والتمكن دائم، والغرق في بحور السرور والصبر هائم، وما سوى ذلك فحيرة تنحل اسم السّكر جهلا، أو هيمان يسمى باسمه جورا، وما سوى ذلك فكله نقائص البصائر، كسكر الحرص، وسكر الجهل، وسكر الشهوة"[١].

وجاء في الرسالة القشيرية: "والسّكر: غيبة بوارد قوى. والسّكر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطا إذا لم يكن مستوفياً في حال سكره، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره، وتلك حال المتساكر، الذي لم يستوفه الوارد، فيكون للإحساس فيه مساغ، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة، فربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذ قوى سكره، وربما يكون صاحب الغيبة أتم في الغيبة من صاحب السكر، إذا كان متساكراً غير مستوف. والغيبة قد تكون للعباد، بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة ومقتضيات الخوف والرجاء. والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد"[٢].

في حال السّكر ينزاح الصّوفيّة عمّا يحيط بهم فتنبسط قلوبهم ويتوارى ورعهم وخوفهم وزهدهم فيستمرون به ، مستمتعين بما فيه من وجد .

وروي أنّ محمد بن واسع (ت١٢٠هـ)" دخل على رابعة وهي تتمايل، فقال لها: مِمّ تمايلك؟ فقالت: سكِرتُ في حبِّ ربي الليلة، فأصبحت وأنا منه مخمورة"[٣]. فحال السّكر عند رابعة قد أثر في قواها البدنية أيضا فأصبحت متمايلة لشدة ما أصابها من وجدٍ بحب الله تعالى.

وتقول رابعة العدوية :

كأسي وخمري والنديم ثلاثة وأنا المشوقة في المحبة رابعة

كأس المسرة والنعيمُ يديرهـــا ساقي المدام على المدى متتابعة

---

[١] الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص١٢٠-١٢١.
[٢] القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص١٥٣.
[٣] السلمي، ابو عبد الرحمن ، ذكر النسوة المتعبدات، ص: ٣٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا نظرت فلا أرى إلا له وإذا حضرت فــلا أرى إلا معه

يا عاذلي إنـــــــي أحب جماله تالله ما أذنـــــــي لعذلك سامعة[١]

إنّ هذه الأبيات، وحال السكر عامّة، من الأمور التي عوتب فيها الصّوفية بل حوربوا وكفّروا، والمجال يضيق عن التوسّع في ذلك، ولكن يكفي أن نورد ما فسّر به عبد الرحمن بدوي هذه الحال عندهم إذ رأى أنّها يمكن أن تفهم في إطار ما يسمّى بالخُلّة عند المتصوّفة ، فقد جعل لهم الله " السرقة والزنا وشرب الخمر والفواحش كلّها على وجه الخُلّة التي بينهم وبين الله، لا علة وجه الحلال، ولكن علة وجه الخُلّة كما يحلّ للخليل الأخذ من مال خليله بغير إذنه" [٢]. لا شكّ أنّ هذا رأي اتهاميّ ينظر إلى السكر نظرة ماديّة سطحيّة، ونحن نرجّح ككثير كم غيرنا أنه سكر معنويّ ينجم عن طرب شديد ووجد هو شبيه بحال السكر من الخمرة بل أقوى وأشدّ لأنّ المسكر فيه ليس إلاّ الحبيب الأسمى.

قالت تحفة:

سقـــاه من محبَّته بكأس فأرواه المهيمنُ إذا سقاه

فهـــام بحبِّه وسما إليه فليس يريد محبوبا سواه[٣]

وفيه قالت أيضا:

معشر الناس ما جننت ولكن أنا سكـرانــة وقلبـــي صاحي

أنا مفتونــة بحبّ حبيـــــب لست أبغي عن بابه من براح[٤]

في هذه الأبيات تفسّر حالة السّكر وتردّه إلى منبعه الأول إذ تراه هبة من الذّات الإلهية وهبها إلى أحبّائه فصار بذلك حالا يفضي بالسّالك إلى رؤية الله والتقرّب منه. وما الكأس هنا كأس ماديّة وإنما هي من المجاز الذي يقصد به تقريب الصّورة إلى ذهن المتلقي كقولنا " سقى فلان علاّنا كأس الهوان " أو " سقاه كأس الحبّ ". فرابعة هنا إنما أشارت إلى الكأس بذلك المعنى الذي يريد أنّ يؤكّد فعليّة الله في زرع محبّته في قلوب أحبائه. وإن غاية ما فعلت هو أنها استعارت معجم الشُّرب لتقريب المعنى لا أكثر.

---

[١] بدوي، عبد الرحمن: شهيدة العشق الإلهي، ص١٧٣. (ذكره بدوي، نقــلا عــن كتــاب"**شرح حال الأولياء**" تصنيف عزالدين المقدسي، مخطوط رقم ١٦٤١ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس: شرح حال رابعة رضي الله عنها).

[٢] المصدر السابق، ص ٦٣.

[٣] ابن عربي : الكوكب الدريّ في مناقب ذي النون المصري، تح:محمد عبد الفتاح، ط١، مؤسســة الانتشــار العربي، بيروت،لبنان، ٢٠٠٢م، ص ٢٧٠.

[٤] اليافعي، روض الرّياحين، ص ٣٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- حال الغَيبــة:

الغَيبة من الأحوال عند الصوفية، وقد عرفها الطوسي في كتابه اللّمع: "والغيبة غيبة القلب عن مشاهدة الخلق بحضوره ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر العبد، والغشية هي غيبة القلب بما يرد عليه ويظهر ذلك على ظاهر العبد"[١].

فالغَيبة في أبسط صورها تعني تغييب الذات عن كل شيء وتسليطها لمشاهدة الخالق وحده والانشغال بعبادته .

وقد ورد في موسوعة المصطلحات الصوفية تعريف الغَيبة على أنها: "غَيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحسّ بما ورد عليه"[٢].

"والغَيبة التي يشار بها في هذا الباب على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: غيبة المريد في مخلص القصد عن أيدي العلائق، ودرك العوائق، لالتماس الحقائق. والدرجة الثانية: غيبة السالك عن رسوم العلم، وعلل السعي، ورخص الفتور. والدرجة الثالثة: غيبة العارف عن عيون الأحوال والشواهد والدرجات في حصن الجمع"[٣].

يظهر من خلال هذه الدرجات الثلاث أنّ الصّوفيّة يحاولون بها تفسير هذه الظاهرة التي تنتابهم متّبعين بذلك أسلوب التّدرّج الذي نجده عندهم في المقامات والأحوال بحثا عن الحقيقة، وهي بالإجمال انقطاع كلّي عمّا سوى الله. ولا يختلف في ذلك الصّوفيّة الرّجال عن النّساء منهم.

وفيه قالت عوسجة:

صــافِهِ الــودَّ شــاهدا كــنت أم كــنت غائبــا

لا تــرِدْ غير ذي الجــلا ل رفيقــاً مُصاحبــا[٤]

بقولها هذا أرادت أن تصف القلب وهو مصدر الحب، يبقى مدركاً لمن يحب حتى في حالة الغياب الفكري والحسي، وهذا وصف دقيق لتقلبات الحال من الوضع الطبيعي إلى وضع خارج نطاق الوضع العام لدى العامة من الناس، فكأنها تقول إنّ الود والاتصال يبقيان لله سواء كنت بحال طبيعي أم بحال الغياب.

---

[١] الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع في التصوف، ص ٤١٦.
[٢] العجم، رفيق، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص ٦٩٥.
[٣] الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص ١١٠-١١١.
[٤] النيسابوري: عقلاء المجانين، ص٣٠١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالغيبة إذن هي حال من أحوال الصّوفيّة ، وهي وسيلتهم في الانقطاع إلى الله والتقرّب منه وهي طريقهم أيضا لإدراك الحقائق التي يستعينون بها في رحلتهم نحو الذّات الإلهية ونحو الحلول فيها.

٧_ حـال الأُنـــس :

"قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيَ عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، الأنس عبارة عن روح القرب، وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى الأنس بالشواهد، وهو استحلاء الذكر، والتغذي بالسماع، والوقوف على الإشارات، والدرجة الثانية الأنس بنور الكشف، وهو أنس شاخص عن الأنس الأول، تشوبه صولة الهيمان، ويضربه موج الفناء، وهذا الذي غلب قوماً على عقولهم، وسلب قوما طاقة الاصطبار، وحل عنهم قيود العلم ... والدرجة الثالثة أنس اضمحلال في شهود الحضرة، لا يعبر عن عينه، ولا يشار إلى حده، ولا يوقف على كنهه"[١].

فهنا الأنس بالله يكون متحققاً بالقرب منه سبحانه؛ لذلك تجد المُحبين يأنسون بذكر الله تعالى فتكون الأنوار حولهم اشارةً لأنسهم فتعلقوا فما استأنسوا إلا لِما رأوا من الحلاوة الروحية عند الذكر بخلوتهم، وكذلك أنس الكشف إلا أنه قد يَغلِب الذاكر ويفقده رشده فيهيم لعدم قدرته على تلك المشاهدة، وأشدّهم الثالث فهو لا يقاس ولا يمكن تمثيله أو وصفه.

وأهل الأنس على ثلاثة أحوال: فمنهم من آنس بالذكر واستوحش من الغفلة، وأنس بالطاعة واستوحش من الذنب. ومنهم من استأنس بالله واستوحش مما سواه من العواض والخواطر المشغلة، والأنس بالله اقــتضى الطمأنينة"[٢].

فالأنس حال من أحوال الصوفيات حيث يجدن فيه ملذتهن بالقرب من الله، فيجدن أنسهن بالذكر والتعبد والسماع والإنشاد، وغيرها مما يقربهن من الله، ويوطد علاقتهن به، فيصلن بذلك إلى الطمأنينة التي أردنها .

تقول العابدة التقية تحفة:

يـا سرور السرور أنت سروري يـا حياة النفوس أنت حبوري
أنت نــاري وجـنتــي ونــعيمــي وأنـــيسي وأنت نور النــور[٣]

وقالت أيضا:

يا من يــرى وحشتي فآنسني بالقرب من وصله فــأنعشني

---

[١] الهروي، عبد الله الأنصاري: منازل السائرين، ص٦٩-٧٠.
[٢] انظر: الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع في التصوف، ص٩٦-٩٧.
[٣] الحريفيش،الروض الفائق، ص ٢٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يا ساكني لا خلوت من سكني دهري وياعدتي على الزمن[١]

وقالت ريحانة:

فإن أمنت خـــوف الفراق من ألفها أحبّت حبيبا يطلب الأنـــس من قرب

رضيْها فأرضته فحازت من الرضى وحلّت من المحبوب بالمنزل الرّحب[٢]

في هذا البيت أيضا، كما بيّنا سابقا، تلازم طريف بين أحوال أربعة، حال الخوف وحال المحبّة وحال الرّضا وحال الأنس، فكأنّ هذه الأحوال الأربعة هي الطريق للوصول إلى الله كما يعبّر عنه عجز البيت الأخير، وهذا ما يجعلنا نجزم أنّ أحوال الصّوفيّة هي في نهاية الأمر حال واحدة يمكن أن نسمّيها تجوّزا حال "السلوك" أي حال الارتحال التي يسلكها السالك إلى غايته القصوى.

وقالت رابعة في الأنس أيضا:

يا ســـرُوري ومنيّتِي وعِمادِي وأنِيســـي وعُـدَّتي ومُـرادي

أنت رُوحُ الفُـؤادِ أنت رَجائي أنت لي مُـؤنِسٌ وشَوقٌ كَزادِي

أنت لولاكَ يا حياتي وأنســـي ما تشتتُ فـــي فسيح البـــلادِ[٣]

قالت أيضا :

ولقد جعلتك في البلاد محدّثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم منّي للجليس مؤانـس وحبيب قلبي في الفـؤاد أنيسي[٤]

وقالت إحدى العابدات:

يا ذا الذي أنس الفؤاد بذكره أنت الذي ما إن سواه أريـد

يا منيتـــي دون الأنام وبغيتي يا من لـــه كل الأنـــام عبيد

تفنى الليالي والزمان بأسره وهواك غض في الفؤاد جديد[٥]

---

[١] الحريفيش، الروض الفائق ، ص ٢١٩-٢٢٠.
[٢] النيسابوري ، عقلاء المجانين، ص ٢٨٠
[٣] الحريفيش، الروض الفائق، ص ١١١.
[٤] ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٨٥٩.
[٥] الحريفيش، الروض الفائق، ص ١١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ هذه المقطّعات الثلاثة جميعها تقوم على بحور شعريّة شديدة النّغميّة تلائم ما في النّداء المصاحب لها من مناجاة وتضرّع، فانظر إلى إمكانات بحر الخفيف في الأولى وبحر الكامل في الثانية والثالثة لتدرك أنّ هؤلاء الشاعرات إنما يخاطبن "مؤنسهنّ" على إيقاع قلوبهنّ النّائقة المتلهفة العاشقة. فجاءت عبارتهنّ منساقة مع ذلك انسياقا عجيبا على ما يبدو في الأبيات من بساطة، فلقد هيمن معجم الأنس عليها بحيث صار عنوانا لها ومدخلا بفهمها، فمفردات من قبيل "سرور" و "حبور" و"نعيم" وغيرها تجعل من حال الأنس حالا "استثنائيّة" قد لا تتلاءم مع مقامات وأحوال تحضر فيها المجاهدة والكدّ وشظف العيش، ولكنّ الأمر يصبح مقبولا إذا أدركنا أنّ تلك، ما هي إلاّ طريق من أجل الأنس والسّرور، حيث القرب من الغاية القصوى وحيث تنعم الصّوفيّة بلذّة اللقاء. وهذا ما يتأكّد لدينا حينما نتأمّل قول جارية تخاطب الله تعالى وتقابل فيه بين الأنس والتّفجّع، بين السّرور ونقيضه حتّى لكأنها بذلك تهوّن من أمر تلك المجاهدات والمعاناة وغيرها . تقول :

يا مؤنس الأبرار في خلواتهم يا خير من حطّت به النُّزالُ

من نال حُــبَّكَ هل ينال تفجعاً القلب يعلم أن ذاك محـــــال[1]

تُناجي الجارية العابدة ربها بالنداء الذي وظّفته لتعداد صفاته عندها، وتورد اسم الذات الإلهية مضافا إلى لفظة " الأبرار" التي تشملها هيّ وتشمل غيرها كن الذين سلكوا مسلكها ، بحيث يصير حال الأنس مشروطا ببرّ الله ومخصوصا بفئة معيّنة، هي الفئة التي أحبها الله، كما يبيّنه الاستفهام الإنكاري في البيت الثاني.

نختم هذا الفصل فنقول إنّنا جمعنا وما رأينا أنه ينطبق مع كلٍ من المقام أو الحال من أشعار الصّوفيات. ولكن ما يمكن ملاحظته، هو أنّ هذه الأشعار في مستوى بنائها وشكلها وردت في الأغلب على شكل مقطّعات قصيرة أو أبيات محدودة، على عكس ما نجده عند الصّوفيّة الرجال، ولكنّها رغم ذلك كانت مشحونة بمادّة بلاغيّة، من تشبيه وكناية واستعارة، وغيرها، أغنت المضمون ووسّعت الدلالة وشبّعت الصّورة الشعريّة فيها حتّى دلّت بجلاء على موضوعها وعبّرت تعبيراً قويّا عن مختلف المقامات والأحوال المدروسة.

أمّا من حيث المضمون، فبغض النظر عن بعض الالتباسات التي لاحظناها خاصّة في مستوى نسبة الأبيات إلى قائلتها الحقيقيّة، فإنّ أشعار النّساء الصّوفيات، استطاعت أن تقف بنا على عتبات المقامات الصّوفيّة وكشفت لنا عن صورها ومراتبها ودرجاتها، وما وجدنا في ذلك

---

[1] ابن عربي، الكوكب الدريّ، ص٢٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اختلافا ميّز الرّجل الّصوّفيّ عن المرأة الصّوفيّة. ولكن في مستوى تعبيرها عن الأحوال فهو في نظرنا من نقاط قوّتها إذ تمكّنت المتعبّدات كما قلنا سابقا رغم ضيق المساحة النّصيّة من كشف مدى ترابط هذه الأحوال وتلازمها بحيث تمكّننا من الإلمام بمختلف مظاهرها وصورها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

أشكال النثر النّسوي الصوفي ومضامينه

سَعَتْ التجربة الصوّفية إلى تجسيد صورة الإنسان المثاليّ، ولكن بمنظار مختلف يندرج ضمن رؤية خاصّة للوجود الإنساني ، فهي تشكل مثالا لتحول الذات من صورة سالبة في صيرورتها بتلقٍ من مفردات الخيال / المثال الى صورة ايجابية من خلال استلهام التدرج الاكتمالي لحالة التصور، وهي صورة تُختزل بالرموز والعلامات التي ليس من السهل فك طلاسمها وفهم عباراتها، فهو " نزوع ذاتي تأملي يعتمد على خيال الفرد وتجربته وذوقه ويهتم على الخصوص بالنفس وصفاتها"[1] وانعكست هذه التجربة بطبيعة الحال على الأدب الصّوفيّ شعراً ونثراً. وكان للمرأة حضور مهم في هذا المجال، وسنقف في هذا الفصل على بعض أشكال النثر عند النّساء الصّوفيات اللاتي نقل عنهنّ المترجمون وكتّاب الأعلام شيئاً منه، وإن كان المنجز الصوفي النثري الذكوري أغنى منه وأوفر كمّا.

ومن بين الأشكال النثرية المختلفة– اخترنا منها للدراسة تنظيراً وتطبيقاً، أربعة أشكال، سنقف عندها لنستقرئَ ملامحها ونستجلي مضامينها ودلالاتها وأبعادها، ومن ثمّة نلمّ ببعض خصائص الآثار النثرية الصوفية. وسنستهلّ بحثنا بمبحث العبارات ومنه إلى الوصايا ثمّ الرؤى لنختم بمسألة الحكايات.

إنّ تقديمنا لمبحث العبارات لا يعني أهميته مقارنة ببقية المباحث، ولكن لكونه يفوق من حيث الكم بقيّة المجالات.

١- العبارات:

سنحاول في هذه المرحلة من البحث النظر في العبارة الصّوفيّة النّسويّة تصنيفا نروم به فهم بواعثها، واستقراءً يمكّننا من الوصول إلى استجلاء بنائها اللغوي وتبيّن مدى صلتها بالمصطلح الصّوفي، ثمّ تحليلا نهدف به إلى تبيان دلالاتها ومعانيها.

لا بدّ من الإشارة أوّلا إلى أنّ العبارة الصّوفية النّسوية على خصوصياتها، إنها تمثل شاهداً على بعض مباديء التّصوف ولغته، فمبادىء التّصوف عند غالبية الصوفية، خمسة، وهي:

---

[1] التصوف الاسلامي بين التأثر والتأثير : حوليات التراث مجلة علمية محكمة تعنى بـــالتراث، العـــدد ١٠ ، ٢٠١٠م، جامعة مستغانم – الجزائر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صفاء النّفس، وقصد وجه الله، والتمسّك بالفقر والافتقار، وتوطين القلب على الرحمة والمحبّة، وأخيراً التّجمّل بمكارم الأخلاق التي بعث الله بها النبيَّ لتمامها [١].

ولا يجب أن يفوتنا أن نذكر في هذا الموضع، أنّ هذه العبارات الصوفية النسوية، وإن استقرّت على النّحو الذي وصلنا، فإنها كانت سليلة تطوّر عبر العصور منذ عهد البدايات والارهاصات الأولى للتصوّف، ومرحلة الزهد . فقد تطوّرت في كمّها ونوعها منذ أواخر القرن الثاني هجري إلى ما بعد القرن السادس، فمن قولين اثنين فقط ذكرهما الجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) في كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين، إلى أكثر من ثلاثمائة وعشرون قولا صارت معروفة عن رابعة في القرن السادس وما تلاه إلى اليوم . وهو ما يجعلنا نتساءل عن مصادر هذه الأقوال وكيف تكثّرت[٢].

ولكن بغضّ النظر عن مدى موثوقية هذه الأقوال من عدمها، فإنها تصوّر عامّة لغة المرأة الصّوفيّة العباسيّة ، بالصّورة التي هي عليها عند المتأخرين من ناقلي أخبارها.

وإذا نظرنا في المروي عن هؤلاء النّسوة المتعبّدات، نلاحظ حضوراً كبيراً لنصوص قصيرة، هي أقرب للعبارة منها إلى النّص. وهي ضربان؛ الأوّل: هو ما يمكن أن نسمّيه عبارة " اليومي" أو العبارة الاجتماعية، وأما الضرب الثاني: فهو ما أطلقنا عليه اسم العبارة االصّوفية .

فبالنسبة إلى عبارة " اليومي " نجدها خاصّة في الأخبار والسّير التي نقلها الرّواة والإخباريون ومؤلفو التراجم مثل: أبي عبد الرحمن السُّلمي (ت٤١٢هـ/١٠٢١م) وعبد الوهاب الشعراني (ت٩٧٣هـ/١٥٦٥م) وغيرهما، ممّا سنعرض له في ثنايا هذا البحث. وقد وسمنا العبارة سابقاً بسمة الاجتماعيّة، لأنها فعلا كانت وليدة مواقف اجتماعيّة ومعيشية بين الصّوفيات ومن أحاط بهنّ من ذويهنّ ومعارفهنّ في شتّى أغراض الحياة، وإن كانت هذه العبارات بسيطة في شكلها ومضمونها، وتنتمي إلى اللغة العادية ووظائفها النّفعية، وهي وإن حققت وظيفة الإبلاغ، فإنّها بلا شكّ ذات أهميّة بالغة لأنّها عبارات تصويريّة بالأساس، تصوّر أخلاق الصّوفيات وسلوكهنّ المشبع بالاستقامة والتأسّي بالنّبيّ(عليه الصلاة والسلام) وأخلاقه وعلى نحوٍ يكشف عن زهدهنّ.

وهي كذلك تكشف عن دورهنّ في محيطهنّ، وهو دور الرّاصد للزّلل والغلط، المنبّه للخير والمحذّر من الغفلة، دور ارتضته الشّريعة للمؤمن الصادق الغيور، والمتمثّل بالأمر

---

(١) انظر: خفاجي، محمد عبد المنعم : الأدب في التراث الصوفي ، مكتبة غريب ،القاهرة ، دت ، ص ١٥.
(٢) أنور أحمد حسن : رابعة العدويّة في التراث الإسلامي ، دراسة نقديّة http://tawaseen.com/?p=1884

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالمعروف والنهي عن المنكر، لذلك غلب على بناء هذه العبارات أساليب الإنشاء من أمرٍ ونهي واستفهام وتحضيض وغيرها.

فمن أخبار مريم البصريّة المعاصرة لرابعة العدويّة، أنها كانت تقول: " **ما اهتممت بالرزق، ولا تعبت في طلبه منذ سمعت الله عزّ وجلّ يقول : "وفي السماء رزقكم وما توعدون**[١]**"**[٢]. تبدو هذه العبارة جوابا لسؤالٍ أو ردٍّ عن عتابٍ ، وهي عبارة لا تخرج عن كونها عبارة تواصل اجتماعي رغم ما فيها من تضمين للقرآن ، ببساطة تركيبها وخلوّها من تعقيد العبارة الصّوفيّة، ومع ذلك فإنها تزخر بالدلالات والمعاني، فهي تصوّر زهد صاحبتها وأسلوبها في الحياة وثقافتها الدّينيّة وإيمانها بيقين وصول رزقها إليها.

وقد اشتهر عن رابعة الأزديّة البصريّة، عندما أراد عبد الواحد بن زيد الزاهد (ت١٥٠هـ/٧٦٧م) أن يتقدم لخطبتها، قالت له: " **يا شهواني، أيّ شيءٍ رأيتَ فيَّ من آلة الشهوة ؟ ألا خطبت شهوانيّة مثلك**"[٣]. إنّ هذا السّلوك يجعلنا نلمس بوضوح تميّز المرأة الصّوفيّة في صوفيّتها عن الرجل الصّوفي الذي قلّما نجد عنده هذه الرؤية للجنس والمتع الجسديّة، كما هو الحال لطلب عبد الواحد الزاهد، لخطبة رابعة الأزدية. وبذلك فقد كشفت هذه العبارة الاجتماعية أيضا عن بعض مسالك الصوفيّات في تفضيل التفرغ للعبادة، وطرح ما يشغل عنه كالزواج وما يتتبّعه من التزامات.

وهناك حوار دار بين رابعة العدويّة وحكيمة الدمشقيّة قالت فيه: " **بلغني أن زوجك يتزوّج عليك قالت: نعم. قالت: كيف يرضى مع ما يبلغني من عقله أن يشتغل قلبه عن الله تعالى بامرأتين ؟ أما بلغك تفسير الآية: (إلا منْ أتى اللهَ بِقَلبٍ سليم)** [٤] **؟ قلت: لا. قالت: هو أن يلقى الله تعالى وليس في قلبه أحد غيره**" [٥].إن مرحلة العشق التي يعيشها المتصوّف هي التي شغلته عمّا سواه، فأصبح يبصر بنوره ويسمع ما لا يسمعه البشر، هكذا انتقلت مفهومية التصوف والتدرج به من حالة الانكسار الى الالتئام وهو التئام يصل الى العشق الروحي، "يلاحظ دارس الأدب الصوفي أشعاراً كثيرة، بدت فيها المرأة رمزاً موحياً دالاً على المحبوب، وهو الله سبحانه تعالى. ويعد الشعر الصوفي من هذه الوجهة، شعرا غزليا تم للصوفية فيه التأليف بين الحب

---

[١] سورة الذاريات: الآية ٢٢.
[٢] ابن الجوزي : صفة الصّفوة، ص ٧١٠ – ٧١١.
[٣] السّلمي، أبو عبد الرحمن، ذكر النسوة المتعبدات الصّوفيات، ص ٥٤.
[٤] سورة الشعراء: الآية ٨٩.
[٥] السُّلمي، عبد الرحمن، ذكر النسوة المتعبدات الصّوفيات، ص ٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإلهيّ والحب الإنسانيّ، والتعبير عن العشق في طابعه يقدم هذا ّ تكوينها ونضجها الفن الروحي ..."[١].

يقترن الهمّ الأنثوي بالمحبّة الإلهيّة ، لتعبّر في عبارتها، تفضيل التفرغ لله وعبادته، عن الانشغال بالزواج، لأن مسلك الصوفية هو الانشغال بالله سبحانه وتعالى، وهو نهج العبّاد والعابدات.

وهي رموز لا يفهمها إلا من عايشهم، عارفا لحالهم ومقامهم، ولهذا تأخذ الألفاظ دلالات غير دلالاتها المألوفة، وتبدو مفتوحة على التأويل، هكذا تتسع اللغة، أن لغة الصوفي هي بالضرورة باطنية، غامضة[٢].

والعبارات، فيما تحمله من مضامين، لا تختلف عن مضامين الأقوال الشعرية عند الصوفيات، ولنتبيّن مدى صدق هذا الحكم فإن رابعة العدويّة، تقول:" **مُحب الله لا يسكن أنينُه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه**"[٣].وتقول أيضا :" **إلهي إن عبدتك خوفاً من الجحيم فحرم الجنة عليَّ، وإن عبدتُك لذاتك فأرني جمالك** "[٤].

وتشكل مقولتا رابعة العدوية اتجاهاً تصويرياً رائعاً لحالة التلاحم والاندماج الذاتي ، فالصورة لا تحقق عند رابعة بالحب الزائف الذي يتأتى من المصالح والمنافع وإنما يتأتى من خلال حالات الاندماج الروحي الخالص، البعيد عن ملذات العشق الدنيوي ودوافعه إذا صح قول ذلك، إنَّ اللغة التي تكلّمت بها رابعة تكاد تلامس المشاعر والقلوب في صورها وتتدفق فيها حرارة العشق ولوعته ، وليس أي عشق إنه عشق الذات الالهية الذي تتحقق فيه – عند الصوفية – ثلاثة أحوال: هي حال السّكر والوجد والنشوة، وهي تساعد على إطلاق القدرات الكامنة في الأعمال وعلاج التوتّر الروحي والعاطفي فينطبع بذلك كلام رابعة، وإن كان نثراً، بحالات الوجدان فيحاول أن يتخلّص من دونيّة النثر، بفعل بشريته، إلى علويّة الشعر، بفعل كونه من ينبوع الرّوح السّامية.

إن رابعة هنا اكتسبت سمات فنية وفتحت باب التأويل للقارئ ، وصارت تحاكي إيقاع دقات قلب الصّوفي وتتحرك في صميم نقائه الجسدي . تقول فاطمة النيسابوريّة (ت٢٢٣هـ): "

---

[١] نهزمى، يوسف هادي بور: المرأة والخمرة رمزان في الشعر الصوفي، مجلة التراث الادبي، ص ١٧٩.

[٢] ينظر : الشرع، فائز، التشفير بالتغاير في النص الصوفي ::٣٨٣. مجلة البحوث والدراسات الاسلامية تصدر عن الهيئة العلمية الاستشارية ، ديوان الوقف السني ، ع ٢٧ ، ٢٠١٢

[٣] كحالة، عمر رضا : اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١، ص٤٣١.

[٣] العطار، فريد: تذكرة الأولياء، مصحح: أحمد آرام، ص١١٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من لم يكن الله منه على بالٍ فإنّه يتخطّى كلّ ميدانٍ ويتكلّم بكلّ لسانٍ، ومن كان الله منه على بالٍ أخرسه إلاّ عن الصّدق ، وألزمه الحياءَ منه والإخلاص"[١].

هذا الخطاب تتضافر فيه مواطن الجمالية المتولّدة عن تحالف بين السّجع وأسلوب الشرط لجأت إليه المتكلّمة لصياغة متوالية منطقيّة تبدأ بحضور الخشية من الله في الإنسان وتنتهي بها، حيث الإخلاص، قول على استرساله وخطّيته الشكليّة يبدو دائرة منغلقة تبدأ بالله ، ولكن بين الذات والعودة اليها تنبثق صور التاويل الذي تُفسر وتبين حالات هذا التلاحم اشكاله والعشق معاً، حتى لكأنّ الوجود متكثّف في نقطة واحدة هي الله. ولا غرابة في ذلك ما دام أهل الصّوفيّة يشهرون صفة جمال الله وكماله .

ومن مميّزات هذه العبارات أيضا، حضور المصطلح الصّوفيّ فيها إذ تتميّز العبارة الصّوفيّة عند المرأة الصوفية خاصة، والعبّاسيّة عامة، ببعض التفاوت عن مثيلتها عند الصّوفيين الرّجال، وتنبع من طبيعة المرأة عامة، وشدّة حساسيتها للأشياء، ولين عاطفتها واندفاعها، فلا شكّ أنّ مصطلح " **الحزن**" من المصطلحات شديدة الحضور في العبارة الصّوفيّة، بشكلها العام ومثله الحب الإلهي. إنماهو حزن "وجودي" على مصير الذات و" وجد" لمفارقتها للحبيب.

فقد بكت رابعة لمّا سمعت سفيان الثّوري (ت ١٦١هـ) يسأل اللهَ السلامة عندها وقالت:" **أما علمتَ أنّ السلامة من الدّنيا تركُ ما فيها ، فكيف وأنت ملطّخٌ بها ؟**"[٢] . فما بكاء رابعة إلا حزن على تلطّخ النّفس بأدران الدّنيا ، وهذا الحزن لا تختصّ به المرأة الصّوفيّة فحسب وإنما هو حزن صوفيّ عام ــ إن صحّت العبارة ــ ولا شك أنّ مصطلح الحزن قرين مصطلح آخر هو " **الخوف** " ، خوف الصّوفيّة من استغراقها فيما يشغلها عن حبّ الله والفناء فيه، لذلك نجدها متفرّدة في " **الاستغفار**" مكثرة فيه إلى حدّ التطرّف فقد قالت رابعة العدوية: " **أستغفر الله من قلّة صدقي في ـ أستغفر الله ـ** "[٣] . وهذا يصوّر العلاقة المتينة التي تحاول المرأة الصّوفيّة أن تقيمها مع الله، علاقة تقوم على الاستغراق الكليّ والذوبان التام فيه من أجل الخلاص.

ومن أهمّ المصطلحات والمفاهيم عند المرأة الصّوفيّة مصطلح الحب، الذي عبَّرت عنه رابعة أصدق تعبير، فالحب لله عندها هو: " ترك كل أشكال الحب الدّنيوي. وأن حبّها لله لم يترك في القلب أي مكان مهما صغر لحب دنيوي، فهو الذي يشغل عن كل حب " لأن الصوفي بالمعنى الوجودي هو ذلك الذي يعزف عن الرضا لأنّه ينطوي على فكرة سلبية خالصة، فتراه

---

[١] السّلمي، أبو عبد الرحمن: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص٦٢.
[٢] المصدر السابق، ص ٢٨ .
[٣] المصدر السابق ، ص ٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دائماً في خوف على أعماله " [١] وهو ما جعل رابعة تقرّ بدوام حبها لله في عباراتها ومنها: " **وغلّقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيبٍ بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك ... فليت شعري أقبلتَ منّي ليلتي فأهنا ؟ أم رددتها علي فأعزى ؟** "[٢] فعبارتها فيها الدلالة الكبيرة، فكل سلطان اختفى إلا سلطان الله، فهي ملازمة للسلطان الذي لايغيب، فتجهد في رضاه سبحانه عسى أن يرضى فتهنأ، أو يرد وذاك الخسران.

وهاهي العابدة عافية المشتاقة، تقول أيضاً في هذا الحب الخالص الذي تتكبّد منه عناء الوجد وألم التحمّل والصّبر:" **المحبّ لا يسأم من مناجاة حبيبه، ولا يهمُّه سواه . واشوقاه واشوقاه [واشوقاه]** "[٣]. إنّ المحبّة عند هذه المرأة تتعدّى حدود العاطفة إلى الفعل، فعل المناجاة الذي يجعل من سكون الصّوفيّ ورضاه، حركة جعلها التكرار في العبارة شديدة التوتّر وحثيثة، بها يسعى المحب إلى حبيبه. إنّ هذا الاحتفاء بمناجاة الله من ثوابت أهل الصّوفيّة ، رجالا ونساءً . فقد وجدنا ذلك غير مرّة، وفي مواطن كثيرة، نجد عبارات المناجات حاضرة، لتدل على حب وتواصل العابدات، فتكون الشغل الشاغل لهن، من ذلك أن رابعة قالت لأحدهم وقد كان دعاها ولم تجبه في ساعتها لأستغراقها بمناجاة الله تعالى فاجابته بعد ذلك بقولها: " **إنّما منعني من أن أجيبك أنّ قلبي كان قد امتلآ فرحا بالله ، فلم أقدر أن اجيبك**"[٤].

إنّ ذلك التصوير، للإنسان الذي ليس له أيّ مطمع، بل إنّهنّ يحاولن إقناع أنفسهنّ بتملّك أسمى ما يمكن تملّكه ، ألا وهو حب الذّات الإلهيّة والهيام فيه، وهذا نجده عند جميع الصوفيات العابدات.

وفي ختام هذه المسألة يمكننا القول إلى أنّ العبارة الصّوفيّة النّسويّة، في العصر العباسي، تتّفق مع غيرها من العبارات الصّوفيّة العامة، من حيث الأصناف واللغة والدلالات ولكنها تختلف معها كلّما كان الأمر متعلّقا بالشأن الأنثوي. وهو ما سنتبيّنه أيضا في مضمون آخر من مضامين النثر الصّوفي النسائي، ألا وهو الوصايا.

٢- الوصايا:

أدب الوصايا فن نثري يمتاز بجودة الصياغة يقدم فيه صاحبه خلاصة تجربته لعزيز عليه رغبة في أن يحفظه من الخطأ، وغالبا تمتزج بأسلوب الخطاب. و نلاحظ اختلاط الوصية مع الموعظة عند الصوفية فيتولد هذا النوع المتميز عمّا سواهما لما يتطلبه موضوعه، وهدف

---

[١] بدوي، عبد الرحمن : شهيدة العشق الإلهي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٨ ، ط٤ ، ص ٢٥ .
[٢] المرجع السّابق ، ص ٢٧ .
[٣] السلمي، أبو عبد الرحمن : المرجع السّابق ، ص ٣٩ .
[٤] ابن الجوزي، المرجع السّابق ، ص ٨٦٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القائل، فهما يصبان في محاولة التأثير في المستمع[١]. وقد عرفه الأدب العربي مبكّراً منذ الجاهليّة، وعرفه النثر الصوفي النسوي في العصر العباسي أيضا إلى جانب أشكال تعبيرية أخرى، منها: أدب المناجاة وأدب النفس والرؤى، والحكايات وسواها.

تتجلى أهمية الوصيّة في احتفاء التشريع الإسلامي بها، و في القرآن والسّنة ما يؤكّد ذلك. فهي تحض على الأدب وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتحذر من المساس بحدود الله وتبشر بعاقبة العمل الصالح، ولهذا وُجدت عند العابدين والأتقياء والزهاد والصوفية.

إنّ المستوى الأوّل من دلالات الوصايا عند الصّوفيات العبّاسيات يتمثّل في كونها خطاباً يستجمعن فيه فكرهن ويظهرنه بأسلوب شاعري، المعاني القرآنية، والحكم البليغة ليحمل رسالة إلى المخاطب، والوصية في الحقيقة خطاب يصوّر خلاصة تجارب الصوفيات قبل كلّ شيءٍ. فموعظة فاطمة النيسابوريّة لذي النّون التي قالت فيها:**" الزم الصدق وجاهد نفسك في أفعالك"**[٢]. ما هيّ إلاّ صورة عن نفسها ، صورة المرأة الصادقة التي تلتزم مجاهدة النّفس والصبر. وقد عبّرت أخرى في وصيتها لأبيها ان يتحرى الحلال في المأكل: " **يا أبة لا تطعمنا إلا الحلال، فإن الصبر على الجوع أيسر من الصبر على النار"**[٣]. لا شكّ أن هذه الوصيّة تشي بوضوح بمذهب صاحبتها في الحياة، قبل أن يكون ذلك رسالة منها إلى سامعها.

ومن المهم أن نشير إلى أنّ هذه الوصايا قد توزّعت على معانٍ متنوعة، عكست اهتمامات النّسوة ورؤاهن .

ففي باب الحب والاخلاص، لا شكّ أنّ محب الله يظل ملتاعاً، يكابد أمواج الشوق ويصارع بحوره ، و" **لا يسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه** " [٤] ـــــ على حدّ عبارة رابعة ــ ، لهذا يظل مسكوناً بالحبيب لا يفارقه ولا يغيب عنه، وإن كان بين الناس فهو معهم بالجسد فقط أما الفؤاد فمع الله المحبوب مولاه وسيده وأنيسه ، فإذا نطق، نطق بما يعبّر عنه، وإذا أوصى، أوصى بمحبّته، وهو ما أكّدته جارية زاهدة وهي توصي أحدهم بقولها: **" تجعله**

---

[١] عمر، فائز طه: النثر الصوفي دراسة تحليلية فنية، الطبعة ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ٢٠٠٤م، ص ٢١٢.

[٢] ابن عربي، الرسائل ، الكوكب الدّرّي في مناقب ذي النون المصري، ج ٣ ، ط ١ ، دار الانتشار العربي ، بيروت ٢٠٠٢، ص ١٩٥ .

[٣] ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص٩٣٥.

[٤] كحّالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، ج ١، ص٤٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بين عينيك والسلام." [١]، تريد اللهَ. وتبدو بلاغة هذه الوصيّة في إيجازها ودقة مضمونها واحتوائها على جوهر مقام الإحسان، وهو مقام المراقبة في السرِّ والعلن.

قالت امرأة من البادية توصي ابناً لها أراد سفراً بالاستقامة : " **يا بني أوصيك بتقوى الله، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك، وإياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن وتفرق بين المحبين، ومثِّل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثالاً ثم اتخذه إماماً، واعلم أنه من جمع بين الحياء والسخاء فقد استجاد الحُلّة إزارَها ورداءها"** [٢].

وفي باب الزهد نورد ما كتبته رابعة لرجل بعث يخطبها قائلة:" **أما بعد، فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن، فإذا أتاك كتابي، فهيئ، زادك، وقدم لمعادك، وكن وصي نفسك، ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا تراثك؛ فصم الدهر، وليكن فطرك الموت. وأمّا أنا: فلو أنّ الله تعالى خوّلني أمثال ما خوّلك وأضعافه ما سرّني أن أشتغل عن الله طرفة عين**"[٣].

إنّ المتأمّل لهذا الردّ، يلاحظ بجلاء أن رابعة تقيم بقولها هذا مقابلة صريحة بين زهد في الدّنيا تمتدحه وتدعو إليه وتحدّد وسائله، ألا وهي الانصراف عن الدّنيا، والانتباه إلى الموت، والصّوم تعبّداً. وغير بعيد عن ذلك قول **عاتكة الغنويّة** توصي أحدهم: " **يا ضرار توسّل إلى مولاك بجميع ما يمكنك من الوسائل ، فإنّك تجد ذلك موفّرا عند حلول الأمور الجلائل ، وانقطع إليه في حوائجك لديه يأت لك عليها على غير تعب منك ولا نصب، ... فإنّ الدنيا لا تطيب لعارفها ، وإنما تورّطها أهل الغرّة ، وعمّا قليل فسوف يعلمون** "[٤].

ويبدو أن وصايا النساء الصوفيات النّصيّة، تصف حالاً من العشق أو الشوق أو الأنس أو المكابدة في الحب من غير إسهاب ولا تفصيل. وهي على حالها تلك تكون بمثابة دروس يتلقاها المخاطبون كي يعملوا بمقتضاها، حيث تتميز برقة التصوير وعذوبة الكلمات وشفافية الحال. فإذا كان الأمر على هذا النّحو، فما حال نثر الرؤى والمنامات ؟.

---

[١] ابن عربي، الكوكب الدري ، ص ٢٧٠ .
[٢] ابن الجوزي : صفة الصفوة، ص ٩٠٩.
[٣] الغزالي، أبو حامد محمد: إحياء علوم الدين، ص٩٩٠.
[٤] ابن الجوزي، صفة الصّفوة، ص ٩٠٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- الــرؤى :

تعد الرؤى والمنامات من الفنون الأدبية الطريفة، وهو لون من الألوان النثرية، يرى الكثيرون أنه ظهر مع المتصوّفة، وتعدُّ الرؤى من أهم مصادر التلقي عند الصوفية، والرؤى عند الصوفية ليست مجرّد منامات عادية عابرة، فقد جاء في الرسالة القشيرية: **"أن الرؤيا نوع من أنواع الكرامات، وتحقيق الرؤيا خواطر ترد على القلب، وأحوال تتصور في الوهم ...فيتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان رؤية في الحقيقة، وإنما كان ذلك تصوراً وأوهاماً للخلق تقررت في قلوبهم "**[١]. استدلالا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنّ **رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة"**[٢]. وقوله أيضا: " **لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو ترى له**[٣] "[٤].

والرؤى تروى على لسان من تراءت له، فما يصل من مضامينها، هو التعبير الذي يروم صاحب الرؤيا إيصاله، والرؤى والأحلام هي: تعبير عن نشاط الخيال بعد أن يدرك النوم الحواس[٥].

ويمكن أن نؤطّر رؤى الصّوفيات من خلال البحث في بناء الرؤيا وعلاقتها بالواقع، وما تحيل عليه من مفاهيم وسوف نكتفي بدور الرؤى، في تبرير بعض الممارسات الصّوفيّة، وعلاقة الشيخ بالمريد، ووظيفة الإصلاح فيها، إضافة لما للرؤى من تعويض إلهي، أي ما يفيض من كرم الله سبحانه وتعالى لعباده.

فهذه الرؤى تكون في أغلبها مبنيّة على الحوار الثنائي بين الصّوفية وبين من حضر في مناماتهم، فالشخصيات الحاضرة في المنامات، غالباً ما تكون من كبار الشّيوخ وسادة الصّوفيّة ، فالنسوة الصوفيات يكنَّ المستوضحات، فرؤياهنّ توق للسموّ والتعالي، وأمّا الشيخ فهو المعلّم المخبر، الكاشف لحسن المآل والمصير، الموصي أحيانا بسلوكه أيام كان حاضراً في الدنيا .

وفي بناء الشخصيّة من حيث هيأتها تقابل واضح وجليّ، بين حال الرثاثة والزينة ، كما سنراه في رواية عبدة بنت أبي شوال، خادمة رابعة عن منامتها مع سيّدتها المتزيّنة، وهي التي لم تكن تملك غير جبّة، صحبتها إلى القبر كفناً لها بعد وفاتها، تقول: " **رأيتها في منامي وعليها**

---

[١] القشيري، أبو القاسم: الرسالة القشيرية، ص ٦٠٤ – ٦٠٥.
[٢] القشيري، مسلم بن الحجاج: المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل، تح: محمد فــؤاد، دار إحيــاء التــراث العربي، بيروت، ج٤، ص ١٧٧٣.
[٣] المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٨.
[٤] الشوبكي، محمود يوسف: التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، ص٤٨.
[٥] عمر، فائز طه: النثر الصوفي دراسة تحليلية فنية، ص٢٣٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حلة استبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئا قط أحسن منه، فقلت: يا رابعة ما فعلت الجبة التي كفنّاك فيها والخمار الصوف؟!

قالت: إنه والله نُزع عنّي، وأُبدلت به هذا الذي ترينهُ عليّ، وطويت أكفاني، وختم عليها، ورفعت في عِلِّيين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: قلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا. قالت: وما هذا إلاّ من كرامة الله لأوليائه.

قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى. قالت: قلت: وبم، وقد كُنْتِ عند الناس أكرم منها؟ قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا، وأمست.

قالت: فقلت: فما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغما. قالت: يزور الله متى شاء.

قالت: قلت: فما فعل بشر بن منصور؟

قالت: بخ بخ، أُعطي والله فوق ما كان يأمل.

قالت: فمُريني بأمر، أتقرب به إلى الله عز وجل؟ قالت: عليك بكثرة ذكره..."[1].

إنّ المتأمّل لهذه المنامة يلاحظ أنها قد بنيت على ثلاث مراحل، المرحلة الأولى: كان موضوعها تبدّل حال رابعة من حالة الزهد في الدنيا إلى حالة الرفاه والزينة في الآخرة، وهو ما يجعلنا نستشعر فكرة التعويض الإلهي، التي انتشرت عند العامة و بعد أن رسّخها أهل الصّوفيّة فيهم ، وهي المسألة التي رأى فيها بعض النقاد المحدثين ضربا من الهروب من الواقع الاجتماعي المتردّي بسبب سوء أحوال المعيشة والفقر. أمّا الثانية: ففيها إخبار عن شيوخ ماتوا فسموا عند الرفيق، وأحسنت وفادتهم وعلا مقامهم، وهو ما ذكرنا رأينا فيه آنفا. أمّا المرحلة الثالثة: فهي عود إلى باب الوصايا حيث ذكرت الخادمة وصيّة رابعة إليها، وقد تعرّضنا سابقا أيضا إلى ما يمكن أن نقوله في هذا المجال ولكن ما تركناه عمدا لهذا الموضع، هو أنّ الوصيّة وإن كانت منقولة عن موصٍّ، فإنها لا شكّ تصدر عن نفس صوفيّة توّاقة إلى الكمال، تستبطنه من ذاتها ولا تحتاج إلى استلهامه من الخارج، وما الحاجة إلى ذكر الموصّي إلاّ ضربا من ضروب التاكيد.

فمن حيث علاقتها بالواقع، قد نجد فيما رُوي عن تماضر بنت سهل امرأة أيوب بن عُيَيْنة(ت في القرن الثاني الهجري) ما يمكّننا من استجلاء هذه العلاقة ، ذلك أنّ ابنة سفيان بن عُيَيْنة جاءتها وسألت عن عمّها ولمّا حضر قالت له : " **أي عم ، إن أبي جاءني في النوم، فقال**

---

[1] ابن أبي الدنيا: المنامات، تح: عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٩٣م، بيروت، لبنان ، ص ٤٣- ٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جزى الله أخي أيوب عني خيراً، فإنه يزورني كثيراً، وقد كان عندي اليوم". فقال أيوب: " **نعم حضرت جنازة، فذهبت إلى قبره** " [١]. من الواجب التنبّه هنا إلى مسألة مهمّة وهي علاقة الرؤى بالواقع، فقد ربطت الرّواية بين المرئي واللامرئـــي، بـــين الواقع والحلم، حتّى غدت الرؤيا طاقة للكشف، وأداة معرفة تخييلية، ولكن في هذا الموطن بالذّات يمكننا أن نتساءل عن دور الواقع، ألا تحتاج الرؤى إلى واقع يسندها ؟ نعم. ما كان لرؤيا الفتاة من قيمة لولا تأكيدها من العم. ولكن داخل الإطار الصّوفي تتعالق مطالب الروح والجسد، حتّى تستحيل الرؤيا جامعة لهذين البعدين، متناسقة مع الأصل الإنساني الروحي، وبعد تشكله الطيني.

فكما أن هناك ظاهراً يؤطّره الواقع ، فإنّ هناك كذلك باطناً يكشف له الحقيقة الأصيلة غير الزائفة، وهذا يعني: أنّ الظروف الزمانية والتاريخية عند الصّوفيّ عامة موصولة على الدوام بأفق القدس، فكأنه يرحل بقلبه إلى عوالم ما وراء المادة، ثم يعود إليه وقد حمل إليه الكثير من الآثار الروحية التي تتجلى في الواقع المعيش [٢].

وفي جانب آخر، فإنّ هذه المرويّات تصوّرُ عالم الصّوفيّة الرّجالي والنسائي على حدّ السواءِ وتخوض في تراتبيّة أهله ومنتسبيه ، هي تراتبيّة تعتبر من أهمّ مقالاته وأصوله ، فقد خاضت بعض الرؤى في هذه المسألة ، منها ما صدر عن حفصة بنت راشد في قولها : " **كان مروان المحلمي لي جاراً، وكان قاضيا مجتهداً، قالت: فمات فوجدت عليه وجداً شديداً، فرأيته فيما يرى النائم، فقلت: أبا عبد الله ما صنع بك ربك؟ قال: أدخلني الجنة. قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم رفعت إلى أصحاب اليمين. قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم رفعت إلى المقرّبين. قلت: فمن رأيت من إخوانك؟ قال: رأيت الحسن، ومحمد بن سيرين، وميمون بن سياه** "[٣].

إنّ هذه الرؤيا تكشف عن علاقة هذه المرأة الصّوفيّة بشيوخها ، هي علاقة المريد بالشّيخ عامة، علاقة الاستسلام والطاعة والانقياد والخدمة لأنّ تلك هي الطريق الوحيدة للمحبّة التي تفوق النّوافل .

فعلاقة التراتبيّة إذن علاقة مركزيّة داخل العالم الصّوفي ربّما كانت ردّة فعل يحتمي بها الصّوفيّ من عالم الخارج ، وربّما كانت لغاية الترغيب وفنّا من فنون الدعوة وكسب الأنصار ، وهو ما نجده في هذه الرؤيا لأم عبد الله، وهي من نساء أهل البصرة ، والتي قالت فيها: " **رأيت فيما يرى النائم، كأني دخلت داراً حسنة، ثم دخلت بستانا- فذكرت من حسنه ما شاء الله، فإذا أنا**

---

[١] ابن أبي الدنيا: المنامات، ص٢٢.

[٢] عبد الرحمن، طه: سؤال العمل بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، المركز الثقـــافي العربـــي، ط١، ٢٠١٢م، ص١٦٢.

[٣] ابن أبي الدنيا، المنامات، ص٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

برجل متكئ على سرير من ذهب، وحوله الوصفاء بأيديهم الأكاويب، قالت: فإني لمتعجبة من حسن ما أرى، إذ أتى فقيل له: هذا مروان المحلمي قد أقبل، قالت: فوثب فاستوى جالسا على سريره، قالت: فاستيقظت من منامي، فإذا جنازة مروان قد مر بها على بابي تلك الساعة"[1].

إنّ هذه المنامة كما رويت تبدو في الظاهر خبريّة تعلم سامعها بخبر تلازم المنامة مع حادثة موت أحدهم ولكنها في الحقيقة إنشائيّة تحثّ المتلقي وتحرّضه وتدعوه وتغريه بمآل " مروان " حتّى يسعى لسلوك مسلكه في الحياة. وهذا ضرب من ضروب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح تلميحاً وتفكّراً دون حاجة إلى استعلان الأمر والنهي. وهو ما يظهر أيضا في منامة امرأة من بيت المقدس فيها مدح بيّن لشيخ وأتباعه. تقول: " **كان رجاء بن حيوة(ت١١٢هـ) جليسا لنا، وكان نِعمَ الجَليس، قالت: فمات، فرأيته في منامي بعد موته بشهر، ونحو ذلك، فقلت له: أبا المقدام إلام صرتم؟ قال: إلى خير، ولكنا فزعنا بعدكم فزعة ظننا أن القيامة قامت، قالت: قلت: وفيم ذلك؟ قال: دخل الجراح وأصحابه بأثقالهم الجنة، بأفعالهم، حتى ازدحموا على بابها"**[2].

في الحقيقة هذه الرؤيا تتشابك فيها الدلالات والوظائف فهي تبجيل لشيخ وتلاميذه، وهي حثّ على اصطناع المعروف الموجب لحسن المصير، وهي مع كلّ ذلك دعوة إصلاحيّة خاصّة وأنّ أساس الممارسة الإصلاحية لدى المتصوّفات العبّاسيات هو الانطلاق من إصلاح الباطن الذي يستمد سداده من التوفيق الإلهي، يبدأ من هذا الشعور الإيماني في رؤية الأشياء الذي تشكّل منطق الصلاح والإصلاح في الوعي الصوفي.

إن الكثير من النتاجات الدينية ولا سيّما الصوفية منها، زاخرة بهذه الرؤى، والتي لا تخرج عن مضامين واشكاليات البحث التي أشرنا إليها، وهي تجسد اللبنة المكمّلة لمختلف الفنون الأدبية النثرية، وبيّنا دورها الفعال، لبعض ما تم دراسته من رؤى.

٤-الحكايات :

تعتبر الحكاية الصوفية أولى أشكال التّعبير الصّوفي ظهوراً وأوسعها كثافة في الكتب الصوفية، وهذا يقتضي، أن ثمة ضرورة للكشف عن نشأة هذا الفن وعن حاجة الصوفية إليه، لغرض التّعبير عن الحقائق والأسرار، وما يفيضه الله على قلب الصوفي من العلوم اللدنية من خلال لقائه بالأنبياء والملائكة الأولياء، وهذه الأقاصيص والحكايات "ترد في الغالب بسيطة في

---

[1] ابن أبي الدنيا، المنامات، ص٣٤-٣٥.
[2] المصدر السابق، ص٣٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سردها، ألفاظها خالية من التعقيد لأن الهدف منها ليس فنيا"[١]. ويمكن أنّ نقول إنّ المصادر الدينية الإسلامية هي من أهمّ مصادر وأسس الفكر الصّوفيّ عامّة ، لذلك وجب علينا ونحن في رحلة التقصّي عن جذور منبت الحكاية الصوفية الانتباه إلى دور القصص التي وردت في القرآن الكريم، في نشأة الحكاية الصّوفيّة، لأنها يمكن أن تكون المنبع الأول الذي استقى منه الصوفية أفكارهم، وتأثروا به في طريقة عرضهم للأحداث.

قبل الدخول إلى صلب الحكايات الصوفية والغوص في غمار ما نقل عن النساء الصوفيات فيها، فإننا نروم التعريف بالحكاية عموماً، ومن ثمّة النظر في حكايات المرأة الصّوفيّة، من خلال محاولة استجلاء مضامينها، إضافة إلى وظائفها، ومقاصدها .

والحكاية من الفنون القصصية قديمة الأصل، وتعتبر الموعظة لونا من ألوانها، وهي بمثابة الملجأ الذي يلجأ إليه الكثيرون ومنهم الوعاظ. ثم أن بعض المصنفين في التصوف قد استعمل الحكايات أداةً للتعبير عن المعاني الصوفية، الدّالة على آدابهم، ففيها إشارات إلى معانيهم، التي لا تكشف عنها عبارات الحكاية، على نحو دقيق، على الرغم من احتواء النفس الانسانية لها [٢].

أمّا وسمها بالحكاية الصّوفيّة فإنّ بعض الدّارسين يشترطون فيها جملة من الضّوابط متى ما تجسّدت في الحكاية صارت صوفيّة، وأوّل هذه الضوابط هي أن تستهدف المريدين، والناس عامة، محاولة جلبهم إلى حضيرة العالم الصّوفي، فنرى حضور المصطلح الصوفي بكثافة.

أمّا ثاني الضّوابط فيتمثّل في وجوب حضور المضمون الأخلاقي، الذي يحمل في داخله وعي الإنسان وفكره، فتصبح معرفته للحقائق معرفة مباشرة تغيب عنها وساطات الآخرين. واخيراً، يتمثّل الضابط الثالث في ضرورة أن يتناول فيها الرّاوي الصوفي تجربة وقعت له.

ورغم وحدتها التي تستمدّها من تلك الضّوابط، فإنّ الحكاية الصّوفيّة النسائيّة يمكن أن تصنّف إلى صنفين حسب معيار موقع الرّاوي فيها.

فالصنف الأول هو صنف الحكاية الذاتيّة، وهي المرويّة على لسان المرأة عن نفسها، فهي الراوي، أو تروي عن شيخها بالمشاهدة، أو بالمشاركة، أو بالإخبار. ويمكن أن نضع حكايات الكرامات ضمن هذا الصّنف الذي يمكن أن نقارنه بمنامة رابعة –موضوع الرؤى– باعتبار –أن في جزء منها حكاية– مبدأ أساسيّا من مبادئ الرّواية الصّوفيّة عند المرأة الصوفية، ألا وهو الاحتفاء الشديد بمسألة العروج وأسبابها التي تمنح الصّوفيّ هذه الهبة. فالحكاية من هذه

---

[١] ستار، ناهضة: بنية السرد في القصص الصوفي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م. ص٥١.
[٢] عمر، فائز طه: النثر الصوفي دراسة تحليلية فنية، ص٢٤١-٢٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزّاوية ليست إلاّ ترجمة إبداعيّة لحالة من الوجد والشّوق إلى ذلك العروج المرتقب، إذ " يرى المتصوّفة أنّ الأولياء منهم لهم معارج وإسراءات روحيّة، يشاهدون فيها معاني متجسّدة في صور محسوسة للخيال، يعطون العلم بما تتضمّن تلك الصور من المعاني "[1] فهؤلاء ورثة النبيّ(عليه الصلاة والسلام) ولكنهم لم يسروا بأجسادهم ، لأنّها دنسهم وإنما عرجوا بأرواحهم وقلوبهم ومعاني إيمانهم. و الحكاية أيضا، تقيم الدّليل في بنائها، على دور الرّاوي في مثل هذا النّوع خاصّة في مرحلة استهلال الحكاية الصّوفيّة الذي يقوم غالبا على الإسناد، إذ في أغلب الحكايات يركّز الرّاوي على سلسلة الرّواة الذين تناقلوا هذا الخبر محاولة منه لتوثيق أحداثه وإعلانا للعامّة عن براءته ممّا يروي .

أمّا الصنف الثاني فهو ذاك الذي يمكن أن نسمّيه صنف الحكاية المرويّة عن المرأة الصّوفيّة من راوٍ آخر ــ غالبا ما يكون صوفيّا هو أيضا ــ يريد من خلالها تمجيدها وإثبات كراماتها. وقد أورد صاحب صفة الصّفوة حكاية تمثلت بآمنة الرّمليّة التي طلب منها أحمد بن حنبل أن تدعو له فدعت له الله أن يجيره من النار، فقد "**اعتلّ بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية من الرملة. فإنها لعنده إذ دخل أحمد بن حنبل يعوده، فقال: من هذه؟ فقال: هذه آمنة الرملية، بلغها علّتي فجاءت من الرملة تعودني. قال: فسلها تدعو لنا. فقالت: اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فاجرهما. قال أحمد: فانصرفت، فلمّا كان من الليل طرحت إليّ رقعة مكتوب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم : " قد فعلنا ولدينا مزيد** "[2].

بغض النّظر عن صدق هذه الحكاية من عدمها، خاصّة في ضوء ما نعرف عن ابن حنبل فإنّ الرّاوي الصّوفي ـــ جعفر بن محمّد ـــ وهو ما يهمّنا في هذا المجال ، قد روى حكايته بشكل يؤكّد أنّ المتصوّفة أقاموا " علاقتهم بالله على أساس ينزع إلى المباشرة، وتجاوز الوسائط، حتى وساطة الوعي بالمفهوم المتعارف عليه "[3] فهذه المرأة التي ينكر أحمد بن حنبل معرفتها كانت بكراماتها شفيعة له وسبيله إلى المغفرة وبفضلها نجا ابن حنبل، وهو من هو، من النار. إنّ اللحظة الأثيرة في هذه الحكاية ، لحظة الكشف تكمن في تلك الرسالة الموجزة التي تلقاها ابن حنبل " **قد فعلنا ولدينا مزيد** " ، لحظة يلفها التعقيد ويمتزج فيها الظاهر بالباطن ، ظاهر لمتقبّل عاميّ قد يشغل نفسه بالتحقيق في مرسل الرّسالة ، وباطن لمريد أو مقبل يقرّ بسموّ " آمنة الرّمليّة" وقربها من الله ، ليثبت للآخرين رفعة هذه المرأة.

---

[1] بلّعلي، آمنة : تحليل الخطاب الصوفي، منشورات الاختلاف،ط١، الجزائر، ٢٠٠٢م، ص ١٦٧.
[2] ابن الجوزي : صفة الصفوة، ص ٨٦١.
[3] بلّعلي، آمنة : تحليل الخطاب الصوفي، ص ٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ هذا الأمر يعود بنا إلى مفهوم الشطح، وكيف استطاع الرّاوي، على تقدّم هذه الرّواية في الزمن أي في حدود القرن الثاني الهجري، أن يخفي هذه الشطحة دون أن يتخلّى عنها .

لا شكّ أنّ هذه الرّواية تعتبر نموذجا من الحكايات التي يحويها هذا الصنّف الذي يمكن أن نعرض فيه أيضا إلى حكاية مجنونة في جبل من جبال بيت المقدس يقال لها : زهراء الوالهة، وتتلخّص في لقاء بينها وبين ذي النّون وعرفته دون سابق معرفة ثمّ ماتت في حضوره بعد أن استعطفته وطلبت منه أن يزيح عنها همّا تعانيه [١].

فالحكاية على بساطة أحداثها، لا تخرج عن تلك السمات المميّزة للحكاية الصّوفيّة، بدءاً بحضور المريد والشيخ، مروراً بكثافة المصطلح الصّوفي في كلام المرأة وانتهاءً بأنّ الرّاوي كان طرفا فيها، ناهيك عن ما تشي به من مضامين ودلالات، فأمنية مريدة عمرها عشرون سنة حققها لقاء خاطف مع شيخ مقدّم. فهذه المرأة التي عاشت كلّ هذه السّنوات تظهر الجنون، جنون الصّوفيّة، وهي تنتظر انعتاق الرّوح من الجسد ، في لحظة يهبها الشيخ الخلاص ويعلن رضاءه عنها بأن أرسل بها إلى من تحب، تلك هيّ مكانة الشّيوخ وكراماتهم.

ومن الحكايات تلك التي رواها ابن الجوزي أيضا في كتابه[٢]حكاية أخوات بشر الحافي التي يدور موضوعها حول أخوات بشر الحافي **مضغة ومخة وزبدة** ، وتذكر الحكاية أنّ بشراً بكى إحداهنّ بحرارة عند موتها، واختلفت الرّوايات في تحديدها، فمن قائل إنّها مضغة ومن قائل أنها مخّة، وفي كلتا الحالتين نقلت الرّوايات مقالتين لبشر بعد وفاة أخته اختلفتا في اللفظ بعض الاختلاف واتفقتا في المعنى، وسنكتفي بذكر إحداهما وهي: " **إنّ العبد إذا قصّر في خدمة ربّه سلبه أنيسه، وهذه كانت أنيستي في الدّنيا** "[٣].

وعن إحداهنّ قال أيضا: " **تعلّمت الورع من أختي ، فإنها كانت تجتهد ألاّ تأكل ما للمخلوق فيه صنع** " [٤]. وتنقل الحكاية أيضا محاورة بين مخّة وأحمد بن حنبل مضمونها أنها جاءت تستفتيه في أمرين، الأوّل، هل يجب أنّ تبيّن لزبائنها، غزلها على السّراج من غزلها على ضوء القمر، أمّا الثاني، فكان في حكم أنين المريض. وتذكر الحكاية أيضا رواية أخرى تقول: إنها جاءت إلى أحمد بن حنبل تستفتيه في حكم استغلالها لفرصة وجود مشعل لغيرها بقربها كي تغزل ولمّا غاب المشعل خشيت أن يكون ذلك غضبا من الله وطلبت من ابن حنبل أن يخلّصها .

---

[١] ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٨٦٠

[٢] لمراجعتها كاملة انظر: ابن الجوزي، صفة الصّفوة، ص ٥١٣ – ٥١٤ .

[٣] ابن الجوزي، صفة الصّفوة ، ص ٥١٣ .

[٤] المرجع السابق، ص ٥١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمّا زبدة، فقد نقل عنها السُّلمي أنها كانت تقول: " **أثقل شيء على العبد الذّنوب، وأخفّه عليه التوبة ، فما له يدفع أثقل شيء بأخفّ شيءٍ** " [١].

لكي نفهم هذه الحكاية يجب أن نعود إلى الشخصيات مستخرجين سماتها وخصائصها ، فنحن إزاء مجموعة من نسوة في مقابلة قطبين كبيرين، بشر الحافي وأحمد بن حنبل، فبشر الحافي هو من مشاهير الصّوفيّة وشيوخهم في القرن الثالث، وأحمد بن حنبل غنيّ عن التعريف، ولكنّ وظيفة هذه المقابلة، هي تعيير النسوة الثلاث وتحديد مزاياهنّ . ويمكن تمثيل هذا التعيير بميزان وضع فيه الرّجلان المذكوران في كفّة، والنسوة الثلاث في الكفّة الأخرى، والطّريف أنّ الحكاية، تجعل كفّة النّسوة هي التي تميل، فتصبح النّسوة بذلك هنّ أصل الفضيلة والورع والمعرفة الدّينيّة، وما العَلمان بشر وابن حنبل إلاّ فرعان منه. وما اعتراف بشر بأنّ إحداهنّ كانت " أنيسه" في الدنيا إلاّ تأكيداً على ما ذهبنا إليه، فانظر إلى ما تحمله تلك العبارة من معنى داخل المعجم الصّوفي، إنّها صفة من صفات الله عندهم، والله "أنيس" الصّوفيّ وحبيبه.

إنّ حزن بشر الموجب للبكاء لن يكون عند عابد مثله إلا حزنا صوفيّا ينبع من ألم فراق الله، يروم به من خلاله القرب والتعالي إلى سمو الذّات الإلهية حبّاً. وانظر إلى كون إحداهنّ أيضا قد علّمته الورع والتقوى لتدرك أنّ العلاقة في هذه الحالة، بين الشيخ والمريد قد انقلبت ليصبح شيخ صوفيّة بغداد، بشر، مريداً عند أخواته.

وهو ما يكشف بوضوح مكانة المرأة الصّوفيّة. والأمر نفسه بالنّسبة إلى ابن حنبل، فما مديحه لأخت بشر، وعجبه من تقواها، وورعها، وحرصها على الصّدق، والأمانة، وسعة معرفتها الدّينية، إلا اعتراف بتلك المرأة . وخلاصة الحكاية تتمثّل في هذه الصّورة المشرقة لأولئك النسوة التي تصوّر بجلاء البيئة الصّوفيّة النّسائيّة في عصرها.

وفي سياق ذكره لطائفة من العابدات يذكر ابن الجوزي تحت الرقم {٩٤٠} [٢]، حكاية إحداهن، وتروي موقفا حدث بين أبي بكر الشّيرازي (ت ٤٨٧هـ) وكان فقيها محدّثا عالما ، وعجوز زاهدة تقطن خباءً في بادية العراق. فاللقاء في بدايته يبدو بين شخصيتين متناقضتين، علم معروف وعجوز نكرة، هو متنقل وهي ثابتة، هو حسب رأيها بطّال لانصرافه إلى الدّنيا وهي منشغلة بالعبادة، هو يعيش الشّكّ وهي تعيش اليقين وتدعوه إليه.

وإنّ ذلك عندها سيكون بالمجاورة والتعبّد والزهد حتّى يتمّ اللقاء بينه وبين الحبيب، وهو ما تقصده باليقين، ذلك المصطلح الصّوفيّ، الذي أفنى من أجله الصّوفيّةُ أعمارهم.

---

[١] ابن الجوزي : صفة الصّفوة، ص ٥١٤.
[٢] المرجع السابق، ص ٩٠٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يقف هذا التناقض عند هذا الحد بل يأخذ بعدا دراميّا يتمثّل في تحوّل أبي بكر من شيخ فقيه محدّث إلى قاتل مضيفته. ولكن بأي سلاح، بالقرآن. إنّ قراءته للقرآن كانت رغم ذلك معبراً للعجوز ومكافأة تتلقى بها ذلك اليقين المنشود .

فالأمر إذن، لا يخرج أيضاً عن تمجيد لهذه المرأة الزاهدة من باب إغراء المريدين وتبشيرهم ودعوتهم إلى مزيد التعلّق بالعبادة، والقرآن، إذا كانوا يرومون الخلاص من دنس الدّنيا، ومرافقة سادتهم وشيوخهم في علوّ مراتبهم في معاريجهم السّماويّة .

إنّ هذه الحكايات على تعدّدها وغزارة دلالاتها تكشف بوضوح عن مقاصد أصحابها من صوفيّة ، نساء كنّ أم رجالا . فالقصديّة في الحكاية الصّوفيّة ركن أساسي لازم، لأنّه من أدوات التأثير عندهم في مريديهم، وحافز من حوافز الكشف والمعرفة، إذ لا سبيل لهم أن يدركوا مآل شيوخهم إلاّ من خلال هذه الرّوايات.

ونختم هذا المبحث بالتّطرّق إلى وظائف الحكاية، فالحكايات (جند من جنود الله) كما وصفها الجنيد، تتقوى بها قلوب المريدين، وتناقلها العلماء، لبثها إلى تلامذتهم، تهديهم إلى معالم الطريق في الرحلة الصوفية الشاقة، فللحكاية قيمة وفائدة وحاجة[1].

في خاتمة هذا الفصل يمكن أن نجمل النتائج التي توصّلنا إليها فيما يلي :

من الضّروري في البداية أن نشير إلى أنّنا واجهنا صعوبة كبرى تتمثّل في فقر المكتبة العربيّة النّقدية، من دراسات حديثة تساعدنا على هذا البحث. ولكن رغم ذلك فقد كشف البحث وما استندنا إليه من مراجع أنّ كلّ أجناس النّثر الصّوفي النّسائي قد شكّلت صورة واضحة عن الصّوفيّ عامّة وعن المرأة الصّوفيّة خاصّة في العصر المقصود بالدّراسة .

ففي مستوى العبارة، ظهر لنا أنها ضربان، عبارة " اليومي" أو العبارة الاجتماعية، وأما الضرب الثاني وهو ما أطلقنا عليه إسم العبارة الصّوفية، ورغم بساطة الأولى وجماليات الثانية فإنهما تضافرتا لتحقيق وظيفة الإبلاغ بما فيهما من تصوير وأساليب نخصّ منها الإنشاء من أمر ونهي واستفهام وتحضيض وغيرها.

ولكن من حيث المضامين فإنّ العبارة الصّوفيّة، تتجلّى بشكل أوسع وأوفر دلالة لأنه من المعروف أنّ الصوفيَّ إذا حاول التعبير عن الأحوال غير العادية التي يعايشها فأعيته اللغة، وضاقت عنده العبارة، عمد إلى المجاز، واخترع ألفاظاً ومصطلحات وتعبيرات تنفتح فيها على دلالات ومعان وافرة مفتوحة على التأويل .

---

(١) ستار، ناهضة: بنية السرد في القصص الصوفي، ص٦٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حاولنا تفسير ذلك فوجدنا تفسيرين ، أولهما داخل مفهوم "**الشّطح**" وما يعنيه وكيف تمكّن الصّوفيّ بوعيه أن يتجاوز مخاطره، أمّا ثانيهما فهو في طبيعة لغة أدب الزهد وعلاقتها بمقامات الصّوفيات الرّوحيّة والجسديّة، كما بيّناه في الفصل الأول من دراستنا هذه .

في حين أنّه في أدب الوصايا، تعلّقت النّسوة بأسمى مرامي الصّوفيّة عامّة، الخلاص، وهو طريق ارتضاه الصّوفيون لهم ولأحبتّهم .

وقد تبيّن لنا أنّ دلالات الوصايا تتمثل في مستويين، في كونها خطاباً ينشأ من حركة فكريّة، ثمّ يظهر بأسلوب شاعريّ مؤثر، تكون الآيات القرآنية، والحكم البليغة، هي مسنده، حتّى يجعل رسالتهن يسيرة الاستقبال والتلقي. وقد تمكّنت المرأة الصّوفيّة من ذلك لأنها طرقت هذا الجنس النّثري من أبواب عديدة، عكست اهتماماتهنّ ورؤاهن، مثل باب الحب الإلهي، والإخلاص، أو باب الزهد، وغيرهما. عموما، تبيّن لنا أيضا أنّ هذه الوصايا وإن كانت محدودة المساحة النّصيّة، فإنها وصفت حالات من العشق، أو الشوق أو الصبر. وهو ما منحها جمالية خاصّة .

ممّا أظهره البحث أيضا تلك الوشيجة، التي نجدها بين الرّؤيا والمنامة، في مستوى الجنس النّثري ، فكلتاهما ضرب من ضروب الحكي، وإنّ اختلافهما يعود إلى مسألة العلاقة مع الواقع، أضافة إلى أمور أخرى، منها أنّ الرؤى تعتبر أهم مصادر التلقي عند الصوفية، بها يتواصلون مع الأحكام الشرعية من الله، وهو ما جعل بناءها ومضامينها يُبرّران بعض الممارسات الصّوفيّة وعلاقة الشيخ بالمريد ووظيفة الإصلاح فيها إضافة إلى معنى التعويض الإلهي، حتّى أنّ الشخصيات فيها كانت في الغالب من كبار الشّيوخ وسادة الصّوفيّة ، مع حضور أساسي لصاحبتها الحائرة التوّاقة .

أمّا الحكاية الصوفية، فتختلف عن الرّؤيا خاصّة في مستوى الحدود والضوابط التي كشف عنها بحثنا، والمتمثّلة في وجوب استهداف المريدين والناس عامة، استقطابا لهم وإغراء بالخلاص والرّقي بقوّة المصطلح الصوفي مضامينها الأخلاقيّة، تتلبّس بالوعي الإنساني، لتتخلّص من إنسانيتها إلى روحانيّة شديدة الشفافيّة. وقد توصّلنا في بحثنا إلى تصنيفها صنفين، المرويّة على لسان المرأة عن نفسها، وجدنا ذلك في حكاية خادمة رابعة عن سيّدتها. والمرويّة عن المرأة الصّوفيّة، مثلما روي عن أمنة الرملية وابن حنبل وذي النون وزهراء الوالهة ، لم يكن هذا الجنس بطبيعة الحال مختلفا عن بقيّة الأجناس في مستوى المقاصد والوظائف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

أساليب الأدب النّسوي الصوفي وصوره

مقدمة:

مما لا شك فيه أن أدباء الصوفية، كانوا مشاركين في الحياة العلمية، بل ان مشايخهم وساداتهم هم قادة الفكر والبيان، وأمراء الشعر والنثر، فازدهرت على أيديهم الأشعار الصوفية والعشق الإلهي الذي أصبح فناً مستقلاً بذاته. يقول حسن إبراهيم " كان ملحوظاً فيهم أنهم من أقطاب الأدب والبيان"[١].

ولقد أكثر الصوفية من مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسلوا به إلى الله ليغفر لهم. ومما يبدو واضحاً أن عمائر الصوفية من زوايا وربط كان مراكز اشعاع علمية تعقد فيها حلقات دراسية في علوم الدين وما يتصل بها من علوم فقهية ونقلية وعقلية [٢] كعلم القرآن والحديث والتفسير واصول الفقه وعلوم اللغة العربية والعروض والتاريخ والحساب والطب والتصوف [٣].

وكان العديد من هذه الدور يحتوي على مكتبات تشمل على العديد من الكتب، ولا سيما المصاحف وكتب علوم الفقه، والنحو، والفلك، كما كانت بعض الزوايا، لا تخلو من مؤلفات فلسفية لبعض الفلاسفة والعلماء والأدباء والفقهاء واللغويين والنحاة [٤].

وقد اتاحت هذه الكتب المتوفرة في الزوايا والربط الفرصة أمام روادها والمقيمين فيها من طلبة، ومدرسين وعلماء للمطالعة والكتابة، لذلك نلاحظ ان الكثير من كتب التصوف ألفت في الربط والزوايا، بسبب ما توفره هذه الاماكن من استقرار وهدوء يشجع على الدراسة والكتابة [٥]. كما كانت دور الصّوفية المَلجأ الذي يلجا إليه العُلماء والرّحالة، وطلبة العِلم الذين يتنقلون في أرجاء العالم الاسلامي، ليتلقّوا العلم على أيدي بعض مشايخ وعلماء المؤسسات الصوفية [٦].

وكان كبار الشيوخ يعلمون في الزوايا والمدارس، وكان لهم الدور البارز في بعث الحركة العلمية وتطورها، فالحركة الصوفية أسدت إلى المكتبة العلمية في شتى العلوم الصوفية وغيرها وأصبحت منهلاً للمريدين وطالبي العلم إلى عصرنا هذا وصدق تاج الدين السبكي [٧] حيث

---

(١) حسن، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ج٣، القاهرة، ط٧، ١٩٦٤، ص٤٢٣.
(٢) المرجع السابق، ص٤٢٨.
(٣) المرجع نفسه، ص٤٢٨.
(٤) كرد، محمد بن عبد الرزاق: خطط الشام، ط٣، ١٩٨٣م، ص١٣١.
(٥) المصدر السابق، ص ١٤٥.
(٦) كرد، محمد عبد الرزاق: خطط الشام، ص ١٣٤.
(٧) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب(٧٧١هـ/١٣٧٠م): معين النعم ومبيد النقم، فتح محمد أبو العيون، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٥م، ص١١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول:" حياهم الله وبياهم، وجمعنا في الجنة نحن وإياهم "وعلاوة على ما سبق، فإن الباحث يسعى في هذا الفصل إلى ابراز الخصائص الفنية في الادب الصوفي النسائي من خلال الكشف عن المواطن الفنية والبلاغية في الشعر النسوي الصوفي.

خصائص اللغة الصوفية:

١- اللغة الدينية :

يعتبر القرآن الكريم أحد المصادر الأساسية التي استقى منها الصوفية مصطلحاتهم وتعبيراتهم وربما الأهم. وهنالك عدد لا يستهان به من المصطلحات الصوفية نجد أصولها في القرآن نحو المقام والبسط والقبر والفناء والبقاء والجمع والفرق والكثير غير ذلك.

ومما يبدو واضحاً أن استعمال الصوفية لمثل هذه المفردات لم يكن على نهج الفقهاء والمفسرين، بل كان تبعاً للنهج الصوفي في فهم آيات القرآن، ذلك النهج الذي يقوم على التأويل الرمزي والبحث في باطن الكتاب دون ظاهره.

وقد أشار السّراج في اللُّمع إلى اقتباس الصوفية من القرآن إذ قال: " وللصوفية أيضاً تخصيص من طبقات أهل العلم باستعمال آيات من كتاب الله تعالى متلوة، وأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مروية "[١].

وعلاوة على آثر القرآن في تكوين اللغة الصوفية، فقد كان له أثر هام في اغناء الأفكار الصوفية، وأبرز ظاهرة لذلك استفادة المتصوفة من قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم لتمثيل عقائدهم نحو جعل أيوب مظهراً للصبر ويعقوب مثلا للشوق والاشتياق والحزن ثم التعبير عن عقيدة التجلي وطلب المشاهدة من خلال سيرة موسى القرآنية.

ولولا القرآن لكان من الصعب على المتصوفة المسلمين أن يأتوا بكل تلك الإشارات والامثلة المستمدة من سوره، بل لكان التراث الصوفي قد افتقر لأهم العناصر التي تكون افكاره ورموزه وتمثيلاته. فالشاعرات الصوفيات من جملة المتصوفة الذين عرفوا من القرآن، لتكوين شعرهم الصوفي، فاتخذن الشاعرات الصوفيات من الآيات القرآنية مصدراً لكثير من أفكارهن الصوفية ومصطلحاتهن العرفانية والآية المشار اليها في قوله تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فأتبعوني يحببكم الله ﴾[٢].

فلأن معنى هذه الآيات تظهر جلياً في قول رابعة العدوية:

---

(١) الطوسي، أبو نصر سراج: اللمع، ص٣١.
(٢) سورة آل عمران، الآية :٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحبّك حبّين، حب الهوى وحبـــاً لأنك أهـــل لذاكـــا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك
وأمـــا الذي انت أهل لـــه فكشفك للمحب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا [1]

حيث إنّ هذه المقطعة قد تأثرت بالآية السابقة فان امعان النظر فيها، سيكشف أن المقطعة تكون عمقاً معرفياً يكاد يلخص فلسفة الحب الإلهي عند الصوفية بل فلسفة التصوف نفسها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2].

ويَظهر تأثر رابعة بالآية السابقة من خلال قولها:

فأما الذي هو حبُّ الهوى فشغلي بذكرك عمّن سواكا

فالذي يشغل رابعة عن الدنيا وما فيها هو ذكر المحبوب إذ ترى من خلال ذكرها لله تعالى وهو المحبب أفضل وأجمل وهذا يعني أنها ذات ارتباط وثيق بتصوف رابعة العدوية.

ويظهر كذلك تأثر العابدات الصوفيات بالقرآن الكريم من خلال الآية التالية قوله تعالى:

﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [3].

ويظهر تأثر حب ريحانة المجنونة من خلال قولها:

أنت أنسي ومنيَتي وسروري قد أبى القلب أن يحبَّ سواكا
يا عزيزي وهمتي ومُرادي طال شوقي متى يكون لقاكا
ليس سُؤلي من الجنان نعيماً غير أني أريدهـــا لأراكـــا [4]

فواضح تماماً كيف أن ريحانة المجنونة قد استفادت من الآيات السابقة لتعبّر عن فكرتي الحب والرؤيا لوجه الحق، وهذه الآيات تنسجم مع سياق تفكير الصوفية ريحانة، لأنهن يركزن دائما على الحواس الخمسة.

وقولها كذلك:

ليس سُؤلي من الجنان نعيماً غير أني أريدها لأراكـــا

---

(1) الحريفيش: الروض الفائق، ص ١١١.
(2) سورة الرعد، الآية (٢٨)
(3) سورة القيامة، الآيات (٢٢-٢٣).
(4) النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهو مأخوذ من الحديث النبوي القائل: " إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فضرب على اليمين فأخرج ذرية بيضاء كالفضة، ومن اليسرى سوداء كالفحمة، ثم قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي"[١].

ويظهر كذلك تأثر الشاعرة الصوفية تحفة المجنونة بالقرآن من خلال قولها:

يا سرور السّرور أنت سروري	يا حياة النفوس أنت حُبوري
أنت نـــاري وجنتي ونعيمـــي	وأنيسي وأنت نـــور النـــور
كم ترى يصبر المحُبُّ على البعد	وكم يلبث الهوى في الصدور [٢]

ونلتمس أنها قد تأثرت بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٣٥﴾ ﴾[٣].

ويظهر كذلك تأثر جارية متعبدة بجبل المقطّم، معاصرة لذي النون المصري:

يا ذا الذي أنِس الفؤادُ بذكره	أنت الذي مـــا إن سواه أريد
يا منيَتي دون الأنام وبغيتي	يا مـــن له كـــلُّ الأنام عبيـــد
تفنى الليالي والزمان بأسره	وهواك غضٌّ في الفؤاد جديد [٤]

إذ يظهر من خلال الأبيات السابقة تأثرها بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[٥].

وهذا يبين كم كانت الجارية المتعبدة دقيقة في انتقاء الألفاظ والمصطلحات وفي الربط فيما بينها وهذا يعبر عن معتقداتها التي تنبع عن دقة وإحساس عال .

---

(١) الترمذي الحكيم، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، دار عبد الـــرحمن عميرة، الجيل، بيروت، ص ٢٢٠.
(٢) الحريفيش: الروض الفائق، ص ٢٢١.
(٣) سورة النور، الآية (٣٥).
(٤) الحريفيش: الروض الفائق، ص ١١٣.
(٥) سورة الرعد، الآية (٢٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمكن التدلل على اللغة الدينية من النثر الصوفي قول جوهرة العابدة البراثية؛ قال حكيم بن جعفر كانت جوهرة امرأة أبي عبد الله البراثي جارية لبعض الملوك فعتقت فخلعت الدنيا، ولزمت أبا عبد الله فتزوج بها وتعبدت.

قال أبو عبد الله البراثي: قالت لي جوهرةُ يوماً يا أبا عبد الله النساء يُحلّين في الجنة إذا دخلنا؟ قلت: نعم، قال: فصاحت صيحة غشي عليها، فلما أفاقت قلت ما الذي أصابك؟قالت: ذكرت حالي تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة.

قال: فأتيناه يوماً وهو جالس على الأرض ليست الجلة تحته فقلنا:

يا أبا عبد الله ما فعلت بالجلة التي كنت تقعد عليها؟ قال: إن جوهرة أيقظتني البارحة فقالت: أليس يقال في الحديث " إن الأرض تقول لابن آدم تجعل بيني وبينك ستراً وأنت غداً في بطني؟ قال: قلت: نعم.

قالت: فأخرج هذه الجلال لا حاجة لنا فيها، فقمت والله فأخرجتها [١].

مما يبدو واضحا من خلال النص السابق أن جوهرة العابدة قد تأثرت بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ويظهر ذلك جلياً من خلال الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١ ﴾ [٢].

ويمكن الاستدلال كذلك من خلال قول عابدة:

"قال نوح الأسود: رأيت امرأة تأتي أبا عبد الله البراثي فتجلس تسمع كلامه ولا تكاد تتكلم ولا تسأل عن شيء، فقلت لها ذات يوم: لا أراكِ –يرحمك الله– تتكلمين ولا تسأل عن شيء؟ فقالت: قليل الكلام خير من كثيره الا ما كان من ذكر الله، والمنصت أفهم للموعظة، ولن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه، وجملة الأمر يا أخي: إن أردت الله بطاعة أرادك الله برحمة، وإن سلكت سبيل المعرضين فلا تلم نفسك إذا صرت غداً في زمرة الخاسرين"[٣].

وعلاوة على ذلك، أرى أن هذه العابدة قد تأثرت كثيرا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ونجد كذلك الكثير من الأدلة بالقرآن والسنة، بأن الإنسان الذي يذكر الله يجعل له رحمة وثواب في الدنيا والآخرة ويجزيه الله تعالى بالجنة ويمتثل ذلك في القرآن من خلال قوله تعالى:

---

[١] ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٥١٢.
[٢] سورة المنافقون، الآية (٩-١١).
[٣] ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٥١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧ ﴾ [1].

وعلاوة على ذلك، نجد أن الأدب الصوفي النّسوي قد تأثر كثيراً بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فمن خلال تتبع المقطوعات الشعرية للنّساء الصوفيات نجد أن أكثر الأبيات تحتوي على أكثر من مفردة يعود أصلها إلى القرآن الكريم سواء كان ذلك يتعلق بصفات الخالق سبحانه وتعالى أم أحد أسمائه وهذا يدل على مدى تعلقهن بالخالق سبحانه وتعالى ومدى سعة خيالهن الذي عرج من الحياة الدنيا متعلقاً بالزهد والحب الإلهي.

وهناك الكثير من المواضيع قد اختلفت عن التعريفات العامة للمصطلحات المفردة التي يستعملنها ليخلقن لهن مدلولات خاصة بهنّ وإن كان مقلداً ومتكلفاً إلا أنه كان شعراً مبدعاً ومبتكراً وخاصة في تأثرهن باللغة الدينية.

لغة المصطلحات الصوفية ولغة الحب الصوفي:

مما لا شك فيه عند دراسة الأدب الصوفي ندخل فيه إلى ساحة عامرة مليئة من الأنغام والألحان التي أبدعها هؤلاء الصوفيون الذين تغنوا وحصروا حبهم بالحب الإلهي عشقاً وفناءً بعد أن سَموا بإدراكهم وتذوقهم للجمال والحب إلى فوق رغبات النفس والمتعة، ونفدوا إلى أبعد آماد معانيه وصوره وتهويماته.

واستطاع هؤلاء النّسوة أن يبدعن عالماً شعرياً له مفرداته ورموزه وإيحاءاته لأن قلوبهنّ امتلأت باقتباس الحب الإلهي.

إذ أصبح لكل هؤلاء المتعبدات أو المتعبدين معجم خاص لابد من الإحاطة به لمن يحاول الاقتراب من حدود عالمهم الأدبيّ، وذلك خشية أن يزل أو يضل فالجمال بالنسبة إليهم وسيلة لسمو الروح واهتدائها إلى المعاني الخيرة المطلقة والمبادئ السامية.

فالجمال الإلهي يتجلى في الطبيعة من خلال الموجودات والكواكب والنجوم، كما يتحلى في الناس. فالكون كله يشترك في عبادة ذي الجمال المطلق المنزه عن التشبيه، ويهيم بهذا الجمال في نشوة مقدسة، وهذا الحب الإلهي يغمر الكون، ولولاه ما انتظم الكون.

ومن هنا يمكن أن نفهم تجليات هذا الحب وأسراره وإيماءاته و ومضاته، ونحن نتابع رحلة هؤلاء المحبين في هيامهم بالجمال الإلهي.

ونرى أن بعض الشعراء من تتردد على شفاههم أسماء محبوباتهم في البشر، وهي في حقيقتها رموز الجمال الأسمى، فالأسماء ليلى وسعاد وغيرها التي ذكرها الشعراء هي في حقيقة

---

[1] سورة العنكبوت، الآيات (٦-٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمر الحبيب الأعظم، وهي سبيلهم إلى الهداية الروحية، إذ يتجاوزون الجمال إلى الانتشاء بالفيض الإلهي لجمال يجل عن الوصف ويتقدس عن الكيف.

وقد عبّر محي الدين بن عربي، أحد هؤلاء العشاق الكبار من الصوفية في مقدمة ديوانه (ترجمان الأشواق) عن حقيقة إدراك هؤلاء الشعراء للجمال الإلهي منبّهاً إلى أن أشعارهم لها ظاهر وباطن، فظاهرها غزل يمكن أن ينطبق على الغزل الحسّي، ولكن باطنها الهداية إلى أسرار الهيام بالمعارف الإلهية والواردات الباطنة والأسرار الجمالية العليا[١].

فإذا حاولنا أن نتأمل حقيقة هذا الحب الإلهي ولغته التي استخدمها وهام فيها الصوفية، معبرين عن خوالجهم وعن شطحاتهم في نثرهم وشعرهم وأدعيتهم وابتهالاتهم وشروحهم ومنظوماتهم وتعليقاتهم وجدناه قد تمثل في صورته الأولى من خلال التعبير القرآني المُحكم ومأثور كلم الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومما يبدو واضحاً أنه جاء هذا المعنى في القرآن الكريم "يحبهم ويحبونه"، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾ [٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [٤].

وتتأكد فكرة حب الله، من خلال شخصية التقت حولها القلوب والعقول وهي شخصية رابعة العدوية التي ظهرت في البصرة داعية بدعوة جديدة هي دعوة التقرب إلى الله عن طريق حبه، وهي تنادي بهذا الحب لأنها ترى أن الله أهل لأن يُحب أولاً لأنه مصدر النعم التي لا تنقطع، فلا سبيل لأن ينقضي حب المنعم بها على عباده، وهو أهل لأن يُحب ثانياً لجماله وجلاله.

---

[١] هلال، محمد غنيمي: ليلى والمجنون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٤. نقلا عن ديوان(ترجمان الأشواق) لمحي الدين بن عربي.

[٢] سورة المائدة، الآية (٥٤).

[٣] سورة آل عمران، الآية (٣١).

[٤] سورة البقرة، الآية (١٦٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقول رابعة:

أحبك حبّين حب الهــوى ... وحــب لأنك أهــلٌ لذاكـــا
فأما الذي هو حبُّ الهــوى ... فشغلي بذكرك عمن سواكــا
وأما الذي أنت أهل لـــــه ... فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكــا [١]

وفي موضع آخر تقول:

يا سروري ومنيَتي وعمادي ... وأنيسي وعُــدّتي ومـــــرادي
أنت روح الفؤاد، أنت رجائي ... أنت لي مؤنسي وشوقك زادي
أنت لولاك يا حياتي وأنسي ... مــا تشتَّتُّ في فسيح البــلادِ
كم بدت منة وكم لك عنــدي ... مــن عطــاء ونعمة وأيــادي
حبك الآن بُغْيتــي ونعيمــي ... وجــلاء لعين قلبــي الصادي
ليس لـــي عنك حييت بَراحُ ... أنت مني ممكّــن في الفؤادِ[٢]

أن هذا اللون من الحب لم يكن من السهل ولوج عالمه والارتفاع إلى مستوى معاينته وتمثله، إلا بعد ابتلاء طويل وتجارب قاسية يتعرض فيها المتصوف في البداية إلى معاناة الحب الإنساني حتى تحتدم به عاطفته، فيكون التحول إلى حب أسمى هو حب الله.

والصوفية يحفلون بجمال الروح قبل جمال الجسم، ولا فرق عندهم بين حب من صفت روحه من حسان الخلق [٣].

ويظهر جلياً من خلال أدب الصوفية أن الوصول إلى الحق عن طريق الحب أن يكون المحب جميل الروح، وأن يهتم بمخلوق جميل الروح ولم يكن جميل الجسم، لأن جمال الروح هو الذي يفتح أمام المُحب الطريق للتأمل والفكر اللذين هما السبيل للوصول إلى الغاية من الحب عند الصوفية، فجمال الخلق يمكن أن يتخذ سبيلا لمعرفة الحق والحب هو الطريق لمعرفة الحقيقة.

ويقول الغزاليّ: وهو يتحدث عن الصوفية " وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع، فظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذوق والحال، وتبدل الصفات"[٤].

---

[١] الحريفيش، الروض الفائق، ص ١١١.
[٢] المصدر السابق، ص١١١.
[٣] هلال، محمد غنيمي: الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار المعارف، القاهرة، د.ن، ص ٢٥١.
[٤] الغزالي، أبو حامد، المنقذ من الضلال، دار الشرق، بيروت، لبنان، د.ن، ص ٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"وكان قد حصل معي من العلوم التي درستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية، إيمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة واليوم الآخر، فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت قد رسخت في نفسي، لا بدليل معين محرر، بل بأسباب وقرائن، وتجارب لا تدخل تحت العصر تفاصيلها"[١].

وذلك النور هو مفتاح في أكثر المعارف، فمن ذلك النور ينبغي أن يُطلب الكشف وما دام الأمر للذوق والكشف، فطريق الصوفية إذن مفتاحها هو استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها بالفناء بالكلية في الله .

٢- لغة المصطلحات الصوفية :

الأدب الصوفي أدب معان أكثر مما هو أدب ألفاظ، والقوة اللغوية والبيانية هي قوة فكرية كما نجد عند الحسن البصري مثلاً في قوله " إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسي حزيناً، لأنّه بين مخافتين، بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله يصنع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه عن المهالك"[٢].

فنرى أنه لابد من الخوض في مسألة اللفظ والمعنى قبل الدخول إلى لغة المصطلحات الصوفية. إذ بدأ الحديث عن مشكلة الفصل بين اللفظ والمعنى في جوّ ديني خالص وهذا ما دار بينهما من حديث ونقد حولهما وخصوصا في إعجاز القرآن، هل هو في اللفظ أو في المعنى والذي ساعد على ذلك سوء فهم النقد العربي القديم (غالبا) للعلاقة بين اللفظ والمعنى وإيثار اللفظ على المعنى وهو إيثار بُني على اعتقاد، هو أن المشكلة التعبيرية والأدبية تكمن في اللفظ وليس في المعنى، فالمعاني كافية ومُهملة، واللفظ يُظهرَها ويهتم بها. [٣]

يقول ابن رشيق: " أكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى، سمعت بعض الحذّاق يقول: قال العلماء: اللفظ أغنى من المعنى ثمناً، وأعظم قيمة، وأعزُّ مطلباً، فإن المعاني موجودة في طباع الناس، يستوي فيها الجاهل الحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ، وحسن السبك، وصحّة التأليف"[٤].

---

[١] الغزالي، أبو حامد، المنقذ من الضلال، ص ٣٤.

[٢] الأصفهاني، نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء في طبقات الأصفياء، الناشر:السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٩٧٤م،ج٢، ص١٣٢.

[٣] يونس، وضحى، القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦م، ص.

[٤] القيرواني، ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد قر قزان، دار المعرفة، دمشق ، ١٩٩٤م، ص ٢٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما لا شك فيه أن من قام بتصحيح هذا الفهم عبدالقاهر الجرجاني من خلال ربطه للعلاقة الدائرة بين اللفظ والمعنى ، والنظر إليهما بوصفهما علاقة بين الألفاظ بعضها ببعض.

وأشار إلى أن الجمال والبيان ليسا في اللفظ وحده، أو في المعنى وحده، بل في اتحادهما معاً، ذلك لأن اللفظ لا يمكن وجوده والأحساس به إلا من خلال معناه،والمعنى كذلك يحتاج إلى لفظ يجسده ويقربه، فاللفظ بلا معنى ليس شيئا .

ومما يستخلص، أن اللفظ يحتوي على الحروف والأصوات والأجراس والإيقاع ، وكذلك اللفظ يحتوي على الصور والعرض والأفكار العامة والدلالات المعنويه والغرض؛ فاللفظ والمعنى أحدهما يمنح للآخر ما يفقده، إذ يضمهما سياق واحد يتحكم فيهما معاً، ويحدد نصيبهما من الجمال والبيان والبلاغة، وهذه العلاقة الوثيقة بين اللفظ والمعنى أدركها بعض النقاد من القدماء والمحدثين فرأوا في اللفظ جسماً، وفي المعنى روحاً.

فالجاحظ من الذين جعلوا اللفظ والمعنى جوهرين في ماهية البلاغة، فالبلاغة الجاحظية هي إبلاغ المعنى باللفظ الواضح ومشاكلة اللفظ للمعنى، والمساواة بينهما أي تفصيل الألفاظ على أقدار المعاني، فالألفاظ الكثيرة للمعاني الكثيرة والألفاظ القليلة للمعاني القليلة، والألفاظ الشريفة للمعاني الشريفة، والألفاظ السخيفة للمعاني السخيفة [١].

ورأي الجاحظ من الذين اهتموا باللفظ والمعنى معاً في النقد القديم، فالسائد لدى النقاد في النقد القديم هو الاهتمام باللفظ على حساب المعنى.

ومن خلال الرجوع الى تعريف المعنى، إذ تقدم معاجم المصطلحات تعريفاً له ف(المعنى هو الشيء في ذاته، شكله اللفظ وكل ما يدور في البال من أمور النفس والكون ذو معنى، وهذا المعنى يجمع في جوهره كل ما هو كائن، وسيكون، فالمعنى هو الذّرة المادية، والذّرة الذهنية لكل كائن حاضر أو مغيب، فالله معنى، وحبه الرمل معنى، ونأمة الصوت معنى، وهمسة الهواء، ولمعنى الضوء، وخلجة الخاطر معنى، المعنى مجرّداً، المعنى مُشكّلاً، المعنى في كل صورة هو معنى لمعنى، ومعنى في معنى، فليس الشكل سوى معنى آخر"[٢]. فالصوفيون من خلال شعرهم، نجد بـــأنها همسات أرواحهم ومرايا نفوسهم وصدى أفكارهم، حتى لم يعد الصوفي كاتبا بل أصبح هو كلماته المكتوبة ذاتها [٣].

---

[١] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: كتاب الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربـــي، بيـــروت، ط٣، ١٩٦٩م، ٨/٦.

[٢] شلق، علي: مراحل تطور النثر العربي في نماذجه، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٤م،ج٣، ص٥٧٢.

[٣] يونس، وضحى، القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري، ص١٠١-١٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن هنا كان النص الصوفي احتوى على الإبداع الكتابي الجديد لما يحمل شعرهم من أفكار وبطاقات روحية ونفسيه كلها تعبر عن الحب الإلهي وهذا ما جعل شعرهم وأدبهم علما مستقلا بذاته لها مكانتها سواء في الأدب القديم والحديث ، لما لأنه انتقل من خلال شعره الى مستوى الرمز بعيدا عن المستوى العادي ، فالمتتبع للشعر الصوفي لايستطيع الغوص به إلا من خلال معرفة تلك الرموز التي يحيلها الشاعر في قصائده.

ومما يبدو واضحا أنّ الصوفيين قد طوّروا مفهوم المعنى في الأدب والنقد العربيين على عكس المعنى في النقد القديم الذي بقي مفهوم جامد، بينما الصوفية إذ جعلوه مفهوما متحركا متغيّرا باستمرار، إذ أصبحت الصوفية هي المعنى والبيان عنها هو اللفظ. وعلاوة على ما سبق ،فالصوفيون من خلال شعرهم جعلوا للمعنى أهمية وضرورة من خلال إعادة النظر إليه لأنه المعنى قابل للولادة باستمرار، وكل مرة يولد جديداً ومختلفاً، وهذا التعدد والتجديد يسهم في تجسيد وتطويرالعلاقة بين النص والمتلقي. فالتجربة الصوفية تجربة قائمة على الحب التي تعتمد على رقي القلب والوجدان ؛ لذا تكون اللغة المعبرة فيها العديد من التجديد لتعبر عن عشق الصوفيين ، وهو معنى المعنى في محاولة لحدس المجهول، واستنطاق الصمت، وتكثيف الزمن، واستحضار عوالم خفية، فالتجربة الصوفية، هي محاولة "قول ما لا يقال؟ ربما لكي يخلق تطابقاً وتماهياً بينه وبين السر، وبينه وبين المنطق، ولكي يعيش في كون لا ينتهي وأنه كمثل الكون لا ينتهي "[١]، فإذا كانت اللغة ضيقة فالمعنى واسع [٢].

ومن خلال تتبع بعض التراث الصّوفي بصورة عامة، نجد أنه فني بارز ينطلق من الواقع يتأمل ثم يعيد التشكيل من خلال النقل من الحياة التي يعيشها إلى الشعر معتمدا في ذلك على عنصر الخيال ، باعتباره القوة التركيبية والسحرية التي تساعده على التوفيق [٣].

فاللفظ الصوفي فهو لفظ خاص به ، وللصوفيين معاجم خاصة في اصطلاحاتهم الشعرية والنثرية، وفي المؤلفات الصوفية أبواب لتفسير ألفاظهم ففي الرسالة القشيرية مثلاً بابٌ في تفسير الألفاظ تدور هذه الطائفة وبيان ما يُشكِلُ منها.

ويؤكد ذلك قول القشيري عن الألفاظ التي استخدمها الأدباء الصوفيّون من خلال رسالته "ثم يبسط القول بعد ذلك لتبيان الألفاظ والمصطلحات والتعبيرات التي تدور في محيط

---

[١] أدونيس، علي أحمد سعيد: الصوفية والسريالية، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٤.
[٢] يونس، وضحى، القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري ، ص١٠٢-١٠٣.
[٣] عصفور، جابر،: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، دار الثقافة، ١٩٧٤م، ص١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصوفييون وكان هدفه من ذلك تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكي طرقهم ومتبعي سنتهم "[١].

وفي كتب الصوفية منها اللمع في التصوف للطوسي يجد الباحث بأنه كتاب شامل يرصد فيه الألفاظ الخاصة الجارية في كلام الصوفية، وهي أربعة وخمسون ومئة لفظ يذكرها الطوسي ويُبين معناها الصوفي، ومنها " الغيبة غيبة القلب عن مشاهدة الخلق بحضوره، ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر العبد والحضور هو حضور القلب لما غاب عن عيانه بصفاء اليقين فهو كالحاضر عنده وإن كان غائباً عنه " [٢].

ومما يبدو واضحا مما سبق نستخلص، أن الأدب الصوفي يحتوي على قضية جدلية قائمة على حب الروح والجسد الإنسانية لدى الأديب الصوفي وجُسدت هذه القضية في الأدب الصوفي من خلال الجدل ، والجدل الصوفي قائم على البحث عن موطن الروح الممزوجه بالحرية هو تجربة الإسلام في البحث عن مثل أعلى يُوحِّد بين الجسد الإنساني والروح الإلهي .

مما أدى ذلك إلى التجديد في أشكال التعبيربحث تكون قادرة للتعبيرعن المضامين الصوفية ، وكشف عن أبعاد جديدة في اللغة والفكر إذ يرادف الظاهر الشريعة والتنزيل، ويرادف الباطن الحقيقة والتأويل.

٣- لغة الحب الصوفي:

ويظهر جلياً الحب الإلهي في النثر الصوفي من خلال نص أم حسان الكوفية:

" قال عبد الله بن المبارك: ذكر سفيان الثوري امرأة بالكوفة يقال لها أم حسان ذات اجتهاد وعبادة، فدخلنا بيتها فلم نر فيه شيئاً غير قطعة حصير خلق، فقال لها الثوري: لو كتبت رقعة إلى بعض بني أعمامك لغيروا من سوء حالك؟ فقالت: يا سفيان قد كنتَ في عيني أعظم وفي قلبي أكبر من ساعتك هذه، إني ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها ويحكم فيها، فكيف أسأل من لا يقدر عليها ولا يقضي ولا يحكم فيها؟ يا سفيان واللهِ ما أحب أن يأتي عليَّ وقت وأنا متشاغله فيه عن الله تعالى بغير الله فأبكت سفيان"[٣].

مما يبدو واضحاً من خلال النص السابق مدى تعلق أم حسان الكوفية بالله سبحانه وتعالى الخالق، إذ نرى بأنها لا تريد من متاع الدنيا شيئاً، إذ نراها تتمنى ألا يضيع وقتها في مشاغل الدنيا وتبعدها عن ذكر الله وحبها له من أجل نيل رؤية المحبوب وهو الخالق سبحانه وتعالى. ونرى أن المبدأ الثاني في فكر النّساء الصّوفيات من العاشقات أن العاطفة لا العقل هي السبيل

---

(١) القشيري: الرسالة القشيرية، ص٦.
(٢) الطوسي، أبو نصر سراج: اللُمع، ص٤١٦.
(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٦٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للوصول إلى الله، يقول الغزالي: " كان ذلك حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين أقبل إلى غار حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد، حتى قالت العرب: إن محمداً عشق ربه"[١].

وهكذا كان الحب الجسدي في أثار هؤلاء العشاق طريقا إلى الحب الإلهي، إذ الجمال في الخليقة مرآة جمال الله، وهؤلاء يذهبون في شرحهم لخلق الكون إلى أن الأصل فيه الجمال الإلهي، وذلك أن الصفة الجوهرية في الجمال هي أنه بطبعه ميال إلى الظهور والإيحاء بنفسه.

وهذا هو الباعث لدى الجمال الأقدس أن يخلق ليعرف بهم، ولما أراد ذو الكمال المطلق والجمال الأسمى أن يعرف، كان لابد أن يعرف بمخلوقات فيها نقص وفيها شر، ليدل نقصهم على كماله وخيره كما يدل الخلائق عن الله بمقدار انغماسها في المادة وظلماتها، لأنها تبعد بذلك عن النور المطلق المتصف به واجب الوجود، وتقرب من الكمال بمقدار بعدها عن ظلمات المادة وتعلقها بمظاهر الجمال والخليقة "[٢].

وهذا الجمال هو مرآة ذي الجلال، حتى ترقى بالحب الإلهي إلى الفناء في الذات وتعود بذلك إلى أصلها الذي صدرت عنه. فالجمال الإلهي هو الأصل في الخليقة، ومن أسباب المحبة التأمل في جمال الوجود إذ إنّ ذلك الجمال فيض من جمال واجد الوجود.

فهؤلاء العشاق من المتصوفة (بتأملهم في جمال الخلق) يتقربون إلى جمال الحق ولطول تأملهم فيه، يعتريهم ذلك الشعور الفياض الذي يستغرقون فيه حتى يصلوا إلى حالة الوجود ويغيبون عن وعيهم الحسي ويعتريهم من الهيام بالله ما يرقصون فيه طرباً مردِّدين اسمه على لسانهم في حلقات الذكر.

أن المتأمل في أدب النساء الصوفيات، يرى أن أدبهن الصوفي يخفي دلالته الإيجابية المستترة على الرغم من مظهره السلبي الخادع وطابع تشاؤمه الموغل في الحزن، ذلك أن هذا الأدب في مجموعه كان هروبا من الحياة وانسحاباً من الواقع المثقل بالأسى والظلم والتخلف، ولكنهن عرفن كيف يضفن على هذا الهرب أبعاداً تتجاوز مجرد الشكوى والأنات، وحزن الضعف والتواني، عندما هربن بفكرهن إلى الطبقات العليا من أجواء الروح المتعالية والنفس المتسامية والخيال الحرّ الطليق.

صحيح أن هؤلاء الصوفيات(من عاشقات) قد عزفن عن نشدان السعادة في هذه الحياة، لأنهن يائسات عن الظفر بها في الحياة الدنيا، واتجهن بإخلاص إلى نشوان سعادتهن في العالم الآخر داعيات إلى التعجيل بالرحيل من هذه الدنيا عازفات عن كل ما تحفل به من ماديات ومتع

---

[١] الغزالي،أبو حامد، المنقذ من الضلال، ص ٥٧.

[٢] الدخيل، محمد، طقوس الحب في الشعر الصوفي ، مؤتمر فيلاديفيا الدولي الثالث عشر ،٢٠٠٨، ص ١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موقوته، ولكنهن في تبرير مسلكهن هذا قد صوّرن(في صدق وروعة وأصالة) ما حفلت به عصورهن من شرور ومآثم، وكنَّ في هذا المجال أعمق إدراكاً وأقوى دلالة من سواهنّ من الكتاب والشعراء الذين جاروا عصورهم ومالئوا المستبدين بها، وتستروا على ما زخرت به من زيف وطغيان، وقد كان هذا الطغيان في أكثر حالاته طغيان سلطان المال في تلك المجتمعات التي استبد فيها سلطان الفرد كما انسحقت الغالبية فتلاشت مواهب كثيرة، وتبددت طاقات خلاقة ووئدت أصوات كانت تُبشّر بانطلاقات جديدة عارمة، وانطمست معالم الرأي السليم والفكر الناضج.

ـ خصائص الصورة والإيقاع في الأدب النّسوي الصّوفي.

أهمية الصورة في الشعر:

الإيقاع والصورة يجريان سويا في حلبة الشعر، ويرتبطان على نحو لا ينفصم وهما الخاصيتان اللتان تميزان الشاعر. والشعر يختلف في أدواته عن بقية الفنون الأخرى، فالموسيقى والرسم ليس لهما معانٍ يدركها الذهن من سماع القطعة الموسيقية، أو تأمل خطوط اللوحة وإنما تأخذان طريقهما إلى الوجدان المباشر، يدركها الحس، وينفذ بها إلى الشعر، ودور العقل في هذا محدود [١].

وأما الشعر فيخاطب الوجدان، ويحيل الأفكار الذهنية إلى إحساسات، ويستخدم اللفظ، وللألفاظ دلالة عقلية ونفسية خاصة، وإدراكنا لهم يتم عن طريق الشعور والعقل، وإدراك الألفاظ عقليا يقف في طريق الشعر منساباً إلى نفوسنا، ومن ثم يستعين الشاعر بأدوات الفنون المجردة، ليغلب الدلالات الشعورية للألفاظ على دلالاتها الذهنية، فهو يتخذ من إيقاع الوزن وجرس الألفاظ وموسيقى الأسلوب، وسائل ينفذ بها إلى عواطف سامعة أو قارئة، وهو أيضاً يستخدم طبيعة التصوير، فكما تعتمد اللوحة على الخطوط والألوان في إبراز إحساس الرسام، تعتمد الصورة الشعرية على جزيئات مؤتلفة لو نظرت إلى كل منها مفردة لم تجد لها دلالة نفسية أو ذهنية كبيرة، ولكن بإجماعها ترسم لوحة شعرية متكاملة الجوانب [٢].

وكلمة صورة تعني أصلاً التجسيم وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [٣]، وفيه أيضاً قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى

---

[١] الجيوسي، سلمى: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي، دار صادر بيروت، د.ن، ج٢، ص٧٤٦.
[٢] المصدر السابق، ص٧٤٦.
[٣] سورة الانفطار، الآية (٧-٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [١]، واتسع معناها في النقد الأدبي الحديث وتحدد في الوقت نفسه، اتسع لأن استخدامها لا يقتصر على ما تراه العين، بل امتد إلى كل ما يؤثر في أي من حواسنا، أو في مجموعة منها لأن كل إحساس ينجم عنه تصور معين، وتحدد لأنه على الأقل فيما يتصل بشكل الصورة يشمل الانطباعات الحسية، تجيئ وليدة التشبيه أو الاستعارة، وسائر الصورة البلاغية، مهما كانت الحاسة التي تتجه إليها، ويستبعد الوصف المباشر حتى ولو كان حسياً. "[٢].

والصورة الشعرية في الادب العربي قديمة قدم الشعر نفسه، وأشعار امرئ القيس تحفل بالكثير منها وأبرزها تصويره لليل، ويمضي به بطيئاً متثاقلاً، يفيض بالهم من كل جانب أناخ عليه بقسوة وألقى على أحاسيسه بكل ثقله، يكاد يطحنه في أبياته الشهيرة [٣].

ولكن النقد العربي لم يكن بمستوى الإبداع، فغفل عن الصورة، وجمد عند الوان من الاستعارة، واهتم بإيجاد العلاقة الحسية، أو وجه الشبه إذا شئت بين المشبه والمشبه به، والاستعارة عنده ضرب من التشبيه؛ وغط من التمثيل.

وعبدالقاهر الجرجاني (ت: ٤٧١) وحده ألم بدور الاستعارة في تجسيم الذهني، وتشخيص المجرد، إذ أشار إلى أنك ترى بها "الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخُرس مبنية، والمعاني الخفية بادية جليلة، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها، والرونق مالم تزنها، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكفها وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية، لا تنالها إلا الظنون "[٤].

وتربط الصورة الشعرية بتجربة الشاعر، تجسد فكرة أو عاطفة، وذات صلة قوية بالمشاعر التي تسيطر على القصيدة، وتصبح جزءاً منها، وتتآزر مع بقية الأجزاء الأخرى لتنقل لنا التجربة كاملة، يقوم بها الخيال بالدور الأساسي في تشكيلها يلتقطها ببراعة من مشاهدات الواقع، وملابسات الحياة اليومية، أو يرتفع بها عن الحوادث العادية فيستمدها من مناظر الطبيعية وأماكن الجمال الرفيعة، ويمزج بين عناصرها المختلفة، فتجيئ خلقاً جديداً يختلف في طبيعته وخواصه عن العناصر الأولية التي تألف منها [٥].

---

[١] سورة آل عمران، الآية (٦).
[٢] المزيد، محمد، التشكيل الفني والموضوعي في شعر أبي دهبل الجمحي ، رسالة دكتوراه ، اليرموك ،٢٠١٢، ص ١١٣.
[٣] مكي، الطاهر أحمد: امرؤ القيس حياته وشعره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢٣٦
[٤] الجرجاني، عبد القاهر ، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ١٩٩١م، ص٤٣.
[٥] مندور، محمد: في الميزان الجديد، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة، ١٩٧٧م، ص٥٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالمهمة الأولى والأشد بساطة لدور الصورة يقوم على أسس بلاغية من تشبيه واستعارة، فقد تجيء رسماً لموقف نفسي أخاذ، ذات دلالة حقيقية لا تنطوي على شيء من مقومات البلاغة التقليدية، وبقدر ما يكون الانطباع الحسي أكثر دقة، وأشد خصوصية، بقدر ما يتضاعف تأثيره، ولهذا فإن الكلمات العاطفية المجردة مثل الجمال والموت ومتعة الجمال تظل معنى تجريداً لا قيمة له في مشاعرنا ولا يتجاوز المفهوم الثقافي الخالص، مالم نجرب هذه المتعة حقاً بتأمل شيء جميل، أو تذوقه بعيداً عن تعريفه، أو نقرأ عنه غير تعريف من خلال الكتب العلمية.

وقد تكون الصورة الشعرية ذات أبعاد واسعة، تعتمد على حشد من الألفاظ والعبارات والتي لو قرأتها متفرقة لم يكن لها تأثير كبير، ولكنها مؤتلفة كل واحدة منها توضح جانباً من الصورة، وتأتلف مع سائر الأجزاء، فإذا نحن في نهاية المطاف أمام لوحة شعورية كبيرة ذات دلالة خاصة.

ويمكن أن يميز فيما يأتي به الشاعر بين صور جيدة وأخرى رديئة، ومبدع الأولى مكتشف وصانع الثانية مخترع، والصورة الجيدة لا تجيء أبداً وليدة اختيار تعسفي، والشبه الذي تظهره الصورة كان موجوداً من قبل، وإن لم نكن ندركه، ومهمة الشاعر أن يتعمق بحدسه الخيالي تحت سطح الأشياء، حتى يقع. والقارئ لا يقف عند مجرد معناها، بل إن هذا المعنى يثير فيه معنى آخر هو ما سمي معنى المعنى وهو المستوى الفني أو الجمالي للعمل الإبداعي.

وتزخر الكتب والمقالات النقدية الحديثة بالأحاديث المطولة التي تحاول تحديد مفهوم الصورة الشعرية، ولعل أبسط ما قيل في محاولة تحديد هذا المفهوم هو أن الصورة "تعبير ينقل شعور الشاعر وأفكاره معتمداً على التجسيد لا على التصريح والتجريد وقد يتحقق ذلك في تعبير كامل أو لفظة واحدة، وقد يكون حقيقياً لكنه يساق على طريقة خاصة، فكما أنه يمكن تخزين الصورة من استعارة أو تشبيه، يمكن أيضا تكوينها من عبارة أو فقرة تبدو في ظاهرها وصفية خالصة بيد أنها توحي إلى الخيال شيئاً زائداً عن حقيقتها الخارجية "[1].

ولم يقلل أحد من النقاد من قيمة الصورة في الشعر، بل أن منهم من جعلها جوهر العمل الشعري، لأن الشعر هو "التصوير للمشاعر وإيرادها في صور يبتعد بها عن التجريد من ناحية ومن السرد والتقرير من ناحية أخرى، ولا قيمة للموسيقى في هذا المفهوم إلا بمقدار ما تشد من أزر هذه الصور وتضيف إلى ايحاءاتها "[2]. ومن ثم تصبح "الوسيلة الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة، فما التجربة الشعرية كلها إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية تقوم

---

[1] مندور، محمد: الأدب وفنونه، ص١١٥.
[2] هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ص١٩٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الصور الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الأساسي في المسرحيات والقصة، وإن الصورة جزء من التجربة، ويجب أن تتآزر مع الأجزاء الأخرى في نقل التجربة نقلا صادقاً "[١].

إضافة إلى ذلك، فإن أهمية الصورة التي تناولها النقاد في درسهم النقدي "لا يقلل من قيمة الموسيقى، بل هي ضرورية لكل شعر وإلا أصبح نثراً، وهناك شعر يستمد معظم جماله في موسيقاه، بل تصبح فيه الموسيقى أداة للتعبير تفوق في أهميتها الألفاظ والصور"[٢]، فالصورة البيانية نواة في الخطاب الشعري إذ تمثل البعد الجمالي لعالم فنّان وساحر.

١- التشبيهات :

ومما يبدو واضحاً من خلال الوقوف على مفهوم التشبيه وأهميته نجد أن التشبيه في اللغة مأخوذ من الشّبه والتشبيه بمعنى التمثيل [٣]، وفي الاصطلاح، يراد به إلحاق أمر، بأخر في صفة مشتركة بينهما، لغرض يقصده المتكلم ويرمي إليه [٤]، ولأنه يساعد على تجلية الخفي، وإدناء البعيد، كما يعين على توضيح المعنى، وتقريبه بصورة موجزة، وجميلة، يشهد عناية الدّارسين، فكشفوا حقيقته، وحدّدوا أقسامه، وأغراضه، ولعلّ المبرّد (ت ٢٨٥ هـ) من أوائل العلماء الذين قاموا بذلك، موضحاً الحسن منه، والقبيح دون أن يعلّل سبب ذلك [٥].

ثم إنّ الجرجاني درسه دراسة متأنية، وفهم علاقته بسائر الفنون البيانية، معرّفاً إياه بقوله "التشبيه، أن يُثْبَتَ لهذا معنى من معاني ذاك، أو حُكْمَا من أحكامه كإثباتِكَ للرّجل، شجاعة الأسد، وللحجّة حُكم النّور"[٦].

وما من شكّ أن التشبيه مسلك بياني شهد عناية خاصة ومكانة مميزة عند الشعراء منذ العصر الجاهلي، حيث كثُر وروده في أشعارهم، بما له من روعة وجمال داخل النّص الأدبي؛ مما جعل صاحب الإيضاح، يشيد بأهميته قائلا: "وإذْ قد عَرفتَ معنى التشبيه في الاصطلاح، فاعلم أنّه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني

---

[١] هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ص٢٤٣.
[٢] المصدر السابق، ص٣٨.
[٣] ابن منظور: لسان العرب، م٥، مادّة (ش ب هـ).
[٤] فيّود، بسيوني عبد الفتاح: دراسات بلاغية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٩٩.
[٥] المبرد، أبو العباس محمد بن زيد: الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م، ص٩٩.
[٦] الجرجاني: أسرار البلاغة، ص٨٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

به، لاسيما قسم التمثيل منه، يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها، مدحاً كانت أو ذمّاً أو افتخاراً "[١].

فالشاعر إذن في خلق تشبيهاته، ينطلق من محيطه، وممّا وقع عليه بصره داخل بيئته، إذ توفر له المادة التي يشكل منها مختلف صوره الشّعرية، ونتيجة لذلك جاء التشبيه في كل عصر، متأثراً بالبيئة وخاضعاً لها، تضفي عليه كلّ سماتها وتمنحه جميع خصائصها. فهو فنّ من فنون التعبير الشعري، أولع به الشعراء، منذ الجاهلية فوافق طبائعهم، وجاء مُستمدّاً من بيئتهم البدوية[٢].

والمرأة الصوفية، استخدمت هذا الأسلوب، بكثرة في شعرها، إذ اتّخذته وسيلة لتصوير حياتها وجلاء مشاعرها وإبراز نفسيتها وكانت فيه (هي الاخرى) وفيّة لبيئتها بكل ملامحها وجوانبها.

ولأن الطبيعة، معين شعري لا ينضب، نراها تشكّل، أهم ملمح بيئي في شعر المرأة، فالعابدة الصوفية، اتخذتها أداة فنية مهمّة، لرسم صورها الشعرية، سواء أكانت تلك الصور تشبيهية، أو استعارية، أو كنائية، ولا غرابة في ذلك؛ لأنّه ما من شاعر، يستطيع أن يرسم لوحاته الشّعرية بمنأى عن الطّبيعة، فهي تمنح الإبداع الشعري طاقة حيوية لا تضاهى.

فمن خلال الوقوف على أدب النساء الصوفيات في العصر العباسي، ألفينا التشبيه عنصراً هاماً من عناصر البناء الفني فيه غير أننا نتوقع اختلافاً وبوناً شاسعاً بشأن عناصره، نظراً للتحول الذي شهده العصر، حيث انتقل الفرد العربي من حياة البداوة إلى حياة التمدّن، وبموجب ذلك اختفت مظاهر الخشونة والقساوة لتحل محلها مظاهر الرّفاهية والعيش الرّغيد.

والحقيقة أن المرأة الصوفية لم تكن بمنأى عن التغيرات التي مسّت جوانب الحياة في هذه الفترة، فشعرها يترجم روح عصرها ويعبر عن المستجدات التي ميزته عن سائر العصور ولذلك لا عجب أن تتردد في تشبيهاتها الألفاظ الدّالة على ليونة الطّبع، ورقة الشعور، وعذوبة الإحساس، فضلاً عمّا يوحي، ببهرج الحياة ورونق الحضارة، مثلما نلمحه في قول رابعة العدوية:

يا سروري ومنيتي وعمادي ... وأنيســـي وعُـــدّتي ومرادي
أنت روح الفؤاد أنت رجـــائي ... أنت لي مؤنسٌ وشوقك زادي [٣]

---

[١] القزويني، محمد بن عبد الرحمن الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم الخفـــاجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.ص١٣٦.
[٢] الجويني، مصطفى الصّاوي: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٥م، ص٩٥.
[٣] الحريفيش، الروض الفائق، ص ١١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا نجد بأن رابعة العدويّة عبّرت عن حياتها الواقعية وحبّها للخالق سبحانه وتعالى إذ جعلته وشبهته بروح الفؤاد والروح هي المحرك لجسد الإنسان وفؤاده فهو تشبيه نابع بأن قلبها متصل بالذات الإلهية وهذا أساس مذهبها في الزهد القائم على الاستغراق في حب الخالق ونشوان الاتصال الروحي بالمولى عز وجل.

ولم تكن رابعة وحدها في هذا الميدان بل شاركتها أخريات من بنات جنسها مثل تحفة المجنونة من خلال قولها:

أنت نـــاري وجنتي ونعيمـــي وأنـــيسي وأنت نور النـــور
كم ترى يصبر المحب على البعدِ وكم يلبث الهوى في الصدور [١]

إذ نرى أنها قد جعلت المحبوب وشبهته بصفات عدة منها النار والجنة والنعيم والأنيس والنور وهذه الصور يكون تركيزها على الصوت؛ فيذهب الناقد أو الدارس ليرد هذه الصور إلى أداة الصوت عند الشرح والتحليل فتتحول الصورة من صوت إلى بصر ظناً أو توهماً من الدارس أن الصورة المتخيّلة لا تأتي إلا من الحاسة البصرية.

ومما جاء من أمثلة النثر النسوي الصوفي على التشبيه، قول عُفيرة العابدة:

"قال روح بنت سلمة الورّاق لعفيرة العابدة: بلغني إنكِ لا تنامين بالليل؟ فبكت، ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً؟ وقلت في نفسي: أراني في شيء وأركِ في شيء" [٢].

فمن خلال النص السابق يجد الباحث أنها جعلت النوم عبارة عن شيئ يشتهى مثل الطعام وهذه صورة تدل على عدم مقدرتها على النوم ، كالانسان الذي غاب عنه الطعام أو موجود أمامه وليس لديه المقدره عليه لما يجول في خاطره من افكار .

ويظهر كذلك في قول أم طلق: "النفس مَلِك إن اتّبعتها ومملوك إن أتعبتها "[٣].

وعلاوة على ما سبق يظهر التشبيه من خلال قول أم طلق إذ جعلت النفس كالملك والمملوك فإنك تملكها إذا جعلتها تقوم ما تأمره بها وتملكك النفس إذا أمرتك بما تريد، من أفعال تغضب الله سبحانه وتعالى.

---

[١] الحريفيش، الروض الفائق ، ص٢٢١.
[٢] ابن الجوزي، صفة الصفوة: ص٧١١.
[٣] المصدر السابق، ص٧١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- المجازات :

مفهوم المجاز وأهميته:

المجاز من مسائل علم البيان، التي حظيت بعناية الدارسين واهتمامهم لا سيما الباحثين في الدّراسات القرآنية، ولذلك صار ومصطلح الحقيقة من أمّهات القضايا التي تناولها جلّ البلاغيين قديماً إذ كشفوا حدّه، وبينوا ماهيته، مسجلين بشأنه، آراء ومواقف متباينة، لم تتوضح جليّا إلا بعد مجيء الإمام عبد القاهر الجرجاني، الذي حدد مصطلحاته العلمية بدقة فائقة، معرّفاً إياه بقوله: "إذا عُدِل باللّفظ عمَّا يُوجبه أصل اللّغة، وُصِفَ بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وُضِع فيه أولاً "[١].

وعليه، فإن استعمال اللفظ، للدّلالة على معنى، لم يخصّص له في أصل الوضع يعدّ مجازاً، غير أن الأمر لا يتحقق إلا بتوفير شرطين أساسيين، الأوّل، يتمثل فيما يعرف بالقرينة، وهي ذلك العنصر الضروري، الذي يدفع التوهُم عن المتلقي، حتّى لا يعتقد أن المعنى الحقيقي هو المراد، وإنما المعنى المجازي؛ ولذلك وجب على المتكلّم إقامة دليل لفظي او حالي في كلامه، يكشف من خلاله أنّه أراد بالكلمة، غير ما وضِعت له. أما الشراط الثاني، فيتلخص فيما يُسمى بالملاحظة التي أشار إليها الجرجاني في قوله: "أما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقّعَتْ له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأوّل ... "[٢] .

ولأهمية هذا الشرط، في استقامة التعبير المجازي، وصحّته يكشف إمام البلاغة معناه فيقول: "ومعنى الملاحظة أنّ الاسمَ، يقَعُ لِمَا تقول أنّه مجاز فيه، بسبب بينه وبين الذي تجعله حقيقة فيه. "[٣].

فالملاحظة إذن، تمثّل الصّلة الوثيقة بين المنقول له والمنقول عنه أو المناسبة التي تساعدنا على الانتقال، باللفظ من معناه الأصلي، إلى المعنى الذي لم يوضع له في أصل الاصطلاح.

وللإشارة فإن علماء البلاغة، يُعوّلون كثيراً على هذا الشرط، لكونه السّبيل الوحيد إلى التمييز بين أقسام المجاز التي حدّدا علماء علم البيان، يتقدمهم الجرجاني بقوله: "واعلَم أن المجاز على ضربين، مجاز عن طريق اللّغة، ومجاز عن طريق المعنى والمعقول "[٤].

---

[١] الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص٣٩٥.
[٢] الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص٢٦٠.
[٣] المصدر السابق، ص٣٩١.
[٤] الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، ص٤٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالذي هو من طريق اللّغة، فإنه المجاز اللّغوي، الذي ينقل فيه اللّفظ، من معناه اللّغوي، إلى معنى آخر، بينهما حِلّة ومناسبة، ويكون في المفرد، ممّا يعني أنّه، يقع في المثبت، بدليل قول فخر الدّين الرّازي: "المجاز اللغوي، يقع في المثبت والمثبت لابدّ أن يكون مفرداً "[١].

والذي من طريق المعنى، والمعقول فإنه المجاز العقلي الذي قرّره، واستخرجه الجرجاني بفكرته الصافية، وسمّاه المجاز الحكمي الذي يرادُ به اسناد الفعل، أو معناه إلى ملابس له، غير ما هو يتأول [٢]، أي إسناد الحكم إلى غير فاعله الحقيقي.

وبالإضافة إلى ذلك فإن التعبير المجازي، يعمل على تشويق المتلقي إلى تحصيل الكلام من أجل فهم العلاقات التي تربط عناصر التّركيب، ليقف بعد ذلك على مكمن الجمال في النص الإبداعي.

ويرى بعض الدارسين أن المجاز يعين الأديب على التعبير عن معانيه وإخراجها وفق ما تقتضيه قافية أو موسيقاه الخارجية، حيث يمدّه بشتى طرق تصوير المعنى، إضافة إلى الألفاظ التي تساعده على إدراك قافيته أو تسجيع سطوره، إذا ما كان ناثراً [٣].

وبذلك فإنه يسمح للمبدع، بتوسيع دائرة استخدام ألفاظ اللّغة، إذ ينتقي منها ما بدا له، ثم يشحنها بما يلائم قصده ويتناسب مع مبتغاه في أي غرض كان.

ولمّا كانت الحقيقة، عاجزة عن تحقيق المبالغة، التي هي عماد الإبداع الأدبي كان المجاز أولى منها في الاستخدام، وقد أدرك المتخصّصون، الذين فقهوا فنون القول، وألمّوا بعناصر البلاغة، أن الأديب إذا تاقت نفسه إلى الايحاءات الفنية، واختلجت المعاني في صدره وتزاحمت وجد ضالّته في المجاز، لأن الفن الذي يتّسع لشتّى أشكال التعبير، فيحصل له به التأثير الذي يسعى من وراء كلامه، ويتحقق السّحر الّذي أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، فيهيم السّامع بخياله، وتنتشي روحُه، ويصبح أسير العبارة المجازية التي وصفها ابن الأثير بقوله: "ليسمَحُ بها البخيل ويشجعُ بها الجبان ويحلم بها الطائش المتسرّع "[٤]. ولذلك كان التعبير المجازي، أبلغ من الحقيقة، وأوقع على النفس، وألطف من اللفظ الظاهر المكشوف.

والمرأة الشاعرة كباقي الأدباء عاشت مواقف، وتجارب شعورية، حملتها إلينا عن طريق الخطاب المجازي الذي يحضر القوّة في شعرها متخذاً أشكالاً شتّى. إذ يلاحظ المتصل بأدب النّساء خلال العصور الأدبية الأولى، وجود ظاهرة تتردد بكثرة في شعر النسوة تتمثل في مخاطبة جميع من حولها من أدوات وجمادات وحيوانات وكأنها تعي وتسمع ما يوجّه أليها من

---

[١] الرازي، فخر الدين: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥م، ص٨٠.
[٢] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص٨٣.
[٣] مختار، عطية: علم البيان وبلاغة التشبيه، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٢٥.
[٤] ابن الأثير، علي بن محمد: المثل السائر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ص٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خطاب، والحقيقة أن هذه الظاهرة تترجم بوضوح، علاقة المرأة بالأشياء المحيطة بها، كما تعكس تفاعلها القويّ، واتصالها الشديد بعناصر بيئتها إذ تحاورها وتبثها أوجاعها وآلامها، راجية منها المشاركة والمواساة وأحياناً أخرى، طلباً للتخفيف، من وطأة المعاناة التي تمر بها.

والمرأة حين تخاطب الأشياء التي لا تخاطب في العادة، تكون بصدد كشف رؤيتها، لتلك الأشياء، والتعبير عن موقفها تجاهها، علما أنّ هذه العملية تتصل كثيراً بالموقف الشعوري الذي تحياه الشاعرة، وهي بقدر غرابتها قد تهزّ وجدان المتلقي، وتلامس شعوره، فيُقبل على النص الشّعري، ليُعاين بنفسه التجربة الشعورية التي عاشتها صاحبة القصيدة [١]. والذي لا جدال فيه، أن هذا اللّون من الخطاب، يستوجب خيالاً شعرياً خصباً، وقدرة فائقة على الابتكار، ذلك لأن الشاعرة، في خطابها للأشياء تنفي عنها سماتها الأصلية وتكسبها أخرى، بحيث لا تغدو خرساء، وإنما نابضة بالحياة وقادرة على مقاسمتها عبئ التجربة الأليمة، وما كان ليتأتى لها ذلك، لولا الأسلوب المجازي الذي أسعفها في تنويع خطابها الشّعري.

فالشاعرة في مخاطبتها للعين ، توظّف أسلوب النداء ، وكأنها تدعو إنسانا ذا عقل ، وقلب من أجل لفت انتباهه.

لستُ أبكي فراق عيني لعيني إنما خشيتي لأن لا أراكا [٢]

وهذا مجاز مرسل علاقته الآلية : ذكرت عيني وأرادت " بصري " للدلاله عن مصيرها وهي النار إذا لم يكتب لها رؤية المحبوب وهو الخالق سبحانه وتعالى إذ لا يراه إلا أهل الجنة من الصديقين والشهداء والأبرار.

وبعد الحديث عن المجاز واعتبار الاستعارة جزءاً منها لذا لابد من تعريف الاستعارة وبيانها في شعر النّساء الصّوفيات.

٣- الاستعارات:

تناول النقاد والبلاغيون القدماء موضوع الاستعارة بالشرح والتحليل مبينين جماليات استعمالها داخل النصوص الأدبية فعرفها الجرجاني بقوله: الاستعارة "أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية" [٣].

---

[١] ربابعة، موسى: تشكيل الخطاب الشعري، دار جرير للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٦م، ص١٢.
[٢] ابن عربي: الكوكب الدري، ص٢٧١.
[٣] الجرجاني، عبد القاهر ، أسرار البلاغة، ص٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعرفها الجرجاني بقوله: "الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصلي ونقلت العبارة، فجعلت في مكان غيرها وملاكها بقرب التشبيه ومناسبة المستعار للمستعار له، وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر" [١]. وقد شغلت الاستعارة مكاناً واسعاً في شعر النساء الصوفيات ويمكن التدليل على وجود الاستعارة :

وقولها في موضع آخر:

اجعل لنفسك في الليالي نبهةً تُنْبهك من خلل المنام قياما [٢]

حيث أنها قد جسّدت النفس وجعلتها كائناً بشرياً ينبه ولا ينام ويبقى طوال الليل قائماً وهذه دعوة صادقة إلى الالتزام بقيام الليل والتهجد فيه وذكر المولى عز وجل وطرد النوم لأنه ملهاة وخسران مبين.

بقول رابعة العدوية:

فالجسم مني للجليس مؤانسٌ وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي [٣]

حيث شبّهت العابدة الجسم بإنسان يؤانس من حوله وهو على سبيل الاستعارة المكنية وسر جمالها التجسيم وإبراز معنى.

"قال يحيى بن بسطام: دخلت مع نفر من أصحابنا على عفيرة وكانت قد تعبدت وبكت حتى عميت، فقال بعض أصحابنا لرجل إلى جنبه؛ ما أشد العمى على من كان بصيراً! فسمعته عفيرة فقالت له: يا عبد الله عمى القلب –والله– عن الله أشدُّ من عمي العين عن الدنيا، والله وددت أن الله وهب لي كنه محبته وأنه لم تبق مني جارحة إلا أخذها" [٤].

إذ نلحظ من خلال النص النثري السابق أن الإستعارة تظهر من خلال قول عفيرة العابدة عمى القلب أشد من عمى العين عن الدنيا، وهنا الأستعارة وهي مكنية ، إذ إنّ من يُعمى قلبه في الدنيا عن ذكر الله تعالى والابتعاد عن فرائضه وارتكاب الخطايا التي تغضب الله سبحانه وتعالى أكبر من عمى العين في الدنيا لأن أعمى البصر لا يكون أعمى البصيرة ويكون ملتزماً بتعاليم الله سبحانه وتعالى وملتزماً بعبادته وتكون نهايته الفوز بالجنان أما أعمى القلب فتكون نهايته غضب الله ونار جهنم التي تنتظره.

وقولها في موضع آخر:

---

[١] القيرواني، ابن رشيق: العمدة، ص٢٧٧.
[٢] النيسابوري: عقلاء المجانين، ص٢٨١.
[٣] ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٨٥٩.
[٤] المصدر السابق: ص٧١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالله يا ريح الصبـــا مري على تلك الربـــا

وبلغـــي رسالتـــي بنصهـــا أهل قبـــا

واحربا وهل يـــــــرد د فائتـــا واحربـــا [١]

ففي البيت الأول والثاني شبهت رابعة الريح بإنسان يوصل جميع الرسائل بنصها وكأنها إنسان يتكلم ويبوح ما عنده من أقاويل وأسرار وهذا النوع فيه تجسيد للرياح من حيث إبراز المعنى الذي تقصده الشاعرة

وتظهر الاستعارة كذلك في قول جارية سوداء:

لك علمٌ بما يجن فؤادي فارحم اليوم ذلتي وانفرادي [٢]

ففي البيت السابق نجد أنها شبهت الفؤاد بإنسان يُجن وحذف المشبه به وجاء بصفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية وقد أوضحت هذه الصورة الحزينة الويلات التي تلاقيها الشاعرة من انفرادها وبعدها عن المحبوب وهو الخالق سبحانه وتعالى.

ويمكن التدليل على وجود الاستعارة كذلك في قول امرأة في الطواف بقولها:

رأيت الهوى حلواً إذا اجتمع الوصل ومراً على الهجران لا بل هـــو القتل

ومن لم يذق للهجـــــر طعماً فـــإنه إذا ذاق طعم الهجر لم يدْر ما الوصل[٣]

حيث شبهته بشيء يؤكل ، وحذفت المشبه به وذكرت شيئا من لوازمه وهو الذوق على سبيل الاستعارة.

وقول ريحانة:

بوجهـــك لا تعذبني فـــإني أؤمِّـــل أن أفوز بخير دار

مُنجّـــدة مزخرفة العلالي بها المأوى ونعم هي القرار

وأنت مجاور الأبـــرار فيه ولولا أنت ما طاب المزار [٤]

ويظهر من خلال القول السابق :بأن قول الشاعره بخير دار وهي استعرة تصريحية للدلالة على النعيم وهي الجنة .

ومن أمثلة النثر النسوي الصوفي على الاستعارة يظهر من خلال قول حبيبة العدوية:

---

[١] ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني : روضة التعريق بالحب الشريف، تح محمد الكتـــاني، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٠م، ج١، ص١٧٠.

[٢] ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٦٢.

[٣] المقدسي، ابن قدامة: المتحابين في الله، تح: خير الله شريف، ط١، دار الطباع للطباعة والنشـــر والتوزيـــع، دمشق،١٩٩١م، ص٩٤.

[٤] النيسابوري: عقلاء المجانين، ص٢٨١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن عبد الله المكي أبي محمد قال: كانت حبيبة العدوية إذا حلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها، فقالت: إلهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك.

فإذا كان السَّحر قالت: اللهم وهذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت في ليلتي فأهنّى؟ أم رددتها علي فأعزّى؟ فوعزتك لهذا دأبي ودأبك أبداً ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني ما برحت من بابك ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك [١].

ففي النص السابق قولها "وهذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر"، نرى بأن حبيبة استعارت أحد صفات المخلوقات كالإنسان مثلاً بأنه يذهب ويأتي.

ويظهر كذلك في قول امرأة رياح القيسي في قولها:

"انما تزوجت رياحاً القيسي ولم أرني تزوجت جباراً عنيداً! فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم.

فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم.

فلم يقم فقامت الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم.

فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم وليت شعري من غرني بك يا رياح.

قال: وقامت الربع الباقي [٢].

وتظهر الاستعارة من خلال قولها وعسكر المحسنون إذا شبهت المحسن كالجندي الذي يقوم بواجبه لحماية الوطن طول الليل ساهراً من أجل حماية أرواح الأفراد وكذلك المحسن يتهجد ويسجد طوال الليل من أجل نيل رضى الله سبحانه وتعالى.

٤- الكنايات :

وهي إحدى المفردات التي يتم بواسطتها تشكيل الصورة الجزئية في النص الشعرية، وقد أولاها النقاد اهتماماً كبيراً نظراً للدور الذي تقوم به في النص والمتمثل في حض القارئ على استخراج المعاني المطلوبة، وقد عرفها القزويني بقوله: "اللفظ أريج به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذٍ" [٣].

---

[١] ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٠.

[٢] المصدر السابق، ص٧١٧.

[٣] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص٤٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والكناية عند عبد القاهر الجرجاني "إثبات معنى المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه" [١].

ومن أمثلة الكنايات في شعر النساء الصوفيات قول رابعة الشامية:

وزادي قليلاً ما أراه مُبلّغي اللزاد أبكي أم لطول مسافتي؟ [٢]

كناية عن طول العمر لدى الشاعرة وتتمنى الموت من أحل لقاء المحبوب.

حيث جاءت الكناية عن الجنة بلفظ خير الدار للفوز بها.

وتظهر الكناية في موضع آخر من خلال قول الشاعرة تحفة:

قــد تهتَّكْتُ بحبك كيف لي فيه بقربك

فــترقَّق بفـــؤاد يشتكي شدَّة بُعدك [٣]

هذه كناية عن حبها للانتقال إلى المحبوب سبحانه وتعالى وهي الدار الآخرة.

وقولها في موضع آخر:

ألبستني ثوب وصل طاب ملبسه فأنت مولى الورى حقاً ومولاني[٤]

هذه كناية عن الإيمان والقرب والوصال بالله سبحانه وتعالى.

وقولها في موضع آخر:

سقاه من محبته بكأس فأرواه المهيمن إذا سقاه[٥]

هذه كناية عن الإيمان بالله وحبّ الله تعالى الذي لا يظمأ كل من يُسقى هذا الكأس.

وهذه بعض أمثلة الكنايات التي استخدمت في شعر الصوفية من النساء، وتظهر الكنايات في نثر النساء الصوفيات من خلال قول عبيدة بنت أبي كلاب:

"عن يحيى بن بسطام الأصغر قال: حدثني سلمه الأفقم (وكان ينزل الطفاوة) قال: قلت لعبيدة بنت كلاب: ماذا تشتهين، قالت: الموت، قلت: ولم؟ قالت لأني والله في كل يوم أصبح أخشى أن أجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي أيام الآخرة".[٦]

---

[١] الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القــاهرة، ١٩٩٢م، ص٦٦.

[٢] ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٥٩.

[٣] الحريفيش: الروض الفائق في المواعظ والرقائق، ص٤٦٦

[٤] اليافعي: روض الرياحين، ص١٣٣.

[٥] ابن عربي: الكوكب الدري، ص٢٧٠.

[٦] النيسابوري: عقلاء المجانين، ص٢٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتظهر الكناية من خلال قولها في النص السابق "والله في كل يوم وأخشى أن أحني على نفسي جناية يكون فيها عطبي أيام الآخرة"، فهذه كناية عن خوفها من مصيرها عذاب جهنم جراء ما ستقترفه من ذنوب لذا تسعى العابدة أن تموت وربها راضٍ عنها.

وتظهر الكناية في قول لحبيبة العدوية :

"عن عبد الله المحكي أبي محمد قال: كانت حبيبة العدوية إذا حلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها، فقالت إلهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك" [١]. إذ تظهر الكناية من خلال قولها: غارت النجوم ونامت العيون، حيث يدل على مجيء الليل وظلمته ولا يفلح به إلا من سجد وقام لله سبحانه وتعالى.

وهذه بعض أمثلة الكنايات التي استخدمت في النثر الصوفي.

٥- التكرارات :

التكرار لغة هو الإعادة، وقد ورد في لسان العرب "وكرَّر الشيء أعاده مرة بعد أخرى"[٢].

وأما اصطلاحاً فقد ذكرت تعريفات عدة، دارت في مجملها حول صفة إعادة الكلام وترديده في العمل الفني، فقد عرّفه ابن الأثير بقوله: "هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً كقولك لمن تستدعيه (أسرع أسرع)، فإن المعنى مردد واللفظ واحد "[٣].

وعند بعض المحدثين عرّفه عزالدين السيد بقوله: "هو أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمثير، واللفظ المكرر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان "[٤].

ونجد التكرار سمة بارزة في كثير من قصائد الشعر العربي، وهو إن كان صياغة ظاهرية في الشعر، إلا إنه قد يختزن في داخله (إن أحسنت صياغته) تعابير عن مكنونات في نفس الشاعر وتفاعلات في بنية النص تفصح عن جوانب غنية تتوارى ما بين الكاتب ونصه.

والتكرار "من الأساليب الكاشفة لما يقف خلف الكلام، ويتعلق بشخص المتكلم من تداعيات مختلفة" [٥]، ويأتي التكرار ليخدم جوانب موضوعية وفنية مختلفة، وإذا أحسنت صياغته ليخدم الموضوع والفن معاً، يكون الشاعر حقق نصه درجة من القوة والتميز.

---

[١] ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٠.
[٢] لسان العرب: مادة (كرر).
[٣] ابن الأثير، علي بن محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج٢، ص١٢٩.
[٤] السيد، عزالدين علي: التكرير بين المثير والتأثير، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٦م، ط٢، ص١٣
[٥] عاشور، فهد ناصر: التكرار في شعر محمود درويش، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م، ط١، ص١١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد يسيء بعض الكتاب استعمال التكرار، فيأتي في غير موضعه، أو يأتي في صورة فجة تضعف من بنية النص وفنيته.

أما التكرار اللفظي أو الكلمي فنجده أكثر حضوراً في شعر الجارية المتعبدة بجبل المقطم، معاصرة لذي النون المصري من خلال قولها:

يا ذا الذي أنس الفؤاد بذكره أنت الذي ما إن سواه أريد
يا مُنيتي دون الأنام وبغيتي يا من له كــلّ الأنام عبيد
تفنى الليالي والزمان بأسره وهواك غَضٌّ في الفؤاد جديد [١]

كررت العابدة كلمة (الفؤاد) إذ تريد أن تبين من هذا التكرار مدى تمسكها بالمحبوب وحبها له فكلمة الفؤاد تدل على الحب لذا كررتها إمعاناً في لفت الانتباه.

ومما يبدو واضحاً كذلك أن الشاعرة كررت كلمة الأنام لتدل على أن محبوبها ليس من الأنام وإنما الخالق سبحانه وتعالى الذي يعبده كل الأنام.

وإذ نراها كذلك كررت اسم الموصول (الذي) الذي يعود على المحبوب سبحانه وتعالى وهذا يؤكد فكرة الزهد لدى الشاعرة.

ونرى التكرار أيضاً في شعر رابعة العدوية بقولها:

يا سروري ومُنيَتي وعمادي وأنيسي وعُدَّتي ومُــرادي
أنت روح الفؤاد أنت رجائي أنت لي مؤنس وشوقك زادي
أنت لولاك يا حياتي وأنسي ما تشتَّتُّ في فسيح البــلادِ
كم بــدت منّةٌ وكم لك عندي من عطاء ونعمة وأيــادي
حُبّك الآن بغيتي ونعيمــي وجلاء لعين قلبي الصادي
ليس لي عنك ما حييتُ بَراحٌ أنت مني مُمكّن في السوادِ
إن تكــن راضيا عليّ فــإنني يا منى القلب قد بدا إسعادي [٢]

يمكن أن نصف هذا التكرار في الأبيات السابقة بالتكرار الطويل، فقد شغل هذا التكرار صدري الأبيات وعجزهما، وفي هذا تأكيد على شدة حبها للمحبوب، والله تعالى يحب العبد اللحوح، وهو تأكيد على ما في نفسها من تكرار (كم) من إغراق بالنعم والعطاء من قبل الخالق.

٦- الإيقاع الشعري والإيقاع النثري:

"بنية الإيقاع من البنى المركزية والجوهرية والأسلوبية التي تنهض القصيدة العربية على أساسها" [٣].

---

[١] الحريفيش: الروض الفائق، ص١١٣.
[٢] الحريفيش: الروض الفائق، ص ١١١.
[٣] القصيري، فيصل صالح، بنية القصيدة في شعر عزالدين المناصرة، ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٦م، ص١٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بدأ اهتمام النقاد قديما بشكل كبير في تناولهم للموسيقى الشعرية من خلال تناولهم للوزن والقافية بالدرس والتحليل حيث شكل هذان العنصران الموضوع الوحيد لدراسة الموسيقى قديما، فكان الوزن والقافية بين الشعر والنثر، كما لم يخف على النقاد الأوائل ما تضفيه الكلمات المسجوعة من رونق خاص يمثل نوعاً جديداً من الموسيقى التي يمكن تسميتها بالموسيقى الداخلية فبرز اهتمامهم بعلم البديع لما يضيفه من جمال إلى قوام القصيدة العربية، مستمداً ذلك من النثر الذي يهتم اهتماماً كبيراً بعلم البديع.

ورغم التزام الشعراء عقوداً طويلة بقوانين علم العروض وتقيدهم بالشكل التقليدي للقصيدة العربية إلا أن روح التغيير بدأت تسري في عروقهم للخروج عن هذا النظام مع عدم التنكر له للتعبير عن مرادهم دون التقيد بالشكل الجديد فكان شعر التفعيلة، وقد انتبه الشعراء المعاصرون إلى ضرورة تنمية موسيقى الشعر العربي فعمدوا إلى التنويع في القوافي وعدد التفعيلات "دون مبارحة الإيقاع المنتظم" [١]، ورغم هذه الثورة الجديدة وسريانها في أوساط الشعراء العرب إلا أن الوزن الشعري بقي محتفظاً بأهميته في التفريق من خلاله بين الشعر والأجناس الأدبية الأخرى وخاصة ما يسمى "قصيدة النثر"، فالوزن يعطي القصيدة الثبات الأيقاعي والوزن بشكل عام أو الموسيقى في القصيدة القديمة أو الجديدة، ترتبط بالشعر ارتباطاً عضوياً قوياً.

فالشعر في صياغته الفنية يتكون من عدة تفعيلات تمثل وحدات موسيقية تكسب القصيدة نغما آسراً مؤثراً، وحين تفقد القصيدة سحر هذا النغم، وينقطع ذلك الخيط الفني الدقيق الذي يشد المتلقي إلى سماع الشعر، فالشعر نغم وإنشاد [٢]. ومع ما يشعر به الشعراء بما يفرضه الوزن القديم من قيود اعتمد الشعراء على وحدة التفعيلة في قصائدهم بدلاً من وحدة التفعيلة في البيت وقد لاقى هذا التطور ترحيباً كبيراً في أوساط النقاد حيث اعترفوا به وتعاملوا معه.

لكن الوزن في القصيدة العمودية ما يكون تاماً ويكون تمامه بخلوه من الزحافات والعلل، ومنه أيضاً ما يكون مصاباً ببعض الزحافات والعلل أو بالزيادة أو النقص في عروضه أو ضربه حسب القواعد المحددة لعلم العروض. "فالوحدة الموسيقية التي تتمثل فيها التفعيلة وما يحدث في بنيتها من تنويع بالزحاف والعلل يؤدي إلى كسر الرتابة التي تنشأ من التكرار المطلق ويؤدي إلى إيجاد تنويع إيقاعي" [٣].

---

[١] عباس، إحسان ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط٢، ١٩٩٢م،ص١٨.

[٢] عبد الدايم، صابر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤، ص١٦.

[٣] أبو ديب، كمال: جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م، ص٧٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد نُظمت معظم قصائد النساء الصوفيات على معظم بحور الخليل بحيث جاء استخدام البحور التي تكون متوافقة مع طبيعة الموضوع الذي يتناوله.

فمثلاً جاء استخدام البحور ذات التفعيلات الطويلة بما يتوافق والجو النفسي لهن.

وفي السياق نفسه يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "إن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه، فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النّفسي، وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التّنفس وازدياد النَّبضات القلبية." [١]

لنلاحظ هذه الأبيات من البحر الخفيف حيث تقول رابعة فيها:

يا سُروري ومُنيتي وعمادي وأنيسي وعدَّتي ومُــرادي

أنت روحُ الفؤاد أنت رجائي أنت لي مؤنسٌ وشوقك زادي

كــم بدت منِّــةٌ وكم لك عندي من عــطاء ونعمةٍ وأيــادِ[٢]

هنا اختارت بحراً يتناسب وزنه وما بها من شجون فاختارت البحر الخفيف الذي يتكون من تفعيلات يشعر القارئ بطولها ليتماهى مع شعور الشاعرة وما تحس به من شوق وحب.

كما أن شيوع حروف المد في أرجاء المقطوعة يعطي نوعاً من الاسترخاء والطول بما يتناسب والآهات الصادرة من الشاعرة مما يكثف دلالة الشوق.

"إن المد فيه استرخاء ومطاولة غير السكون؛ لأنه وقف مع المد واللين يمتد النَّفس أكثر حتى ينقطع في بطء عند الحرف الذي يليه، وهذا أنسب لمقام الحزن المحض، والألم النفسي القاتل." [٣]

وإن استعمال تفعيلات البحر التي تشع حزناً جاءت متوافقة مع الجو النفسي للشاعر حيث منحت تفعيلات القصيدة نوعاً من الفتور والاسترخاء بما يتناسب مع حالة الشاعر النفسية إضافة إلى ما أضفته حروف اللين من حزن ومرارة، "فحروف اللين تشكل موسيقى الصورة التي تعبر عن حالة الشاعر المفعمة بالحزن والمرارة." [٤]

وهذا التوافق بين الأوزان والتفعيلات والبحور الشعرية إضافة إلى شيوع بعض الأصوات الخاصة في أرجاء القصيدة بما يتوافق مع ما يجول في النفس ليشكّل مظهراً بارزاً من مظاهر

---

[١] أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر العربي، الأنجلو لمصرية، القاهرة، ط٢، القاهرة، ١٩٥٢م، ص١٧٥-١٧٦.

[٢] الحريفيش : الروض الفائق، ص ١١١.

[٣] صبح، علي: البناء الفني للصورة الأدبية، دار المعارف، القاهر، ١٩٧٦م، ص٢٤٥.

[٤] صبح، علي: البناء الفني للصورة الأدبية، ص٢٤٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البنية الإيقاعية للقصيدة العربية حيث أنها، تأتي مواكبة لتجربة الشاعر وحساسيته اتجاه المواقف فالشاعر يتحرك نفسيا وموسيقيا على وفق الحركة التي تموج به نفسه [١].

وهذا يتناسب مع قول ريحانة:

يا حبيب القلوب أنت حبيبي لم تزل أنت يا مناي سروري[٢]

وقد استخدمت هنا البحر المديد وهو من البحور قليلة الاستعمال بعكس البحر الطويل الذي يعد من بحور الشعر العربي استخداماً في عصور ازدهار القصيدة العمودية وقد استخدمت رابعة العدوية هذا البحر من خلال قولها:

إني جعلتُكَ في الفؤاد مُحَدّثي وأبْحَتُ جسمي من أرد جُلوسي

فالجسم مني للجليس مُؤانِسٌ وحبيبُ قلبي في الفؤاد أنيسي[٣]

إذ استخدمت رابعة العدوية، جلوسي وأنيسي مكررة صوت السين في الاستئناس وحديث القلب.

ومما يبدو واضحاً كذلك أن القافية قد أولاها النقاد القدامى اهتماماً كبيراً في كتاباتهم النقدية المتعلقة بها، فعرفوها بأنها آخر حرف في البيت، إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبله وعلى هذا تكون القافية مرة بعض كلمة ومرة كلمة ومرة كلمتين، والقافية الشريك الوحيد للوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى الشعر شعراً حتى يكون له وزن وقافية [٤]، ويمكن تعريفها أيضاً بأنها "المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت [٥].

وقد انتقل هذا الاهتمام بالقافية للنقاد في العصر الحديث محط اهتمامهم في تحليل القصائد وكشف الدلالات للقوافي وبيان أسباب اختيار الشعراء لقافية معينة، وقد ذهب كثير من النقاد إلى وجود علاقة بين الموضوع واختيار الروي والقافية بعامة، لأنهما بمثابة الفاصلة الموسيقية التي تتنامى فيها قوة الإيقاع والتأثير.

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس في تعريف القافية وبيان أهميتها: "ليست القافية إلا عدة أصوات تتكون في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكوّن جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا

---

[١] عبد الجليل، حسني: موسيقى الشعر العربي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ٧٨/٢.
[٢] النيسابوري : عقلاء المجانين، ص ٢٨٢.
[٣] ابن الجوزي : صفة الصفوة، ص ٨٥٩.
[٤] ينظر (ابن رشيق)، العمدة، ١٥٩/١.
[٥] عتيق، عبد العزيز: علم العروض والقافية، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٤٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعدّ عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن" [١].

فالقافية المطلقة ما كان رويها متحركاً [٢]، والمقصود بالمتحركة هنا أن يكون حرف الروي حرّك بالحركات القصار الكبيرة والضمة والفتحة أو بالحركات الطويلة المشبعة مثل الألف والواو والياء، كما يعتبر ما وصل بها الوصل من القافية المطلقة [٣].

ومن أمثلة القوافي المطلقة قول تحفة المجنونة:

يا سرور السّرور أنت سروري يا حياة النفوس أنت حُبوري
أنت نـــــاري وجنتي ونعيـــــمي وأنيـــسي وأنت نور النـــــور [٤]

أما القافية المطلقة وهي ما كان رويها ساكناً [٥]، وقد أبرز هذا النوع من القوافي حالة السكون التي صاحبت الشاعرات في تجربتهن الشعرية.

ومن خلال تتبع شعر الشاعرات نجد هذا النوع من القافية المطلقة عند الشاعرة ريحانة المجنونة المعاصرة لصالح المُرّيّ:

أنت أنسي ومُنيتي وسروري قد أبى القلب أن يحبَّ سواكا
يا عزيزي وهمتي ومُرادي طال شوقي متى يكون لقاكا
ليس ســـؤلي من الجنان نعيماً غـــير أني أريدها لأراكـــا [٦]

ويعتبر التنويع في القوافي من أهم سمات التجديد في القصيدة العربية حيث يتم فيه كسر رتابة القافية ومفاجأة القارئ أو السامع بنغم موسيقي جديد يدفع عنه الملل والسأم من تتابع التكرار لروي محدد هذا التلوين والتنويع في القوافي لا يقيد الشاعر بمفردات معينة يمكن أن تكون بمنأى عنه، أو تبخل عليه لغته ببعضها، بل يعطيه هذا التنويع القدرة على استخراج أقصى طاقات اللغة والانتفاع بدورها الكامنة عن طريق هذا التنويع.

وتجدد القوافي دليل على تجدد وسرعة أو بطء الدفقة الشعورية للشاعر فبعض الدفقات الشعورية يلزمها قافية معينة مثل القوافي الساكنة في حالات الحزن والحب والأسى والقوافي المطلقة في حالات أخرى مما لا تقدمه القافية الموحدة للأبيات من قدرة على التعبير عما يجول في نفس الشاعر.

---

[١] أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر العربي، ص٢٤٤.
[٢] المرجع السابق، ص١٧٧.
[٣] عتيق، عبد العزيز، علم العروض والقافية، ص١٦٥
[٤] الحريفيش: الروض الفائق، ص٢٢١.
[٥] عبد الدايم، صابر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور١٦٥.
[٦] النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"والشعر العربي الملتزم بالشطرين المتمسك بالعروض الخليلي، لم يتجمد عند القالب الواحد الملتزم بالقافية الواحدة، بل تعددت قوالب هذا الشعر الموسيقية" [١].

وقد عمد شاعر الصوفية إلى التنويع في القوافي في القصيدة الواحدة وتسخيرها للتعبير عما يجول في صدره، فأحياناً نراهم يبدأون بقافية معينة توحي بالبطء والخمول والهدوء مما يمكن التعبير عنه بأنه إحدى إفرازات الحزن والأسى، ونراهم في زيادة سرعة القافية لخدمة فكرتهم التي يطرحوها في قصائدهم.

ويمكن تلمّس مظاهر هذا التنويع في القوافي في قول تحفة المجنونة:

يا سرور السرور أنت سروري ... يا حياة النفوس أنت حُبوري
أنت نـــــاري وجنتي ونعيـــمي ... وأنيـــسي وأنت نـــور النـــــور
كم ترة يصبر المحب على البعد ... وكم يلبث الهوى في الصدور [٢]

وقول رابعة العدوية:

يا سروري ومنيتي وعمادي ... وأنيسي وعُدَّتي ومُـــرادي
أنت روح الفؤاد أنت رجائي ... أنت لي مؤنس وشوقك زادي
أنت لولاك يا حياتي وأنسي ... ما تشتتُّ في فسح البـــــلادِ
كم بدت منةٌ وكم لك عندي ... من عطاء ونعمة وأيـــادي
حبُّك الآن بغيتي ونعيمـــي ... وجلاء لعين قلبي الصادي
ليس لي عنك ما حييت براح ... أنت مني ممكن في الســـواد
إن تكن راضياً عليّ فإني ... يا منى القلب قد بدا إسعادي [٣]

وفي المقطع السابق تنويع في القوافي، والتنويع يشعرنا بأهمية الكلمة التي تحتويها، "فكلمات القافية في الشعر الجيد ذات معان متصلة بموضوع القصيدة، بحيث لا يشعر المرء أن البيت مجلوب من أجل القافية بل تكون هي المجلوبة من أجله، ولا ينبغي أن يؤتى بها لتتمة البيت بل يكون معنى البيت مبنياً عليها، ولا يمكن الاستغناء عنه فيه، وتكون كذلك نهاية طبيعية للبيت، بحيث لا يسد غيرها مسدها" [٤].

---

[١] عبد الدايم، صابر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، ص١٩٩.
[٢] الحريفيش: الروض الفائق، ص٢٢١.
[٣] الحريفيش : الروض الفائق، ص ١١١.
[٤] عبد الرحمن، ممدوح: المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشـــر والتوزيـــع، ١٩٩٤م، ص١١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الايقاع الموسيقي الداخلي:

يعتبر الإيقاع الداخلي من العوامل الهامة والمؤثرة في بناء القصيدة العربية القديمة، فالموسيقى الداخلية لها دور كبير في تكييف الوزن الشعري حسب الحالة النفسية للشاعر، فهو يشيع في الصورة نوعاً من الاتساق والمواساة [١].

وينبع الايقاع الموسيقي الداخلي من عدة أمور يساهم كل منها في تأدية دوره لإبراز القصيدة في حلة زهية من الموسيقى المؤثرة في السامع أو القارئ والمعبرة في نفس الوقت عن تجربة شعورية فريدة كما لا يمكن إغفال دور كل من اللفظ والمعنى في البناء الإيقاعي للقصيدة إن تلاؤم اللفظ مع المعنى أحد مقومات الموسيقى الداخلية بحيث ينسجم الغرض مع شكله، بحيث يكون هناك نوع من التلاؤم والانسجام والتآلف بين الألفاظ والمعاني [٢].

وقد عمدنا إلى الحديث عن التصريع الذي يعد من الموسيقى الداخلي في الشعر العمودي.

فالتصريع "هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصانه وتزيد بزيادته [٣].

وقد جعله قدامه بن جعفر من النعوت الخاصة بالقوافي واشترط في هذه النعوت أن تكون القافية "عذبة الحرف، سلسة المخرج، وأن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول مثل قافيتها... وربما صرعوا أبياتاً أخرى من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره [٤]، والتصريع أيضا في غير موضع من القصيدة دليل على قوة الطبع وكثرة المادة [٥]، كما أن التصريع يمثل "حالة من الهدوء بعد انفعال نفسي شديد... ويحقق رنة موسيقية منبهة، ذلك أن صمت نهاية الشطر الأول يتساوى مع الشطر الثاني [٦].

وقد عمدن شاعرات الصوفية إلى هذا اللون من الموسيقى الداخلية في قصائدهم ويمكن تلمس هذا التوظيف في قول رابعة الشامية:

وزادي قليلاً ما أراه مُبلّغي اللزاد أبكي أم لطول مسافتي

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك، أين مخافتي [٧]

---

[١] صبح، علي: البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، ص٢٥٨.
[٢] المصدر السابق، ص٢٦٠.
[٣] القيرواني، ابن رشيق: العمدة، ١٨٤/١.
[٤] قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح محمد عبد المنعم خفجي، بدون طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٨٦.
[٥] القيرواني، ابن رشيق: العمدة، ١٨٥/١.
[٦] أبو شريفة، عبد القادر: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٨م، ص٧٩.
[٧] ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث صرعت الشاعرة البيت الأول في المقطوعة ويبرز التصريع بين مُبَلّغي، مسافتي محدثاً نغماً موسيقياً ملموساً ذا تأثير كبير على السامع، ويعد هذا النوع من التصريع صاحب المرتبة الأولى، حيث يستقل كل بيت فيه بمعناه دون الحاجة إلى البيت الآخر.

وفي موضع آخر قول جارية مجهولة:

إلهـــي لا تعذبني فإنـــــي مُقــرّ بالذي قد كان منّـــي
فكم من زلّة لي في الخطايا غفرت وأنت ذو فضل ومَنِّ
يظن الناسُ بي خيراً وإنّي لشر الناس إن لم تعفُ عنِّي
ومالـــي حلةٌ إلا رجائـــي لعفوك إن عفوت وحُسْنُ ظنِّي [١]

حيث صرعت في البيت الأخير في المقطوعة ويبرز التصريع بين رجائي وظني، محدثاً نغماً موسيقياً له تأثير على السامع وهو ما يسمى ذلك التصريع بالتصريع الكامل.

ومن الانواع الأخرى التي تهتم بالموسيقى الداخلية رد العجز على الصدر وهو ما يسمى بالتصدير وهو "أن يرد أعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك، وتقتضيها الصّنعة، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقاً وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة [٢]، وهو أحد فنون علم البديع يكسب البيت رنة موسيقية خاصة ويلفت نظر المتلقي إلى أوائل الأبيات وأواخرها بهدف إقامة العلاقة بين المكررين وهذا اللون كثير منه قد يظهر من خلال قول ريحانة:

ويلي لذنبي في كتابي ويلي ويلي إذا نودي باسمي ويلي
ويلي إذا قيل خذوهـــا ويلي ويلي إلى النار مصيري ويلي [٣]

وفائدة التصدير ردّ في البيت السابق هنا الرنة الموسيقية الواضحة عند لفظ الكلمتين (ويلي) في اول البيت وآخره إضافة إلى لفت نظر المتلقي إلى المقصود من هذه الكلمة المكررة التي تمثل رمزاً لوم النفس للذنوب المرتكبة.

وعلاوة على ذلك فإن الشاعرات الصوفيات من خلال المقطوعات الشعرية قد استخدمن أكثر البحور لوعة واشتياقاً وفيها الكثير من الحزن.

إذ وظّفت الشاعرات الأساليب بأنواعها في القصائد، حيث خرجت القصائد والمقطوعات بحلية بهية زاهية فقد أثرت الأساليب وتنوعها في بناء القصائد وتأكيد دلالتها.

---

[١] اليافعي: روض الرياحين، ص١٢٩.
[٢] القيرواني، ابن رشيق: العمدة، ٣٣٧/١.
[٣] النيسابوري، عقلاء المجانين، ص٢٨٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك استخدامهن للتصريع في الشعر والتصدير لما لهما من دور في خلق موسيقى داخلية من خلال توظيفهن لبعض المفردات البلاغية والتي لها تأثير على المتلقي من خلال انتقاء الأصوات المناسبة المتناغمة مع معنى القصيدة والمعبرة عن الجو النفسي المسيطر عليه ومما يبدو واضحاً كذلك من استخدام للتشبيهات واستعارات وكنايات وغيرها التي تشكل الصورة الجزئية في الشعر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

ملحق بنصوص الأدب النّسوي الصوفي

أولاً: شعر النّساء الصّوفيّات .

١- رابعة العدوية : من النّساء العابدات الزاهدات الصوفيات

تقول:

١- يا سروري ومنيتي وعمادي وأنيسي وعـــدتي ومرادي

٢- كم بدت منة وكم لك عندي من عطاء ونعمـــة وأيادي

٣- أنت روح الفؤاد وأنت رجائي أنت لي مؤنس وشوقك زادي

٤- أنت لولاك يا حياتي وأنسي ما نشأت فـي فسيح البـلاد

٥- حبك الآن بغيتي ونعيمي وجلاء لعين قلبـي الصـادي

٦- ليس لي عنك ما حييت براح أنت مني ممكن في السـواد

٧- إن تكن راضيا على فإني يا منى القلب قد بدا إسعـادي

.....

التخريج:

الحريفيش، الروض الفائق، ص١١١. بدوي: رابعة العدوية، ١٦١-١٦٢. درنيقة: معجم شعراء الحب الإلهي، ص١٥٩، أعلام النساء العابدات، ص٥٠. التنير: الشاعرات من النساء، ص ٢١٦. والبيتان الأول والثاني منسوبين إلى ثوبان القرميسيني: في النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٢٥. نقلا عن:(الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النّسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

***

وقالت أيضاً، حين تقدم الحسن البصري لخطبتها:

١. راحتي يا أخوتي في خلوتـــي وحبـــيبي دائماً في حضرتـــي

٢. لم أجد لي عن هـــواه عوضاً وهـــــواه في البرايا محنتـــي

٣. حيثمـــــا كنت أشاهـــد حسنه فـــهو محرابـــي إليه قبـــلتـــي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤. إن أمت وجـــــداً ومأثم رضا واعناني في الورى وشـــقوتـــي

٥. يا طبيب القلب يا كل المنى جـــد بوصل منك يشفي مهجتي

٦. يـــــا سروري وحياتي دائما نشأتي منك وأيضا نشوتـــــــي

٧. قد هجرت الخلق جمعاً ارتجي منك وصلاً فهو أقصى مـــنيتي

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق في المواعظ والرقائق، ص ١١١.

***

ولها أيضاً:

١- إني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

٢- فالجســـــم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

.....

التخريج:

عبد القاهر السهروردي (ت٦٣٢هـــ)، عوارف المعارف، ملحق بذيل ج٥ من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، ص١٤١،ص٣٢٤.ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١،ص ٣٢٩. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص ٣٧.ابن كثير(ت٧٧٤هـــ)، البداية والنهاية، ج١٠،ص ١٨٦. اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص٢٨٢. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٨٥٩، ونسبها لرابعة الشامية. نقلا عن:(الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النّسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

ولها أيضاً:

١- أحبّك حبين، حب الـــــهوى وحبـــــاً لأنـــــك أهـــــلٌ لذاكـــــا

٢- فأمّا الذي هو حبُّ الهوى فشغلي بذكرك عمَّن سواكا

٣- وأمـــا الذي أنت أهلٌ لـــــــه فكشفك للحُجبِ حتى أراكا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ولـــكن لك الحمـــد ذا وذاكا

.....

التخريج:

المكي، قوت القلوب، ج٢، ص٥٧. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤، ص ٣٢٨. الشريشي، شرح مقامات الحريري، ج٤، ص ٣٤٦-٣٤٥. ابن عربي، الفتوحات المكية، ج٢،ص ٢٥٩. العاملي الدر المنثور، ص ٣٣١. الحسون، أعلام النساء المؤمنات، ص ٣٤٤. أعلام العابدات الزاهدات، ص ٤٩. مرتضى الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ج٩، ص٥٧٦-٥٧٧، ولها رواية أخرى في ج٩، ص٦٨٨ ينسبها لجارية معاصرة لذي النون .ونسبتها كذلك في: أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، ج٩، ص ٣٤٨. وابن عربي، الكوكب الدّري، ص٢٢١. الحريفيش، الروض الفائق، ص ١١١. نقلا عن:(الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النّسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

****

وقالت أيضاً:

١- كأسي وخمري والنديم: ثلاثة وأنا المشوفة في المحبـــة: رابعه

٢- كأس المسرة والنعيم يديرها ساقي المدام على المدى متتابعه

٣- فـــإذا نظرتُ فـــلا أرى إلا له وإذا حضرت فلا أرى إلا معه

٤- يا عاذلـــــي! إني أحب جماله تا الله ما أدُني لعَذلك سامعه

٥- كم بتُ من حُرَقي وفرط تعلقي أجري عيوناً من عيوني الدامعه

٦- لا عبرتي تُرقا، ولا وصلي له يبقي ولا عيني القريحة هاجعه

.....

التخريج:

عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي، ص١٧٣-١٧٤. (نقلا عن كتاب"**شرح حال الأولياء**" تصنيف عزالدين المقدسي، مخطوط رقم ١٦٤١ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس: شرح حال رابعة رضي الله عنها).

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقالت أيضاً:

١- صلاتك نوراً والعباد رقود ونومك ضد الصلاة عنيد

٢- وعمرك مُمنمٌ إن عقلت وقهله يسير ويفنى دائماً ويبيد

.....

التخريج:

القاري: مصارع العشاق، ص١٣٦. ومما ورد أن حورية من الجنة رافقت رابعة العدوية في منامها وهي من أنشدت هذه الأبيات.

****

قيل لرابعة من أنتي؟ قالت: كنت أضرب الدف والطبل، فما سمع غيري:

١- بالله يا ريـــح الصبا مري علـى تـلك الربـــا

٢- وبلغـــــي رسالتي بنصها أهـــل قبـــا

٣- واحرباه هل يـــرد د فائتـــا واحربـــا

.....

التخريج:

انظر:ابن الخطيب السلماني، روضة التعريف بالحب الشريف،ج١،ص ١٧٠. وانظر في خبر توبتها: قاشا، قديسة الإسلام رابعة العدوية، ص ٦٣-٦٥.

****

وقالت:

١- أطاع الله قومٌ فاستراحوا ولم يتجرَّعوا غُصص المعاصي

.....

التخريج:

الشريشي: شرح مقامات الحريري، ج٢، ص ٣٤٧.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- ريحانة المجنونة:

قالت:

١- من كان راكب يوم ليس يأمنه وليله تائهاً في عقب دنياه

٢- فكيف يلتذ عيشاً لا يطيب له وكيف تعرف عين الغمض عيناه

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٧٩.

****

وأنشدت أيضاً:

١- صبرت عن اللذات حتى تولت وألزمت نفسي صبرها فاستمرتِ

٢- وكانت على الأيام نفسي عزيزةً فلما رأت عزمي على الذلّ ذلّتِ

٣- وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فـــإن أطعمت تاقت وإلا تســلتِ

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٧٩-٢٨٠.

****

ولها أيضاً:

١- وما عاشق الدنيا بناج من الردى ولا خارج منها بغير غليلِ

٢- فكم مَلِكٍ قد صقّر الموت بيته فأخرج من ظلٍ عليه ظليلِ

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٠.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقالت :

١- قام المحبُّ إلى المؤمل قومه كاد الفؤادُ من السرور يطيـــر

٢- لا تأنسن بمن توحشك نظرتُه فتُمنَعن من التذكار في الظلام

٣- واجهد وكِد وكنْ في الليل ذا شجَنٍ يَســـقيك كأس وِدادِ العزِّ والكرم

٤- ذهب الظلام بأنسه وبإلفـــــــه ليت الظـــلام بأنـــــسه يتجدد

.....

التخريج:

البيت ١، في ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٢٤. والأبيات (٢-٤) ص ٧٢٥.

****

وقالت :

١- أنت أُنسي ومُنيَتي وسروري قد أبى القلب أن يحبَّ سواكا

٢- يا عزيزي وهمتي ومُرادي طال شوقي متى يكون لقاكا

٣- ليس ســـؤلي من الجنان نعيماً غـــــير أني أريـــــدها لأراكـــــــا

.....

التخريج:

النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨٠،وللأبيات رواية أخرى فيه، ينسبها إلى عباس الشامي، معاصر لصالح المرّي، ص ٢٥٨ بزيادة بيت في مطلعها هو:

ياحبيب القلوب من لي سواكا ارحم اليوم مذنبا قد أتاكا. وهي كذلك في: أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، ج١، ص ١٤٥، وفي: ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٨٦، من غير (البيت٢). وبالرواية السابقة م غير الزيادة لريحانة في: السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات،ص ٣٨. الجامي : نفحات الأنس، ج٢، ص٨١٥. ونسبت إلى جارية عتاب الكاتب بزيادة البيت المذكور في: ابن عربي: الفتوحات المكية، ج٢، ص ٣٥٩. ونسب إلى امرأة في: روض الرياحين، ص ١١٧-١١٨. السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص٣٨. نقلا عن:(الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النّسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولها أيضاً:

١- حسب المحب من الحبيب بعلمه إن المحبّ ببابه مطروح
٢- والقلب أن تنفس في الدجى بسهام لوعات الهوى مجروح

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨١.

****

وأنشدت أيضاً:

١- بوجهــك لا تعذبني فــإني أؤمِّــل أن أفوز بخيـــــر دار
٢- منجدة مزخرفة العلالي بها المأوى ونعم هي القرار
٣- وأنت مجاور الأبرار فيها ولولا أنت ما طاب المــزار

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨١. البيتان (١،٣)، في ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٧٢٤. في البيت الأول إقواء.

****

وقالت أيضا:

برى أعظمي شوقي فأوهن قوتي وحالفتُ أحزاني فهاج رقادي

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨١

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأنشدت أيضاً:

١- اجعل لنفسك في الليالي نبهة تنبهك من خلل المنام قيام
٢- وأنس إلى طول القيام مخلدا واترك لذاذ النوم والأحلام

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨١.

****

وقالت :

١- تعـــوّد سهـــر الليـــل فـــإن النوم خســـران
٢- ولا تـــركن إلـــى الذنب فـــإن الذنب نيـــران
٣- وكـــن للوحي درّاســـاً وللقـــراء أخـــدان
٤- إذا مـــا الليل فاجأهـــم فهم في الليل رهبـــان
٥- يـــميلون كمـــا مـــال مـــن الأرياح أغصـــان

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٢.

****

وقالت:

١- أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كبرت لديه
٢- تهين المكرمين بها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
٣- إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما كنت محتاجاً إليه

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٣.

****

وقالت :

١- يا حبيبَ القلوب أنت حبيبي لم تزل أنت يا مناي سروري

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص٢٨٢.

****

قالت :

١- ويلـــي لذنبي في كتابي ويلي ويلي إذا نودي باسمي ويلـــي

٢- ويلـــي إذا قيل خذوها ويلي ويلي إلى النار مصيري ويلي

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٤.

****

٣- زينب الطّبرية :

قالت:

١- صلاتك نور والعباد رقود ... قومي فصلي للغفور الودود

.....

التخريج:

ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص٨٥١. ورد أن هذا البيت، قيل لها في المنام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- عثامة بنت بلال بن أبي الدّرداء ، قالت:

١- أعثامُ مالكِ لاهيـــــــه حلّت بدارك داهيـــه
٢- إبكي الصلاة لـــوقتهـــا إن كنت يوماً باكيـــه
٣- وابكي القرآن إذا تـــلي قد كنت يومـــا تاليه
٤- تتلينـــــــه بتفكـــــــر ودموع عينك جاريه
٥- فـــــاليوم لا تتلينـــــه إلا وعنـــدك تاليـــه
٦- لهفـــي عليك صبابـــة ما عشت طول حياتيه

.....

التخريج:
الأبيات (١-٤+٦)ذكرت في السّلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٤٦. ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٥٧. ابن حنبل: الزهد، ص١٤٠. ابن الجوزي، التبصرة، ج٢، ص٢٣٠.

****

٥- ميمونة السوداء:

قالت:
١. يا واعظاً قام لاحتســـــــاب يزجر قوماً عن الذنوب
٢. تنهى وأنت السقيم حقـــــــاً هذا من المنكر العجيب
٣. لو كنت أصلحت قبل هذا غيك أو تبت من قريب
٤. كـــــان لما قلت يا حبيبـــــــي موقع صدق من القلوب
٥. تنهي عن الغيّ والتمادي وأنت في النهي كالمريب

.....

التخريج:
ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٦٠٥-٦٠٦. داود بن عمر الأنطاكي: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ص ١٧-١٨. ابن رجب، لطائف المعارف ، ص١٨.

****

٦- رابعة (الشامية)بنت إسماعيل زوج أحمد بن ابي الحواري.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- حبيب لـــيس يعدلـــــه حبـــــيب ولا لســـواه في قلبي نصيب
٢- حبيب غاب عن بصري وشخصي قلبـــي حبيب لا يـــغيـــــب

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٥٩. ابن الجوزي: التبصرة، ص٣٠٢. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٨، ص٣٤٩.

****

وقالت:

١- ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
٢- فالجسم مني للجليس مؤانـــس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيســـي

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٥٩. ابن الجوزي: التبصرة، ص٣٠٢. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٨، ص٣٤٩.

****

وقالت أيضاً:

١- وزادي قليل ما أراه مبلغي أللزاد أبكي، أم لطول مسافتي؟!
٢- أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك، أين مخافتي؟!

.....

التخريج:
ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص٨٥٩. اليافعي: روض الرياحين، ص ١٩١. الجامي: نفحات الأنس، ج٢، ص ٨١٩. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ٨، ص ٣٥٠، وفيه أيضا البيت الثاني ورد في: ج١٧، ص٢٢٩، لشاب حسن الوجه متعلق بأستار الكعبة قاله ضمن مقطوعة من خمسة أبيات، وهو الخامس. نقلا عن:(الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النّسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

****

وقالت:

١- تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في الفعال بديع
٢-لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن أحب مطيع

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

السهروردي: عوارف المعارف،ص٣٢١. وفيه: أنشدت رابعة. وفي ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٦٩، ص١١٨، لرابعة بنت إسماعيل{الشامية}زوج أحمد بن أبي الحواري. ونُسب البيتان إلى عبد الله بن المبارك في: إحياء علوم الدين، ج٤، ص٣٤٩.

****

٧- حيونة :

قالت:

١- يا ذا الذي وعد الرضى لحبيبه أنت الذي ما أن سواك أريد

.....

التخريج:
النيسابوري: عقلاء المجانين، ص: ٢٨٧.

****

وقالت:

١- إن كنت تعلم أنني بك واله فاصرف سموم الشمس عنّي سيدي

.....

التخريج:

النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٢٨٧.

****

وقالت:

١- خوالص أسرارِ ضوامر أعظُمٍ بَلِيْنَ وباقي وحدِهن جديدُ

.....

التخريج:
النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٨.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقالت أيضاً:

١- وليس للميت في قبـــره فطر ولا أضحى ولا عشر

٢- بان من الأهل على قربه كـــذلك من مسكنه القبـــــر

.....

التخريج:
النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٩.

****

٨- آسيـــة :

١- قالوا نراك طويل الصّمت قلت لهم ما طول صمتي من عيّ ومن خرس

٢- الصمتُ أحمدُ الحاليـــن عـــاقبـــةً عندي وأحسن بي من منطق شكس

٣- قالوا وأنت مصيب لست ذا خطأٍ فقلت هاتـــوا أرونـــي وجـــه معتبس

٤- أأنشـــر البـــزّ[١] من ليـــس يعرفـــه أم أنثـــر الدرّ بين العمـــى الغلـــس[٢]

.....

التخريج:
النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨٥.
١- البزّ: الثياب، ٢- الغلس : ظلمة آخر الليل.

****

٩- عوسجـــة :

قالت:

١- سرائر كتمان يبوح بها الهوى واظهار وعد ما يراد سواه

.....

التخريج:

النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٣٠٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقالت:

١- اِرضَ بالله صاحبـــــــــاً وذر الناس جانبـــــــــا

٢- صافِـــه الودّ شاهـــــــداً كـــنت أو كنت غائبـــــا

٣- لا تورد غير ذي الجـــلا ل رفيقـــــاً مصاحبـــــا

وقالت:

٤- جعل الظلام مطية لقيامه لينال وصلاً ما يريد سواه

وقالت:

٥- قل للظلام وللسكون مع السُّرى كن كيف شئتَ فإنني أهواكا

وقالت:

٦- ظهر البلاء بجسمه فأذابه ورمى الوداد فؤاده فتصدّعا

وقالت وهي حول بيت الله الحرام:

٧- طاب المَقامُ له وطاب نعيمُه في دار عدنٍ والجليلُ يراه

وقالت:

٨- يا ذا الذي طَرِبَ الفؤادُ بذكْرِهِ أنت الذي ما إن سواك أريد

.....

التخريج:

النيسابوري: عقلاء المجانين، ص٣٠١-٣٠٢.

****

١٠- جارية عابدة :

قالت:

١- أما والذي قـــد قدّر البعد بيننا وعـــدّبني بالشوق وهو شديـــد

٢- وحكمو بالصبر دوني وخصّني بحـــزن عليكم يبتدى ويعيـــد

٣- وصيّرني مهما شممت نسيمكم أشـــدّ لقلبـــي راحتي وأميـــــد

٤- لقد ذاب قلبي من دموعي عليكم علـــى أنه في النائبات جليـــــد

٥- فياليت شعري هل على ما لقيته وكابدت من جور الفراق مزيد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- لئن عاد ذاك الوصل أو عاد بعضه ومـــلتم إليـــــه إني لسعيـــد

٧- علـــى أنها الأقدار قـــد تبعد الفتى قـــريبـــاً وقد تدنيه وهو بعيد

.....

التخريج:

الحريفيش، الروض الفائق المواعظ والرقائق، ص ١١٢.

****

١١- إمرأة متعلقة بأستار الكبة وتقول:

١. إليك حجي لا للبيت والحجر ولا طوافي بأركان ولا جـــــدر

ثم قالت أيضاً :

٢. أستغفر الله مما كان من زللي ومن ذنوبي وتفريطي واصراري

٣. يارب هب لي ذنوبي يا كريم فقد أمسكت حبل الرجايا يا خير غفـــار

.....

التخريج:

الحريفيش، الروض الفائق المواعظ والرقائق، ص١١٢.

****

١٢- وقالت أخرى في الطواف أيضا:

١. أتيتك أشتكي سقمي ودائي وعندك يامى قلبي دوائـــــــي

٢. فلا أحد سواك إليه أشكو فيرحم عبرتي ويرى بكائـــــي

٣. فيا مولى الورى جد لي بعفو ومـــن بنظرة فيها شفائـــــي

.....

التخريج:

الحريفيش، الروض الفائق المواعظ والرقائق، ص ١١٣.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣- وقالت أخرى في الطواف ايضاً :

١. ببابك ربي قد انخت ركائبي ومالي من أرجوه يا خير واهـــب
٢. سواك فجد لي بالذي أنت اهله لعطي من الأفضال أسي المواهــب
٣. إذا لم أمت شوقاً إليك وحسرة عليك فــلا بلغـــت مــنك مآربـــي

.....

التخريج:

الحريفيش، الروض الفائق المواعظ والرقائق، ص ١١٣.

****

٤- وقالت امرأة بالطواف أيضاً:

١. تعطّف بفضل منك يا مالك الورى فانت ملاذي سيدي ومعيني
٢. لئن أبعــدَتني عن جنابــك زلــتي فإن رجائي فيك حسن يقيني
٣. وظني جـــميل أني منك أرتــجي عواطفك الحسنى فخذ بيميني

.....

التخريج:

الحريفيش، الروض الفائق المواعظ والرقائق، ص ١١٣.

****

١٥- قالت جارية من عاقلات المجانين في البصرة:

١. زهد الزاهدون والعابدونا إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
٢. أسهروا الأعين القريحة فيه فمضى ليلهم وهم ساهرونا
٣. حيرتهم محـــبة الله حتى علــم الناس أن فيــهم جنونا
٤. هم ألِبّا ذَوُو عقول ولكن قد شجاهم جميع مــا يعرفونا

.....

التخريج:

الأبيات ١-٤ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص٧٢١. جعفر بن أحمد القاري: مصارع العشاق، ج١، ص١٨٢.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتقول:

١. إن إلهي لغني حميد لي كل يوم منه رزق جديد
٢. الحمد لله الذي لم يزل يفعل بـــي أكثر مما أريـــد

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٢١ . جعفر بن أحمد القاري: مصارع العشاق، ج١، ص١٨٣.

****

١٦- عابدة من بيت المقدس تقول:

١. تـــزوّد قرينـــاً من فعالك إنمـــا قرين الفتى القبر ما كان يفعل
٢. وإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن بغير الذي يرضى به الله تشغل
٣. فلن يصحب الإنسان من بعد موته إلى قبره إلا الذي كان يعمـــل
٤. ألا إنمـــا الإنسان ضيفٌ لأهلـــه يقيـــم قليلاً عندهم ثم يرحـــل

.....

التخريج:

البيتان (١،٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٣٢. ابن الجوزي: مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ص٥١٥، وردت المقطوعة فيه مكتوبة على قبر.

****

١٧- عابدة قالت:

١- يا مؤنس الأبرار خلواتهـــم يا خير من حطّت به النّزال
٢- من ذاق حبّك لم يزل متلهجـــاً أحسن فأنت المحسن المفضال
٣- مالي سواك وأنت غاية مقصدي والكل أنت وما عداك ضلال
٤- آنست قلبـــي يا حبيبي والمنـــى يا من له الأنعام والأفضـــال

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص ٢١٧. ورد البيت الأول وصدر البيت الثاني في: القاري البغدادي: مصارع العشاق، ج١، ص٢٧٤، في مقطوعة من ثلاثة أبيات قالتها جارية لقيها ذو النون على ساحل البحر.

****

١٨- تحفــة :

سمعها السري السّقطي تقول:

١- أعيذك أن تغـــل يدي بغيــر جناية سبقــت

٢- تغــل يدي إلى عــنقي وما خانت ولا سرقت

٣- وبين جوانحي كبـــد أحــس بها قد احترقت

٤- وحقــك يا منى قلبــي يمينــا برة صدقـــت

٥- لئــن قطعتها قطعــاً غرامــاً فيك ما نطقــت

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائض، ص٢١٩.

****

وقالت:

١- معشر الناس ما جننت ولكن أنــا سكرانة وقلبي صاحــي

٢- قد غللتم يدي ولم آت ذنبــاً غير هتكي في حبه وافتضاحي

٣- انــا مفتونــة بحب حــبيب لست أبغي عن بابه من براح

٤- فصلاحي الذي رأيتم فسادي وفسادي الذي رأيتم صلاحي

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

الحريفيش: ص٢١٩. اليافعي: روض الرياحين، ص١٤٨، حيث أورد اليافعي من المقطعة بيتين هما (١، ٣).

****

ومما قالته، عندما كاشفت السري السقطي:

١- تحقق حق الحق في نور باطني فأصبح قلبي للحبيب مصافيا

٢- قدمت على وصف وصفت لسيدي وهل ينعت العبد الضعيف الموالي

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص٢١٩.

****

وقالت:

١- يا من رأى وحشتي فأنسني بالقرب من وصله فأنعشني

٢- يا ساكني لا خلوت من سكني دهري ويا عدّتي على الزمن

٣- أوحشني ما فقدت منه فقد عاد بأحسانه يقربني

٤- وعاد أيضاً وجاد منعطفاً كذاك ما كنت حين عودني

٥- حسبي من الكون من شغفت به أصحبه مؤنساً ويصحبني

٦- وكنت في غفلة فنبهني وكنت في رقدة فأيقظني

.....

التخريج:

الحريفيش: ص ٢١٩-٢٢٠.

****

و قالت أيضاً:

١- وحقك لا نقضت الدهر عهداً ولا كدرت بعد الصفو وُدا

٢- ملأت جوانحي والقلبَ وجداً فكيف ألدُّ أو أسلو وأهدا

٣- فيا من ليس لي مولى سواه تراك تركتني في الناس عبدا

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

اليافعي: روض الرياحين، ص ١٤٩. الحريفيش: الروض الفائق، ص: ٢٢٠. الجامي: نفحات الأنس، ج٢، ص٨٢٨-٨٢٩.

ومما قالته للسري :

١- خـــاطبني الحق من جناني فـــكان وعظي على لســـاني

٢- قـــرّبني من بَعـــد بعـــــدٍ وخصـــى منه واصطفـــاني

٣- أجبت لما دُعيت طوعـــــاً ملبّيـــــاً للذي دعانـــــــــي

٤- وخفت مما جنيت قدمـــــاً فـــوقع الحب بالأمانـــــــي

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص٢٢٠ . اليافعي: روض الرياحين، ص ١٤٩، الجامي: نفحات الأنس، ج٢، ص٨٢٩.

ومما قالته أيضا :

١- قـــد تصبرت إلى أن عيل في حبك صبـــري

٢- قد كتمت الوجد لكن ليس يخفى عنك امري

٣- ضاق من قيدي وغلى وامتهاني فيك صـــدري

٤- إن تكـــن عني راض لا أبـــالي طول دهـــري

٥- أنت لي خير أنـــيس يا منى سؤلي وذخري

٦- من ترى يعتق رقي ويـــــفك اليوم أســـري

٧- غـــيرك اللهم ربـــي أنت لـــي كاشف ضري

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ٢٢٠.

****

وقالت أيضا :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- هربت مـــنه إليـــــــه بكيت منـــــــه عليـــــه

٢- وحـقه وهـــو مـــــولى لا زلت بـــــين يديـــــــه

٣- حـتى أنـــال وأحضـــى مـــا أرتـــــجيه لديـــــــه

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص ٢٢١.

وقالت :

١- يا ســرور السرور أنت ســروري يا حياة النفوس أنت حُبوري

٢- أنت نـــــــــاري وجنتي ونعيمي وأنــيسي وأنت نــور النور

٣- كــم ترى يصبر المحب على البعــ د وكم يلبث الهوى في الصدور

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص٢٢١.

****

وقالت:

١- قــد تهتكــتُ بحبـــك كيف لي منك بقربـــكْ

٢- فــترقّـــــق بفـــؤاد يشتكي شــدّة بعـــدك

٣- خــبتِ يــا نفــس إذا آ خـــــذك الله بذنبـــك

٤- فــسلي العفــو جهــاراً والرضـــا من عــند ربك

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص٢٢١ .

****

وقالت :

١. أفـــادني كــل المنى وخــص قــلبي بالغنى

٢. وقـــد أزال ســيدي عــن باطنـــي ثقل العنا

٣. إن لم يدركني بما أرجو وإلا من انـــا

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائض، ص٢٢١.

****

وقالت:

١- محبُّ الله في الدنيا عليــلٌ تطاول سُــقمُهُ فـــــدواه داه

٢- ســـقاه من محبَّته بكـــأس فـــــأرواه المهيمنُ إذا ســـقاه

٣- فهام بحبِّه وسمـــــا إليـــه فلـــيس يريد محبوبا ســـواه

٤- كذاك مـــن ادّعى لله حبـــاً يـــهيم بحبِّـــه حتـــى يـــراه

.....

التخريج:

ابن عربي: الكوكب الدري،ص ٢٧٠. اليافعي: روض الرياحين،ص ١٥١. وفي ص٣٨٠ منه، ورد البيتان (١، ٤) برواية مختلفة لجارية معاصرة لذي النون. والأبيات لتحفة في: الجامي: نفحات الأنس، ج٢، ص٨٣٠. وفي ج٢، ص٨٣٦ منه، البيتان (١، ٤) منسوبان إلى جارية معاصرة لذي النون بأختلاف طفيف. نقلا عن:(الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النّسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

****

١٩- جارية في جبل المقطم سمعها ذا النون تقول بصوت ضعيف:

١- يا ذا الذي أنس الفؤاد بذكره أنت الذي ما إن سواه أريد

٢- يا منيتي دون الأنام وبغيتي يا من له كل الأنام عبيد

٣- تفنى الليالي والزمان بأسره وهواك غض في الفؤاد جديد

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص١١٣. البيت(١) لجارية متعبدة معاصرة لذي النون في: اليافعي، روض الرياحين، ص ٧٣. وفيه أيضا البيتان(١،٣) لفتى متعبد، ص ٧٢.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٠- امرأة عابدة سمعها الجنيد بالطواف تقول:

١. أبى الحب أن يخفى وكم كتمته فأصبح عندي قد أناخ وطنبـــا
٢. إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره وان رمت قرباً من حبيبي تقرباً
٣. ويمنحني وصلا فأحي ابه له ويسكرني حتى ألذ وأطربـــــا

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائض، ص١١٤.

****

وقالت أيضاً :

١- لـــولا التقى لم ترنـــي أهجـــر طيبَ الوســـــن
٢- إن التّـــــُقى شـــردني كمـــا ترى عن وطنـــي
٣- أفـــــرُّ من وجدي بـــه فحبُّـــــــه هيَّمنـــــــي

.....

التخريج:

ابن عربي:محيي الدين محمد بن علي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر،دار صادر، بيروت،د.ت، ج١، ص٢٥٥. اليافعي: نشر المحاسن الغالية، ص١٨٨، وروض الرياحين،ص ٨٣. الحريفيش: الروض الفائق، ص١١٤. مع اختلاف طفيف.

****

وقالت :

١- يطوفون بـــالبيت العتيق تقربـــــا إليك وهـــم أقسى قلوبا من الصخر
٢- فلو يخلصون السر جادت صفاتهم وقامت صفات الحق منهم على الذكر

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائض، ص ١١٤.

****

٢١- عابدة زاهدة . لقيها ذو النون، تقول في سياحتها :

١- هو الحبيب الذي بالوصل قد وعدا وحقـــه لا سلتـــه مـــهجتـــي أبـــداً

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- كـــرر على مسمعي ذكراه تطربني روحي الفداء لمن بأسم الحبيب حـــدا
٣- هـــو الحبيب فـــــلا شيء يماثلـــه تالله مـــا مثله للـــقلب حيـــن بـــــدا
٤- إن مـــتُ في حبه شوقاً فـــــلا عجب يا حبـــذا أن أكن من جملـــة السُّعدا
٥- يا مـــن يروم وصـــالا منـــه يغنمـــه أهجر منامك ما وصل الحبيب ســـدى
٦- وانظر لأهل التقى في الليل قد وقفوا في طاعـــة الله كـــــلّ ربـــه عبـــدا
٧- هـــــذي صفاتهمو نـــالوا الذي طلبوا وكـــلّ راج لمـــا يبغيـــه قـــد وجـــدا

.....

التخريج:

الحريفيش: الروض الفائق، ص١١٥.

****

٢٢- فاطمة أم أيمـن بنت علي .

تقول :

١- فقلت دعوني واتَّباعي ركابكم أكن طوعَ أيديكم كما يفعلُ العبد
٢- وما بال رغمي لا يهون عليهم وقد علموا أن ليس لي منهم بدّ

.....

التخريج :

السّلمي : ذكر النسوة المتعبدات، ص ٨٦ ، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٧٦ .

****

٢٣- ذكارة الوالهة .

تقول:

١- هِممُ المُحبّ تَجولُ في المَلكوتِ والقَلبُ يَشكو والفؤادُ صَموتُ

.....

التخريج:

السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص ٨٤ .

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٤- شعوانة : من عابدات الأُبُلة .

تقول:

١- يـــؤمـــل دنيـــا لـــتبـــقـــى لـــه فوافـــــي المنية قبل الأمل

٢- حثيثـــاً يُروِّي أصول الفسيـــــل فعاش الفسيلُ ومات الرجل

وتقول:

٣- لقد أمِن الغرورُ دار مَقامه ويوشك يوماً أن يخاف كما أمِن

.....

التخريج :

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٢٤.

****

٢٥- جارية سوداء في بعض مدن الشام، بيدها خوص تسفه وتقول:

١- لك علم بما يجن فؤادي فارحم اليوم ذلتي وانفرادي

.....

التخريج :

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٨٦٢.

****

٢٦- أم نهار العدوية.

تقول:

١- الموت يُفني ولا يُبقي على أحـــــد ما أحسب الموت يبقي جدة الأبد

٢- يا موت كم من كريم قد فَجِعت به من أقربيه ومن أهل ومن ولـــد

.....

التخريج :

ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص ٩٠٧.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٧- جارية معاصرة لذي النون.

تقول:

١- لـــم أذق طيب طعم وَصلك حتى زال عنِّـــي محبَّتي للأنـــــام
٢- إلهـــــي لا تعـــــذبني فإنـــي مُقـــرّ بالذي قد كان منّـــــي
.....

التخريج:

ابن عربي: الكوكب الدري، ص١٩٦. الفتوحات المكية، ج٢، ص٣٤٩.

****

٢٨- امرأة أخرى معاصرة لذي النون:

١- أنـــت تدري يا حـــبيبـــــي من حبـــــيبي أنت تـــــدري
٢- ونحـــــول الجسم والدمـــ عُ يبوحان بـــــــــــسرّي
٣- يا عزيزي قد كتمتُ الـــــــ حبَّ حتى ضاق صـــــــدري
.....

التخريج :

ابن عربي: الكوكب الدري، ص١٩٧، والفتوحات المكية، ج٢، ص٣٤٩. اليافعي: روض الرياحين، ص٣٨٠. الجامي : نفحات الأنس، ج٢، ص ٨٣٥. وقد وردت اختلافات طفيفة في رواياتها. نقلا عن:(الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النّسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

****

٢٩- جارية (مجهولة):

قالت:

١- وذي قلق لا يعرف الصبر والعزا لـــه مقلة عبرى أضر بها البُـــكا
٢- وجسم نحيل من شجى لوعة الهوى فمن ذا يداوي المستهام من الضنا
٣- ولا سيما والحب صعب مـــرامـــه إذا عطفت منه العواطـــف بالقنـــا
.....

التخريج:

اليافعي: روض الرياحين، ص١٠٠.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٠- امرأة في الطواف تقول:

١- رأيت الهوى حُلواً إذا اجتمع الوصل ومراً على الهجران لا بل هو القتلُ

٢- ومن لم يــذق للهجر طعمــاً فإنــه إذا ذاق طعم الهجر لم يدْرِ ما الوصل

.....

التخريج:

ابن قدامة المقدسي: كتاب المتحابين في الله، تح: خير الله الشريف، ط١، دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩١م، ص٩٤.

****

٣١- قالت جارية معاصرة لذي النون:

١- لست أبكي فِراقَ عيني لعيني إنمـــا خشيتي لأن لا أراكـــا

.....

التخريج:

ابن عربي: الكوكب الدري، ص٢٧١.

****

٣٢- عابدة لقيها ذا نون عند الساحل قالت:

١- أحبك حبين حب الــوداد وحب لأنك أهــل لــذاكا

٢- فــأما الذي هو حب الوداد فحب شغلت به عن سواكا

٣- وأمــا الذي أنت أهل لــه فكشفك للحجب حتى أراكا

٤- فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

.....

التخريج:

القاري البغدادي: مصارع العشاق، ج١، ص٢٨٥. وتحفة السادة المتقين، ج٩، ص ٦٨٨.وقد ورد شرح الزبيدي، ج ٩، ص ٨٨. وابن الجوزي، صفة الصفوة، ٨٩٨. نقلا عن:(الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النّسوي الصوفي، أمين يوسف عودة).

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصادر ومراجع شعر النساء الصوفيات

- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠م.
- التبصرة لابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
- الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النّسوي الصوفي، عودة، أمين يوسف ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد ٤، العدد ٢ ، ٢٠٠٨م.
- روض الرياحين في حكايات الصالحين، عبد الله بن أسعد اليافعي، وضع حواشيه: خليل عمران منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٠م.
- روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين محمد ابن الخطيب السلماني، تح: محمد الكتاني، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٠م.
- الزهد، أبو عبد الله بن حنبل، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٨٦م.
- شرح مقامات الحريري، أبو العباس أحمد الشريشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م.
- شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٢م.
- عوارف المعارف، عبد القاهر السهروردي البغدادي، ملحق بذيل ج٥ من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، دار الفكر، بيروت، د، ت.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب محمد بن علي المكي، المطبعة الميمنية، بمصر، ١٣٠٦هـ.
- الكوكب الدّرّي في مناقب ذي النون المصري، ابن عربي،محي الدين محمد بن علي، تح وتقديم: سعيد عبد الفتاح، ط١ ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ٢٠٠٢.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن رجب السلامي،دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٤م.
- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ابن الجوزي، ق،تح: مصطفى محمد الذهبي، دار الحديث، ط١، القاهرة، ١٩٩٥م.
- محاضرة الابرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، محي الدين محمد بن علي، ابن عربي، دار صادر، بيروت، د.ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- مختصر تأريخ دمشق، ابن منظور، تح: روجة النّحاس، رياض عبد الحميد، محمد مطيع، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ١٩٨٤م.
- مرآة الجنان، أبو محمد عبد الله أسعد، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٣م.
- مصارع العشاق، أبو محمد جعفر السرّاج، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- معجم شعراء الحب الإلهي ،محمد أحمد درنيقة، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الوافي بالوفيات، صلاح خليل بن أيبك الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: نَثرُ النّساء الصّوفيّات .

١- رابعة العدوية :

١-عن مسمع بن عاصم ورياح القيسي قالا: شهدنا رابعة وقد أتاها رجل بأربعين ديناراً، فقال لها: تستعينين بها على بعض حوائجك، فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت: هو يعلم أني استحيي منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها؟ .

٢-قال لها رجل: ادعي لي فالتصقت بالحائط وقالت: من أنا يرحمك الله؟ اطع ربك، وادعه فإنه يجيب المضطرين.

٣-عن سجف بن منظور قال: دخلت على رابعة وهي ساجدة، فلما أحسّت بمكاني رفعت رأسها فإذا موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها، فسلّمت فأقبلت علي فقالت: يا بني ألك حاجة؟ فقلت: جئت لأسلم عليك، قال: فبكت وقالت: سترك اللهم سترك، ودعت بدعوات، ثم قامت إلى الصلاة وانصرفت.

٤-عن العباس بن الوليد قال: قالت رابعة: استغفر الله من قلة صدقي في قولي: استغفر الله!

٥-وقالت: فتذاكروا الدنيا فأقبلوا يذمونها، فقالت رابعة: إني لأرى الدنيا بترابيعها في قلوبكم! قالوا: ومن أين توهمت علينا؟ قالت: إنكم نظرتم إلى اقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتم فيه.

٦- قيل لرابعة: هل عملت عملاً ترين انه يقبل منك؟ قالت: إن كان فمخافتي أن يرد علي.

٧- رفع سفيان الثوري يده وقال: اللهم اني أسألك السلامة! فبكت رابعة، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أنت عرضتني للبكاء فقال: وكيف؟ قالت: أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها، فكيف وأنت متلطخ بها؟ وقال الثوري بين يدي رابعة: واحزناه! فقالت: لا تكذب؛ قل: واقله حزناه، لو كنت محزوناً ما هناك العيش.

٨-عن جعفر بن سليمان قال: سمعت رابعة تقول لسفيان: إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وانت تعلم، فاعمل.

٩-وعن عبدة بنت أبي شوال وكانت تخدم رابعة – قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت اسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم تنامين؟ والى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دابها دهرها حتى ماتت، فلما حضرتها الوفاة دعتني فقالت: يا عبدة لا تؤذني بموتي احداً، وكفنيني في جبتي هذه– جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفناها في تلك الجبة، وخمار صوف كانت تلبسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قالت عبدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة استبرق خضراء وخمار من سندس اخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه، فقلت: يا رابعة ما فعلت الجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إن والله نزع عني وابدلت به هذا الذي ترينه علي، وطويت اكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ قالت: وما هذا من كرمة الله عز وجل لأولياته؟

قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى قالت: قلت: وبم؟ وقد كنت عند الناس؟ أي أكثر منها! قالت: إنما لم تكن تبالي على أي حالة أصبحت من الدنيا وأمست قالت: فقلت: فما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغماً قالت: يزور الله متى شاء قالت: قلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ اعطي والله فوق ما كان يأمل.

قالت: قلت: فمريني بأمر اتقرب به إلى الله عز وجل، قالت: عليك بكثرة ذكره، اوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك.

١٠- قيل لها:كيف حُبُّكِ للرسول(صلى الله عليه وسلم)؟فقالت: إني لأحِبهُ، ولكن شغلني حُبَ الخالق عن حُبَ المخلوقين.

١١- وقالت: حينما رأت رباحاً يقبّل طفلاً أتحبّه؟ قال:نعم، فقالت:ما كنتُ أحسِبُ أنَ في قلبك موضعَ محبةٍ لغير الله عزَ وجل!.

١٢- دخل محمد بن واسع، على رابعة وهي تتمايلُ،فقال لها:مِمَ تمايُلُك؟فقالت:سَكِرتٌ من حُبَ ربي الليلة،فأصبحتٌ وأنا منه مَخْمُورةٌ٠

١٣- وقال لها سفيان الثوريٌ:ما أقربَ ما تقرَب به العبدُ الى الله عز وجلَ؟فبكتْ وقالت:مثلي يُسألُ عن هذا؟ أقربُ ما تقرَب العبدُ به إلى الله تعالى أن يعلمَ أنه لا يحبٌ من الدنيا والآخرةِ غيره٠

١٤- قال الثوريٌ بينَ يدىْ رابعة:واحُزناه!فقالت:لا تكذبْ، قل: واقِلّة حُزناه٠لو كنتَ محزونا ما هنا ك العَيْشُ٠

١٥- قالت: ما حُزنِى أنَى حَزنتُ، ولكن حُزنِى أنَى لم أحزَنْ٠

١٦- قالت: البابُ مَفتوحٌ، ولكنَ الشأنَ فيمن يرغب أن يدخله .

١٧- مرَتْ رابعةٌ على رجلٍ بالبصرة أُخِذَ على فاحشةٍ فصُلب٠ فقالت: بأبى ذلك اللسانَ الذي كنت تقولُ به: لا إله إلا الله٠

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، (١-٧) ص٧٠٨، و(٨ ،٩) ص٧٠٩ منه. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات. ورد فيه (١٠،٤ ،١١) ص٢٩، و(٧) ص٢٨، و(١٢ ،١٤،١٣) ص٣٠ ، و (١٦،١٥، ١٧) ص٣١ منه.

****

٢-جوهرة العابدة البراثية:

١- قال أبو عبدالله البراثي: قالت لي جوهرة يوماً: يا أبا عبدالله النساء يحلين في الجنة إذا دخلنها؟ قلت: نعم، قال: فصاحت صيحة غشي عليها، فلما افاقت قلت: ما هذا الذي أصابك؟ قالت: ذكرت حالي تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة.

٢- قال أبو عبدالله البراثي: رأت جوهرة في منامها خياماً مضروبة فقالت: لمن ضربت هذه الخيام؟ فقيل: للمجتهدين بالقرآن، فكانت بعد ذلك لا تنام.

٣- عن أبي عبدالله البراثي قال: كانت جوهرة تنبهني من الليل وتقول: يا أبا عبدالله ما فعلت بالجلة التي كنت تقعد عليها؟ قال: إن جوهرة أيقظتني البارحة فقالت: اليس يقال في الحديث: "إن الأرض تقول لابن آدم تجعل بيني وبينك ستراً وانت غداً في بطني"؟ قال: قلت: نعم قالت: فأخرج هذه الجلالة لا حاجة لنا فيها فقمت – والله – فأخرجتها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٥١٢.

****

٣ -أخوات بشر الحافي:

مـخة :

١- قالت لأحمد بن حنبل: يا أبا عبدالله أنا امرأة اغزل بالليل في السراج فربما طفيء السراج فاغزل في ضوء القمر: فعلي أن ابين غزل القمر من غزل السراج؟ قال: فقال لها: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك، قال: قالت: يا أبا عبدالله أنين المريض شكوى؟ قال: ارجو إلا يكون، ولكنه اشتكاء إلى الله عز وجل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- وقالت أيضا: إني امرأة رأس مالي دانقان اشتري القطن فأغزله وابيعه بنصف درهم، فأتوق بدانق من الجمعة، فمر ابن طاهر الطائف ومعه مشعل فوقف يكلم أصحاب المسالح فاستغنمت ضوء المشعل فغزلت طاقات ثم غاب عني المشعل فعلمتُ أن لله في مطالبة: فخلصني خلصك الله؟ فقال لها: تخرجين الدانقين، ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٥١٣.

****

٤- زبـــدة :

١- قال السلمي: قالت زبدة اخت بشر: اثقل شيء على العبد الذنوب، واخفه عليه التوبة فما له يدفع اثقل شيء باخف شيء؟.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٥١٤. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص٨٨.

****

٥- ميمونه أخت ابراهيم الخواص:

١-قال احمد بن سالم: دق داقٌ باب إبراهيم الخواص فقالت له أخته: من تطلب؟ فقال: ابراهيم الخواص، فقالت: قد خرج فقال: متى يرجع؟ فقالت: من روحه بيد غيره من يعلم متى يرجع؟ .

٢- قالت: من ضاق قلبه ضاقت عليه الدنيا بما فيها ، ألا ترى أن الله تعالى يقول: (حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبتْ وضاقتْ عليهم أنفسهمْ) (التوبة:١١٨)، في الأرض متسعٌ ، ولكن لما ضاقت عليهم أنفسهم ضاقتْ عليهم الدنيا بما فيها.

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

الأول، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٥١٤. الثاني، أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص١١١.

****

٦- مؤمنة بنت بهلول: وهي من زاهدات دمشق.

١- قال عيسى بن إسحاق الانصاري: سمعت مؤمنة بنت بهلول تقول: ما النعيم إلا في الأنس بالله والموافقة لتدبيره.

٢- قالت ما طابت الدُنيا والآخرةُ إلا بالله، أو بالنظر الى آثار صُنْعِه وقُدْرتهِ٠ ومَن مُنِع من القُرْب أنِسَ بالأثر٠ وما أوْحَشَ ساعةً لا يُذ كَرُ اللهُ فيها٠

٣- وسُئِلتْ مؤمنةُ:مِن أين إستفدْتِ هذه الأحوال؟ قالت: مِن أتباع أمر الله، على سنَّة رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، وتعظيم حقوق المسلمين، والقيام بخدمة الأبرار الصالحين٠

٤- وتقول: قُرةَ عَيْنِى،ما طابت الدُّنيا والآخرةُ إلا بك فلا تَجْمَعْ علي فَقْدَكَ والعذابَ٠

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٥١٤. و المقطوعات(٢-٤) في: أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص٣٤.

****

٧- أم حسان الكوفية :

قال لها الثوري: لو كتبت رقعة إلى بعض بني اعمامك لغيروا من سوء حالك؟ فقالت: يا سفيان قد كتب في عيني أعظم وفي قلبي اكبر مذ ساعتك هذه، إني ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها ويحكم فيها؛ فكيف أسأل من لا يقدر عليها ولا يقضي ولا يحكم فيها؟ يا سفيان والله ما أحب أن يأتي علي وقت وانا متشاغلة فيه عن الله تعالي بغير الله فأبكت سفيان.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٦٠٢.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨- أم سفيان الثوري/ ص٦٠٢

١- قال وكيع: قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني اطلب العلم وانا اكفيك يمغزلي، وقالت له: يا بني إذا كتبت عشرة احرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك؟ فإن لم يزدك فاعلم انه لا يضرك ولا ينفعك.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٦٠٢.

****

٩- أُخت فضيل بن عبد الوهاب:

١- قالت: الآخرة اقرب من الدنيا، وذلك أن الرجل يهم بطلب الدنيا فلعله أن ينشئ لذلك سفراً يكون فيه تعب بدنه وانفاق ماله، ثم لعله أن لا ينال بغيته، والرجل يطلب الآخرة فمنتهى طلبته في حسن نيته حيث ما كان من غير أن ينشئ سفراً أو ينفق أو يتعب بدنا، ما هو إلا أن يجمع على طاعة الله فإذا هو قد أدرك ما عند الله.

٢- وتقول: ما بيننا وبين أن نرى السرور أو ننادى بالويل والثبور إلا خروج هذه الارواح من الابدان، فانظروا أي عبيد تكونون حينئذ؟ قال: ثم صرخت وغشي عليها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص,٦٠٣

١٠- ميمونة السوداء :

١- قال لها ابن زيد: عظيني؟ فقالت: واعجباً لواعظ يوعظ! ثم قالت: يا ابن زيد انك وضعت معايير القسط على جوارحك لخبرتك بمكتوم مكنون ما فيها، يا ابن زيد انه بلغني انه ما من عبد اعطي من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة معه، وبدله بعد القرب البعد، وبعد الانس الوحشة .

فقلت لها: أي أرى هذا الذئاب مع الغنم، فلا الغنم تفزع من الذئاب، ولا الذئاب تأكل الغنم، فاي شيء هذا، فقالت: اليك عني؛ فإني اصلحت ما بيني وبين سيدي فأصلح بين الذئاب والغنم.

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٦٠٥.

****

١١- بخــة :

١- قال يحيى بن إسماعيل: فبينما أنا نائم ذات ليلة إذا باب بيتي يدق في نصف الليل، فقلت: من هذا؟ قالت: بخة قلت: أختي؟ قالت: اختك، قلت: لبيك، وقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها بالبيت منذ أكثر من عشر سنين، فقلت لها: يا اختاه خير، قالت: خير، أتيت الليلة في منامي فقيل لي: السلام عليك يا بخة، فقلت: وعليك السلام، فقيل لي: إن الله قد حفظ اباك اسماعيل لسلمة بن كهيل جدك، وحفظك لابيك اسماعيل، فإن شئت دعوت الله لك فأذهب ما بك، وإن شئت صبرت ولك الجنة، فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد شفعا لك إلى الله عز وجل بحب ابيك وجدك اياهما، فقلت: إن كان لابد من اختار احدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة، والله واسع لا يتعاظمه شيء، إن شاء أن يجمعهما لي فعل، قالت: فقيل لي: قد جمعهما الله لك ورضي عن ابيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر، قومي فانزلي، فاذهب الله ما كان بها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٦٠٦.

****

١٢- حفصة بنت سيرين : وكنيتها أم الهذيل، وهي من متعبدات البصرة.

١-عن هشام بن حسان قال: كانت حفصة تقول لنا: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وانتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٠٦-٧٠٧

****

١٣- منيبة البصرية وابنتها :

١-بينا الحسن ذات يوم جالس إذ أتاه آت فقال: أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت؟ فوثب الحسن، فدخل عليها، فلما نظرت الجارية إليه بكت، فقال لها: يا (أختاه) ما يبكيك؟ قالت له: يا أبا سعيد التراب يُحثى على شبابي ولم اشبع من طاعة ربي! يا أبا سعيد انظر إلى والدتي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي تقول لوالدي: احفر لابنتي قبراً واسعاً وكفنها بكفن حسن، والله لو كنت أجهز إلى مكة لطال بكائي، كيف وانا أجهز إلى ظلمة القبور ووحشتها؟ وبيت الظلمة والدور؟.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٠٧.

****

١٤- عجردة العمية :

١- فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون: إليك قطع العابدون دجى الليالي بتبكير الدلج إلى ظلم الاسحار يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك الهي لا بغيرك أسالك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وان ترفعني إليك في درجة المقربين، وان تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت اكرم الكرماء، وارحم الرحماء، واعظم العظماء، يا كريم، وكان هذا دأبها لثلاثين سنة حتى ماتت.

٢- قال لها بعض أهل الدار: لو نمت من الليل شيئاً؟ فبكت وقالت: ذكر الموت لا يدعني أنام .

٣- وكانت إذا صَحَتْ قالت :أوه ! قُطِع بنا النهارُ عن مناجاة سيِّدنا ،ورَدَّنا الى ما نستحقّه مِن كلا م المخلوقين،سماعاً وقولاً٠

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص ٧٠٩-٧١٠. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، رقم(٣) في: ص٥٥.

****

١٥- حبيبة العدوية :

١-عن عبدالله المكي أبي محمد قال: كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها، فقالت: الهي غارت النجوم، ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك.

فإذا كان السحر قالت: اللهم وهذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فاهنى؟ أم رددتها علي فأعزى؟ فوعزتك لهذا دأبي ودأبك ما ابقيتني، وعزتك لو انتهرتني ما برحت من بابك، ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك.

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٠. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص٩٣.

****

١٦- أم الأسود بنت زيد العدوية:

١-قال أبو عبد الرحمن السلمي: كانت معاذة العدوية أرضعت أم الأسود، وقالت أم الأسود: قالت لي معاذة العدوية: لا تفسدي رضاعي بأكل الحرام، فإني جهدت جهدي حين أرضعتك حتى أكلت الحلال، فاجتهدي أن لا تأكلي إلا حلالاً، لعلك أن توفقي لخدمة سيدك والرضا بقضائه.

٢-تقول: ما أكلت شبهة إلا فاتتني فريضة أو ورد من اورادي.

٣- عن عمران بن خالد، قال: حدَّثتني أمٌ الأسود بنت زيد، وسُئِلت عن قول الله عزَّ وجلَّ (فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ) (الحجر:٨٥) قالت: رضاً بلا عِتاب .

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٠. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، رقم (١) في: ص٧٥، رقم (٣) في: ص٤٣.

****

١٧- مريم البصرية :

١-قال عبد العزيز بن عمير: قامت مريم البصرية المتعبدة من أول الليل فقالت: "الله لطيف بعباده" (الشورى:١٩) ثم لم تجزه حتى أصبحت.

٢-وقالت مريم: ما اهتممت بالرزق ولا تعبت في طلبه منذ سمعت الله عز وجل يقول: "السماء رزقكم وما توعدون" (الذاريات: ٢٢).

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٠. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، فيه (١، ٢) ص٣٣.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٨- أم عبد الله بنت خالد بن معدان :

١-قالت: لو تيقَّنْتُ أن الله تعالى يُدْخِلُنى الجنَّة ما أزدَدْتُ إلا إجتهاداً وخِدْمة٠٠٠ أحسن على العَبيد مِن حُسْن الخِدمة لمواليهم٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٤١.

****

١٩- عفيرة العابدة :

١-قال روح بن سلمة الوراق لعفيرة العابدة، بلغني انك لا تنامين بالليل؟ فبكت، ثم قالت: ربما اشتهيت أن انام فلا اقدر عليه، وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً؟ قال: فأبكتني والله، وقلت في نفسي: أراني في شيء واراك في شيء.

٢- قال يحيى بن بسطام دخلت مع نفر من أصحابنا على عفيرة، وكانت قد تعبدت وبكت حتى عميت، فقال بعض اصحابنا لرجل إلى جنبه: ما اشد العمى على من كان بصيراً فسمعته عفيرة فقالت له: يا عبد الله عمى القلب – والله – عن الله اشد من عمى العين عن الدنيا، والله وددت أن الله وهب لي كنه محبته وانه لم تبق مني جارحة إلا اخذها.

٣-قيل لها: يا عفيرة ادعي الله لنا، فقالت: لو خرس الخاطئون ما تكلمت عجوزكم، ولكن المحسن أمر المسيء بالدعاء، جعل الله قراكم من بيتي الجنة وجعل الموت مني ومنكم على بال.

٤-عن مالك بن ضيغم قال: سمعت عفيرة تقول: عصيتك بكل جارحة مني على حدتها، والله لئن اعنت لأطيعنك ما استطعت بكل جارحة عصيتك بها.

٥-قال محمد بن الحسين: وحدثني سعيد العمي قال: قلت لعفيرة: أما تسأمين من طول البكاء؟ قال: فبكت، ثم قالت: يا بني كيف يسأم ذو داء من شيء يرجو أن له فيه من دائه شفاء؟ قال: ثم بكت فقمت فخرجت وتركتها.

٦- عن يحيى بن راشد انه قال: كنا عند عفيرة العابدة، فقدم ابن اخ لها كانت طالت غيبته فبشرت به فبكت، فقيل لها: ما هذا البكاء؟ اليوم يوم فرح وسرور! فازدادت بكاء، ثم قالت: والله ما اجد للسرور في قلبي مسكناً مع ذكر الآخرة، ولقد اذكرني قدومه يوم القدوم على الله، فمن بين مسرور ومثبور! ثم غشي عليها.

.....

التخريج:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١١. أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ورد فيه رقم(٢) فقط ، مع اختلاف بسيط .

****

٢٠- عافية المشتاقة :

١-وتقول: المحبّ لا يُسْأم مِن مناجاة حبيبه، ولا يَهُمُّه سواه، واشَوْقاهُ واشَوقاهُ واشَوقاهُ، ثلاثا.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٤٠.

****

٢١- عبيدة بنت أبي كلاب :

١-عن يحيى بن بسطام الأصغر قال: حدثني سلمة الافقم، وكان ينزل الطفاوة قال: قلت لعبيدة بنت أبي كلاب: ما تشتهين؟ قالت: الموت قلت: ولم؟ قالت: لأني والله في كل يوم أصبح اخشى أن اجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي أيام الآخرة.

٢-قالت لمالك: يا أبا يحيى متى يبلغ المتقي الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة؟ قال مالك: بخ بخ يا عبيدة إذا بلغ المتقي تلك الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة لم يكن شيء أحب إليه من القدوم على الله قال: فصرخت عبيدة صرخة سقطت مغشياً عليها.

٣-عن عبيس بن مرحوم قال: حدثتني عبدة بنت أبي شوال قالت: رأيت رابعة في المنام فقلت: ما فعلت عبيدة بنت ابي كلاب؟ فقالت: هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى! قلت: وبم وقد كنت عند الناس؟ أي أكثر منها قالت: أنها لم تكن تبالي على ما أصبحت من الدنيا أو أمست.

٤- وحكى عنها أنها قالت: مَن صحّ تقواه ومعرفتُه لا يكون عليه شيءٌ أحبُمِن لقاء ربّه والقدوم عليه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٢. أبو عبد الرحمن السُلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، رقم (٤) ص٥٩.

****

٢٢- عمرة امرأة حبيب العجمي :

١-عن الحسين بن عبد الرحمن قال: حدثني بعض أصحابنا قال: قالت امرأة حبيب أبي محمد، وانتبهت ليلة وهو نائم؛ فانبهته في السحر وقالت له: قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢-عن مسلم بن إبراهيم قال: سمعت سهيلاً أخا حزم قال: كانت لحبيب أبي محمد امرأة يقال لها عمرة، فاشتكت عينها، فقيل لها: كيف تجدينك؟ قالت: وجع قلبي أشد من وجع عيني.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٢.

****

٢٣- بردة الصريمية :

١-كانت إذا قيل لها: كيف أصبحت؟ تقول: اصبحنا اضيافاً منتجعين بأرض غربة، ننتظر اجابة الداعي.

٢-كان يقال لها بردة، وكانت تكثر البكاء حتى فسد بصرها، فقيل لها: اتقي الله أما تخافين على بصرك أن يذهب؟ قالت: دعوني فإن أكن من أهل النار فأبعدني الله وابعد بصري، وان أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله عينين خيراً من عيني.

٣-قالت لأبي سعيد: يا أبا سعيد إن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله بصراً خيراً من بصري، وان أكن من أهل النار فابعد الله بصري.

٤-فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوت لها حزين: هدأت العيون وغارت النجوم وخلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوت بك يا محبوبي؛ افتراك تعذبني وحبك في قلبي؟ لا تفعل يا حبيباه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٢.

****

٢٤- أم طلق :

١-عن شيبة بن الارقم قال: سمعت عاصماً الجحدري يقول: كانت أم طلق تقول: ما ملكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطاناً.

٢-عن سفيان بن عيينة قال: قالت أم طلق لطلق: ما أحسن صوتك بالقرآن فليته لا يكون عليك وبالاً يوم القيامة! فبكى حتى غشي عليه.

٣-عن سلمة الأيهم قال: سمعت عاصماً الجحدري يقول: كانت أم طلق تقول: النفس مَلِك إن اتبعتها، ومملوك إن اتعبتها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٣. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، رقم (١، ٢) ص٤٩.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٥- أمة الجليل بن عمرو العدوية :

١-أختلف العابدون في الولاية، فأتوا أمة الجليل وكانت منقطعة من طول الاجتهاد، فعرضوا عليها اختلافهم، فقالت: ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا، ليس للولي في الدنيا حاجة. ثم أقبلت على كلاب فقالت له: بنفسي أنت يا كلاب من حدثك أو أخبرك أن وليه له همٌّ غيره فلا تصدّقه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٣.

****

٢٦- أم ابراهيم العابدة :

١-عن عبد المؤمن بن عبد الله القيسي قال: ضربت أم إبراهيم العابدة دابة فكسرت رجلها، فأتاها قوم يعزونها. فقالت: لولا مصائب الدنيا وردنا الآخرة مفاليس.

٢-قال أبو موسى الشواء: كنت مع أم إبراهيم العابدة، فلما عند الجمرات رأت الناس قد أقبلوا على الشراء والبيع فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: حبيبي أقبلوا على الدنيا وتركوك. ثم صاحت واجتمع الناس...ثم أقمت عليها حتى أفاقت فرفعت رأسها فقلت لها: يا أم إبراهيم أي شيء هذه الشهرة؟ فقالت: يا بطال إذا كان هو يقسم الثناء فلمن يتصنع؟

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٤.

****

٢٧- بحيرة العابدة :

١-عن رباح أبي الجراح قال: رأيت بحرية العابدة تبكي وتقول: نركنها وأنا رطبة، وأتيتك وأنا حشفة، فاقبل الحشفة على ما كان منها.

٢-عن أحمد بن أبي الحواري قال: حدثتني عجوز من أهل البصرة قالت: سمعت بحرية تقول: إذا ترك القلب الشهوات ألف العلم، واتبعه، واحتمل كل ما يرد عليه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٤.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٨- حسنة العابدة :

١-كانت جميلة، فقالت لها امرأة: تزوجي! فقالت: هات رجلاً زاهداً لا يكلفني من أمر الدنيا شيئاً، وما أظنك تقدرين عليه، فوالله ما في نفسي أن أعبد الدنيا، ولا أتنعم مع رجال الدنيا، فإن وجدت رجلاً يبكي ويبكيني، ويصوم ويأمرني، وتصدق ويحضني عليها، فبها ونعمت، وإلا فعلى الرجال السلام.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٥.

****

٢٩- زجلة العابدة مولاة معاوية :

١-عن أحمد بن سهل الأزدي قال: دخل على زجلة العابدة نفر من القرّاء فكلّموها في الرفق بنفسها فقالت: ما لي وللرفق بها؟ فإنما هي أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً، والله يا إخوتاه لأصلين له ما أقتلني جوارحي، ولأصومن له أيام حياتي، ولأبكين له ما حملت الماء عيناي. ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه؟ .

٢-قالت: عملي بنفسي قرح فؤادي، وكلم فالب، والله لوددت أن الله لم يخلقني، ولم أك شيئاً مذكوراً، ثم أقبلت على صلاتها، تركناها فخرجنا من عندها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٥.

****

٣٠- كردوية بنت عمرو البصرية :

١-قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين: كانت كردوية تخدم شعوانة فقيل لها: ما الذي اصابك من بركات خدمة شعوانة؟ قالت: ما أحببت الدنيا منذ خدمتها، ولا اهتممت لرزقي، ولا عظم في عيني أحد من أرباب الدنيا لطمع لي فيه، وما استصغرت احداً من المسلمين قط .

٢- قالت: بِتُ ليلة عندَ شعْوانة، فنمتُ فركَضَتْني، وقالت: قُومِي يا كُرْدويةُ، ليس هذا دارَ النوم، إنما النَّومُ في القُبُور.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، رقم (١) في: ص٧١٦. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، رقم(١،٢) ص٤٨.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣١- راهبــة :

١-عن عثمان بن سودة الطفاوي – وكانت أمه من العابدات يقال لها راهبة – قال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذخري وذخيرتي، ويا من عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي، لا تخذلني عند الموت ولا توحشني في قبري.

قال: فماتت: فكنت آتيها في كل جمعة فأدعو لها واستغفر لها ولأهل القبور قال: فرأيتها ذات ليلة في منامي فقلت: يا أماه كيف أنت؟ قالت: أي بني إن للموت لكربة شديدة، وانا بحمد الله لفي برزخ محمود نفترش فيه الريحان، ونتوسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور فقلت: الك حاجة؟ قالت: نعم قالت: لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا، فإني لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا اقبلت من عند اهلك، يقال لي: يا راهبة هذا ابنك قد أقبل من أهله زائراً لك فاستر بذلك ويسرّ ذلك من حولي من الاموات.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٦.

****

٣٢- سلمى، عابدة بصرية :

١-عن خلف بن الوليد الجوهري قال: قالت سلمى – امرأة بصرية – : إلهي علمي بشدة عقوبتك ونكالك قطع عني لذاذة الدنيا ونعيمها، ومعرفتي بسعة رحمتك وسعت عليّ خلقي فيما بيني وبين عبادك.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٦.

****

٣٣- مسكينة الطفاوية :

١-عن اسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا عمار الراهب وكان والله من العاملين لله في دار الدنيا – قال: رأيت مسكينة الطفاوية في منامي وكانت من المواظبات على حلق الذكر، فقلت: مرحباً يا مسكينة مرحبا، فقالت: هيهات يا عمار ذهبت المسكنة وجاء الغنى الأكبر، قلت: هيه! قالت: ما تسأل عمن ابيح الجنة بحذافيرها يظل منها حيث يشاء قال: قلت: وبم ذلك يرحمك الله؟ قالت: بمجالس الذكر، والصبر على الحق، قال عمار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالابلة تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة، قال عمار: قلت: يا مسكينة ما فعل عيسى؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فضجت ثم قالت: كسيَ حلّة البهاء، وطافت بأباريق حوله الخدام، ثم حلّي وقيل، يا قارئ ارق، فلعمري لقد برأك الصيام، وكان عيسى قد صام حتى انحنى وانقطع صوته.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٦.

****

٣٤- غنضكة :

١-قالت: أعوذ بالله من ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون! فإذا قضت صلاتها قالت: هذا الجهد مني وعليك التكلان.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٧.

****

٣٥- إبنة أم حسان :

١-قالت: إلهي خلا كل حبيب بحبيبه، وانا خالية بك يا محبوب، فما كان من سخن يسخن من عصاك إلا جهنم، ولا عذاب إلا النار.

٢-وقالت: يا سفيان قل: الحمد لله فقلت: الحمد لله فقالت: اعترفت له بالشكر؟ قلت: نعم قالت: وجب عليك من معرفة الشكر شكر، وبمعرفة الشكرين شكر لا ينقضي أبدا.

قال سفيان: فقصر – والله – علمي وفهَّ لسانه فوليت أريد الخروج فقالت: يا سفيان كفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه، وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله، اعلم انه لن تتقى القلوب من الردى حتى تكون الهموم كلها في الله هماً واحداً.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٧-٧١٨.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٦- جارية خالد الوراق :

١-بلغنا عن خالد الوراق انه قال: كانت لي جارية شديدة الاجتهاد، فدخلت عليها يوماً فاخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل، فبكت ثم قالت: يا خالد إني لأؤمل من الله تعالى آمالا لو حملتها الجبال لاشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الامانة، واني لاعلم أن في كرم الله مستغاثاً لكل مذنب، ولكن كيف لي بحسرة السباق؟ قال: قلت: وما حسرة السباق؟ قالت: غداة الحشر إذا بعثر ما في القبور وركب الابرار نجائب الأعمال فاستبقوا إلى الصراط، وعزة سيدي لا يسبق مقصر مجتهداً أبدا، ولو حبا المجد حبوراً، أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون وقد رفعت اعلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون ووصل إلى الله المحبون، وخلفت مع المسيئين المذنبين؟ ثم بكت وقالت: يا خالد انظر؛ لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالأعمال، فإنه ليس بين الدارين دار يدرك فيها الخدام ما فاتهم من الخدمة، فويل لمن قصر عن خدمة سيدة ومعه الآمال فهلا كانت الأعمال توقظه إذا نام البطالون؟ .

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧١٨.

****

٣٧- شعوانـــة :

١-قال معاذ بن الفضل أبو عون بكت شعوانه حتى خفنا عليها العمى فقلنا لها في ذلك؟ فقالت: أعمى والله في الدنيا من البكاء أحب إلى من أن أعمى في الآخرة من النار.

٢-قال: ثم قالت: ومن شعوانة؟ وما شعوانة؟ أمة سوداء عاصية.

٢-بكت شعوانة ثم قالت: والله لوددت اني ابكي حتى تنفذ دموعي، ثم ابكي الدماء حتى لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم، واني لي البكاء؟ قال: فلم تزل تردد ذلك حتى انقلبت حدقتاها، ثم مالت ساقطة مغشياً عليها، فقمنا فخرجنا وتركناها على تلك الحال.

٢- تقول: من استطاع منكم أن يبكي فلبيك وإلا فليرحم الباكي، فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بما أتى إلى نفسه.

٣-عن فضيل بن عياض قال: قدمت شعوانة فأتيتها فشكوت إليها وسألتها أن تدعو بدعاء فقالت: يا فضيل أما بينك وبين الله ما إن دعوته استجاب لك؟ قال: فشهق الفضيل وخر مغشياً عليه.

.....

التخريج:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٢٢-٧٢٣. أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النّسوة المتعبّدات الصوفيات، ورد فيه رقم(١) ص٤٤.

****

٣٨- خشّــة الأُبُلّية :

١-قال يعقوب بن محمد: قالت خشة الأبلية: إنّ الذنوب أقل في جودك من أن لا تغفرها، فمن ثم خلا قلبي من الذنوب لمحبتك، رضي الله عنها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٢٤.

****

٣٩- منيفة بنت أبي طارق :

١-قال مسمع بن عاصم المسمعي: كانت بالبحرين امرأة عابدة يقال لها منيفة، فكانت إذا هجم الليل عليها قالت: بخ بخ يا نفس قد جاء سرور المؤمن، فتتحزم وتلبس وتقوم إلى محرابها، فكانها الجذع القائم حتى تصبح، فإذا أصبحت وأمكنت الصلاة فإنما هي في صلاة حتى ينادي بالعصر، فإذا صلّت العصر هجعت إلى غروب الشمس.هذا دأبها، قيل لها: لو جعلت هذه النومة في الليل كان أهدأ لبدنك! فقالت: لا والله لا أنام في ظلمة الليل ما دمت في الدنيا.

٢-قال أبو سفيان: فحدثني رجل من البحرين يقال له عامر بن مليك قال: رأيت منيفة بعد موتها في منامي فقلت: يا منيفة ما حال الناس هناك؟ فأقبلت علي وقالت: عن أي حالهم تسأل؟ الدار واحدة لاهل الطاعة يتعالون فيها بالاعمال، ولا تسأل عن حال أهل النار! قال: فبكيت والله من قولها: لا تسأل عن حال أهل النار، ثم وليت، فأتبعتني صوتاً: يا عامر عليك بالجد والاجتهاد لعلك أن تجري في مساعي السابقين غداً، قال عامر: فمرضت والله من هذا الرؤيا شهراً.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٣٣.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٠- ماجدة القرشية :

١-قال المنهال بن يحيى البصري: حدثني اياس بن حمزة – رجل من أهل البحرين – قال: قالت امرأة من قريش يقال لها ماجدة، كانت تسكن البحرين: طوى أملي طلوع الشمس وغروبها، فما من حركة تسمع ولا من قدم توضع إلا ظننت أن الموت في اثرها.

٢-وكانت تقول: سكان دار أوذنوا بالنقلة وهم حيارى، يركضون في المهلة كأن المراد غيرهم! أو التأذين ليس لهم، والمعنى بالأمر سواهم، آه من عقول ما انقصها! ومن جهالة ما أتمها! بؤسا لأهل المعاصي ماذا غروا به من الامهال والاستدراج؟ .

٣-وكانت تقول: بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم، ولو نصبوا الآجال وطووا الآمال خفت عليهم الأعمال.

٤-وكانت تقول: لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنان ورضا الرحمن إلا بتعب الابدان لله والقيام لله بحقه في المنشط والمكره.

٥-وكانت تقول: كفى المؤمنين طول اهتمامهم بالمعاد شغلاً.

٦-وكانت تقول: لو رأت أعين الزاهدين ثواب ما أعد الله لأهل الأعراض عن الدنيا لذابت أنفسهم شوقاً إلى الموت لينالوا من ذلك ما املوا من تفضله تعالى، رضي الله عنها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٣٤.

****

٤١- فاطمة النيسابورية :

١-سُئل ذو النون عنها فقال :من أولياء الله عز وجل وهي استاذي، فسمعتها تقول: من لم يكن الله عز وجل منه على بال فإنه يتخطى في كل ميدان ويتكلم بكل لسان، ومن كان الله منه على بال اخرسه إلا عن الصدق، والزمه الحياء منه والاخلاص.

٢-وقالت فاطمة: الصادق المقرّب في بحر تضطرب عليها أمواج، يدعو ربه دعاء الغريق يسأل ربه الخلاص والنجاة.

٣-وقالت: من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله اياه فهو مخلص.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤-وقال لها ذو النون: عظيني، وقد اجتمعا ببيت المقدس- قالت له: الزم الصدق وجاهد نفسك في افعالك.

٥- قالت فاطمة: ليس في الدُّنيا صُوفِيٌّ أخسُّ ممَّنْ يَرَى السبَبَ.

٦- وقالت: مَن عَمِل لله على المُشاهَدَة فهو عارفٌ ، ومَن عَمِل على مشاهدةِ اللهِ إيَّاه فهو المُخْلِص .

ماتت فاطمة بمكة في طرق العمرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، (١-٤) ص٧٦٣. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات، (١، ٥) ص٦١، و(٢ ،٤،٦) في:ص٦٢. وبزيادة : و أقوالِك ، لأنَّ الله تعالى قال: (فإذَا عَزَمَ الأمَرْ فلَوْ صَدَقُوا اللهَ لكَانَ خَيْرًا لهُمْ) (محمد:٢١) في المقطوعة الرابعة.

****

٤٢- عائشة بنت أبي عثمان النيسابوري :

قالت:

١-قال أبو عبد الرحمن السُّلمي: كانت عائشة من أزهد أولاد أبي عثمان وأورعهم وأحسنهم حالاً ووقتاً، وكانت مجابة الدعوة سمعت ابنتها أم أحمد بنت عائشة تقول: قالت لي أمي: لا تفرحي بفان، ولا تجزعي من ذاهب، وافرحي بالله عز وجل، واجزعي من سقوطك من عين الله عز وجل.

٢-و تقول: قالت لي أمي: الزمي الأدب ظاهراً وباطناً فما أساء أحدٌ الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً، ولا اساء احد الأدب باطناً إلا عوقبَ باطناً.

٣-قالت: من استوحش من وحدته فذاك لقلة أنسه بربه.

٤-وقالت: من تهاون بالعبد فهو من قلة معرفته بالسيد، فمن أحب الصانع أحب صنعته.

ماتت عائشة سنة ست واربعين وثلاثمائة.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٦٣. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص٥٨.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٣- ألـوف الموصلية :

١-قال أبو سليمان: خطب رجل امرأة من أهل الموصل يقال لها ألوف، فقالت للرسول: قل له: ما يسرّني أنك لي عبد وجميع ما تملكه لي، وأنك شغلتني عن الله عز وجل طرفة عين!.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٩٧.

****

٤٤- رقيّــة :

١-قالت: الهي وسيّدي ومولاي لو أنّك عذّبتني بعذابك كله، لكان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب، ولو نعمتني بنعيم أهل الجنة كلهم كانت لذة حبك في قلبي أكثر .

٢-عن منصور بن محمد قال: قالت رقية الموصلية: اني لاحب ربي حباً شديداً، فلو أمر بي إلى النار ما وجدت للنار حرارة مع حبة ولو أمر بي إلى الجنة لما وجدت للجنة لذة مع حبه، هو الغالب علي.

٣-عن محمد بن كثير المصيصي قال: قالت رقية العابدة، وكانت بالموصل: حرام على قلب فيه رهبانية المخلوقين أن يذوق حلاوة الإيمان شغلوا قلوبهم بالدنيا عن الله عز وجل، ولو تركوها لجالت في الملكوت ورجعت إليهم بطرف الفوائد.

٤-وكانت تقول: تفقّهوا في مذاهب الإخلاص، ولا تفقهوا فيما يؤديكم إلى الركوب على القلاص.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٩٧.

****

٤٥- أمية بنت أبي المورع :

١-كانت من الخائفين وكانت إذا ذكرت النار قالت: ادخلوا النار، واكلوا من النار، وشربوا من النار، وعاشوا، ثم تبكي، وكان بكاؤها اطول من ذلك، وكانت كأنها حبة على مقلى، وكانت إذا ذكرت.

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٩٧.

****

٤٦- موافقة :

١-يقال لها: موافقة، فعثرت فسقط ظفر ابهامها، فضحكت، فقيل لها: يا موافقة يسقط ابهامك وتضحكين؟ فقالت: إن حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

٢-وبرواية أخرى : يا موفقة سقط ظفر ابهامك وتضحكين؟ فقالت: والله إن ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه.

وقد روي أن هذه القصة جرت لامرأة فتح الموصلي؛ قال زيد بن أبي الزرقاء: عثرت امرأة فتح الموصلي فانقطع ظفرها فضحكت! فقيل لها: فأين ما تجدينه من حرارة الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٩٨.

****

٤٧- راهبة الموصلية :

١-قال أحمد بن أبي الحواري: حدثتني امرأتي رابعة قالت: دخلت على أخت لي عاتق بالموصل، فقالت لي: هل تدرين ما معنى: "إلا من اتى الله بقلب سليم" (الشعراء: ٨٩)؟ قالت: قلت: لا قالت: القلب السليم الذي يلقى الله عز وجل وليس فيه شيء غير الله عز وجل، قال احمد: حدثت بهذا أبا سليمان، فقال: ليس هذا كلام الراهبة، هذا كلام الأنبياء.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٧٩٨.

****

٤٨- طـافية :

١-كان وهب بن منبه يقول: يا طافية ما اشد العمل عليك؟ فتقول: ما أجدني أجد شيئاً عليّ من طول الفكر، قال: وكيف ذلك؟ قالت: إني إذا تفكرت في عظمة الله عز وجل وأمر الآخرة طاش

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عقلي، واظلم علي بصري، واسترخت لذلك مفاصلي، فقال لها وهب بن منبه: إذا أنت وجدت ذاك فافزعي إلى قراءة القرآن في المصحف.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٣١.

****

٤٩- لُبــابة المتعبّدة : من بيت المقدس.

١-عن محمد بن روح قال: قالت لبابة المتعبدة في بيت المقدس: إني لأستحي منه أن يراني مشتغلة بغيره.

٢-عن محمد بن روح قال: قالت لبابة المتعبدة: مازلت مجتهدة في العبادة حتى صرت استروح بها، وإذا تعبت من لقاء الخلق آنسني بذكره، وإذا أعياني الخلق روحني التفرغ لعبادة الله عز وجل والقيام إلى خدمته.

٣- وقال لها رجل: هو ذا اريد الحج فماذا أدعو بالموسم؟ فقالت: سل الله تعالى شيئين أن يَرضى عنك، ويُبلغك مَنزِل الراضين عنه، وأن يُجعل ذكرك فيما بين أوليائه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٣١. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات، ص٣٢.

****

٥٠- زينب الطبرية :

١-قال هارون بن الحسن: خرجَتْ يوماً في حاجة فعثرت فانقطع أصبع من أصابعها قال: فاجتمعنا رجالاً ونساء نعزيها في اصبعها فقالت: يا إخوتي وأخواتي أنساني لذة ثوابها وجعها، فوهب الله لي ولكم الرضا والعفو عما مضى، قوموا حتى نخدم من الطريق عليه غداً.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٥١.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥١- أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان :

١- عن علي بن أبي جملة قال: سمعت أم البنين إبنة عبد العزيز بن مروان تقول: أف للبخل، لو كان قميصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سكلته.

٣- وكانت تبعث إلى نسائها فيجتمعن ويتحدثن عندها، وهي قائمة تصلي، ثم تنصرف اليهن فتقول: أحب حديثكم، فإذا قمت في صلاتي لهوت عنكن ونسيتكن.

٤- قال: وكانت تكسوهن الثياب الحسنة، وتعطيهن الدنانير وتقول: الكسوة لكن، والدنانير اقسمنها بين فقرائكن.

٥- وكانت تقول: جعل لكم قوم نهمة في شيء، وجعلت نهمتي في البذل والاعطاء، والله للصلة والمواساة أحب إلى من الطعام الطيب على الجوع، ومن الشراب البارد على الظمأ!

٦- وكانت تقول: وهل ينال الخير إلا باصطناعه؟ وكانت تقول: ما حسدت احداً قط على شيء، إلا أن يكون ذا معروف فاني كنت أحب أن اشركه في ذلك.

٧- قالت: ما تحلى المتحلون بشيء أحسن عليهم من عظم مهابة الله في صدورهم.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، (١-٤) في: ص٨٥٧. و(٥-٧) في: ص٨٥٨ منه.

****

٥٢- عبدة أخت أبي سليمان الداراني :

١-وقد روى أحمد بن الحواري عن أبي سُليمان(ت٢١٥هـ) أنّه قال: سمعت أختي تقول: الفقراء كلهم اموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة والرضا بفقره.

٢- قالت: الزُهدُ يُورثُ الراحة في القلب، وسخاء النفس بالمال.

٣- وقالت: العاقلُ مَن يحفظُ صلاحَ إخوانه ، لا من يتبعُ مُرادهم.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، رقم (١) ص٨٥٨. أبو عبد الرحمن السُلّمي: ذكر النسوة المتعبدات، (١-٣) ص٨٩. ورد القول رقم(١) في كتاب ذكر النسوة، أنه لآمنة أخت أبي سليمان الداراني.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥٣- رابعة بنت اسماعيل زوجة أحمد بن أبي الحواري :

١-قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لرابعة – وهي امرأتي وقد قامت بليل – قد رأينا أبا سليمان وتعبدنا معه، ما رأينا من يقوم من أول الليل، فقالت: سبحان الله مثلك يتكلم بهذا؟ إنما أقوم إذا نوديت قال: وجلست آكل وجعلت تذكرني فقلت لها: دعينا يهنينا طعامنا قالت: ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة.

٢-عن احمد بن أبي الحواري قال: قالت لي رابعة: أي أخي أعلمت أن العبد إذا عمل بطاعة الله اطلعه الجبار على مساوئ عمله فيتشاغل به دون خلقه؟ .

٣-عن احمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: إني لأضن باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسي، وإني لأرى ذراعي قد سمن فأحزن قال: وربما قلت لها: اصائمة أنت اليوم؟ فتقول: ما مثلي يفطر في الدنيا، قال: وربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبي على رؤيتها، ما لا يتحرك مع مذاكراتي أصحابنا من أثر العبادة،

٤-وقالت لأحمد: لست احبك حب الازواج إنما احبك حب الاخوان، وإنما رغبت فيك رغبة في خدمتك، وإنما كنت أحب واتمنى أن يأكل ملكي ومالي مثلك ومثل اخوانك.

٥-قال أحمد: وكانت لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها علي، فكانت إذا طبخت قدراً قالت: كلها يا سيدي فما نضجت إلا بالتسبيح، وقالت لي: لست استحل أن امنعك نفسي وغيري، إذهب فتزوج.

٦-قال أحمد: تزوجت ثلاثاً، وكانت تطعمني اللحم وتقول: اذهب بقوتك إلى أهلك وكنت إذا أردت جماعها نهاراً قالت: اسألك بالله لا تفطرني اليوم، وإذا أردتها بالليل قالت: اسألك بالله لما وهبتني لله الليلة.

٧-عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: ما سمعت الآذان إلا ذكرت منادي القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف، ولا رأيت جراداً إلا ذكرت الحشر.

٨-عن أحمد بن أبي الحواري قال: قالت لنا رابعة: نحّوا عني ذلك الطست، فإنما عليه مكتوب، مات أمير المؤمنين هارون الرشيد، قال أحمد: فنظروا فإذا هو مات ذلك اليوم.

٩-عن احمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون، وربما رأيت الحور العين يستترن مني باكمامهن، وقالت بيدها على راسها.

١٠-قال احمد: ودعوت رابعة فلم تجبني، فلما كان بعد ساعة أجابتني وقالت: إنما منعني من أن أجيبك أن قلبي قد كان امتلأ فرحاً بالله، فلم أقدر أن أجيبك.

١١- قالت رابعةُ يوماً لأحمد بن أبي الحوارىَ: كنت أدعو الله تعالى أن يأكلَ مالى مثلُك ومِثلُ أصحابك.

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، (١-٥) في: ص٨٥٩، (٦-١٠) في: ص٨٦٠. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات، (٨، ١١) في: ص٥٩، و(٧، ٩، ١٠) في:ص٦٠.

****

٥٤- أم هارون الدّمشقية :

١-عن عبد العزيز بن عمير قال: قالت أم هارون: وكانت من الخائفين العابدين، قد انزلت الدنيا منزلتها وكانت تأكل الخبز وحده، قالت: يأبي الليل لما أطيبه إني لاغتم بالنهار حتى يجيء الليل، فإذا جاء الليل قمت أوله، فإذا جاء السحر دخل الروح قلبي.

٢-وبالاستناد قال أبو بكر القرشي: وبلغني عن القاسم الجوعي قال: مرضت أم هارون فأتينا نعودها أنا وصاحب لي، فدخلنا عليها وهي على طرف الدرجة فسألناها عن حالها؟ فقلت لها: أم هارون ايكون من العباد من يشغله خوف النيران عن الشوق إلى الجنان؟ فقالت: آه! وسقطت عن الدرجة مغشياً عليها قال قاسم: وكانت أم هارون تأتي ببيت المقدس من دمشق كل شهر مرة على رجليها.

٢-قال القاسم الجوعي دخلت عليها، فقالت: يا قاسم كنت امشي ببيسان فإذا قد عرض لي هذه الكلب الاسد فمشى نحوي، فلما قرب مني نظرت إليه فقلت: تعال يا كلب، إن كان لك رزق فكل، فلما سمع كلامي اقعى قم ولى راجعاً.

٣-عن احمد بن أبي الحواري قال: قلت لأم هارون: أتحبين الموت؟ قالت: لا قلت: ولم؟ قالت: لو عصيت آدمياً ما أحببت لقاءه، فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته؟.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٦٠. أبو عبد الرحمن السُّلمي: ذكر النسوة المتعبدات، فيه رقم(٣) ص٦٤.

****

٥٥- ثويبة بنت بهلول :

١-عن ابن أبي الحواري قال: سمعت ثويبة بنت بهلول وكانت زاهدة دمشق، تقول: قرة عيني ما طابت الدنيا والاخرة إلا بك فلا تجمع علي فقدك والعذاب.

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٦١

****

٥٦-البَيضاء بنت المُفضّل :

١-عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أسماء الرملية – وكانت من العابدات – تقول: سالت البيضاء بنت المفضل فقلت: يا أختي هل للمحب لله دلائل يعرف بها؟ قالت: يا أختي والمحب للسيد يخفى؟ لو جهد المحب للسيد أن يخفى ما خفي، قلت: صفية لي، قالت: لو رأيت المحب لله عز وجل لرأيت عجباً عجيباً من واله ما يقر على الأرض، طائر مستوحش، أنسه في الوحدة، قد منع الراحة، طعامه الحب عند الجوع، وشربه الحب عند الظمأ، لا يمل من طول الخدمة لله تعالى.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٦١.

****

٥٧- آمنة الرملية :

١-عن جعفر بن محمد-صاحب بشر- قال: إعتلّ بشر بن الحارث، فعادته آمنة الرملية من الرملة. فإنها لعنده إذ دخل أحمد بن حنبل يعوده، فقال: من هذهِ؟ فقال: هذه آمنة الرملية، بلغها علّتي فجاءت من الرملة تعودني، قال: فسلها تدعو لنا فقالت: اللهم إن بشر بن الحارث واحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجارهما، قال احمد: فانصرفت، فلما كان من الليل طرحت الي رقعة مكتوب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: "قد فعلنا، ولدينا مزيد".

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٦١.

****

٥٨- أم ايمن بنت علي :

امرأة أبي علي الروذباري، واسمها عزيزة:

١-قال : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين : سمعت بعض أصحابنا يقول: كانت عزيزة امرأة أبي علي تقول: كيف لا ارغب في تحصيل ما عندك واليك مرجعي؟ وكيف لا أحب وما لقيت خيراً إلا منك؟ وكيف لا اشتاق إليك وقد شوقتني إليك؟ .

٢-وحكي عنها أنها قالت:لا ينتفع العبد بشيء من أفعاله كما ينتفع بطلب قوته من حلال.

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٧٦.

****

٥٩- تحية النوبية :

١-قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسن السُّلمي، سمعت الماليني الصوفي يقول: دخلت على تحية زائراً، فسمعتها من داخل البيت وهي تناجي وتقول في مناجاتها: يا من يحبني وأحبه. فدخلت إليها وسلمت عليها وقلت: يا تحية هبي إنك تحبين الله تعالى، فمن أين تعلمين انه يحبك؟ فقالت: نعم إني كنت في بلد النوبة وأبواي كانا نصرانيين، وكانت أمي تحملني إلى الكنيسة وتجيء بي عند الصليب وتقول: قبلي الصليب، فإذا هممت بذلك أرى كفا تخرج فترد وجهي حتى لا اقبله فعلمت أن عنايته بي قديمة.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٨٧٦.

****

٦٠- منفوسة بنت زيد الفوارس :

١- أصيب إبنها، وهو في حجرها، فقالت: والله لتقدمك أمامي أحب إلى من تأخرك ورائي، ولصبري عنك أجدى من جزعي عليك، وما حظ مصيبة تحل من التلف محلك، وتورث من العطب مثل مضجعك، ولئن كان فراقك حسرة إن توقع اجرك لخيرة.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٩٠٦.

****

٦١- عاتكة المخزومية :

١-قال ابراهيم بن محمد المخزومي: بكت امرأة من بني مخزوم يقال لها عاتكة حتى ذهب بصرها، فعوتبت في ذلك وقيل لها: ما بعد ذهاب البصر شيء؟ فقالت: ما ينبغي للمخوف بالنار أن تجف له دمعة حتى يعرف موقع الامان من ذلك! فلم تزل على ذلك البكاء حتى مات عليه.

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٩٠٦.

****

٦٢- منيرة السدوسية :

١- كانت تقول إذا جاء الليل: قد جاء الهول، قد جاءت الظلمة، قد جاء الخوف، ما اشبه هذا بيوم القيامة! ثم تقوم فلا تزال تصلي حتى تصبح.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٩٠٦.

****

٦٣- أُم نهار العدوية :

١-عن عتبة بن صالح الهلالي، كانت أم نهار العدوية واقفة على قبر رجل ونحن ندفنه، فقالت: ايها الناس انكم من الله عز وجل في نعمة ستر، ومن الناس بمحل تزكية، فإياكم ومصاداة زخاريف الرخاء فإنها ليست من صفة الألباء، فاجلوا شماذير الغفلة عن قلوبكم، وتأملوا أهل هذه العرصات الخرس، والربوع الصموت وارجعوها صوراً بوهمكم، تتنسمون روح الحياة، فنادوهم يسمعوا، واسألوهم يخبروا، فاحيوا بموتهم، وتيقظوا لغفلاتهم وخذوا خوفكم من أمنهم وحذركم من غرورهم، وانظروا بهم إلى أثر البلى في أجسامكم، والخراب في مساكنكم وكيف حكم فيهم التراب إذ ولي الحكم فيهم، فأبدلهم بالنطق خرساً، وبالسمع صمماً وبالحركات سكونا! رحم الله امرءاً أبصر فتدبّر، واتعظ فاعتبر، وعمل ليوم الحساب وخشي وقت العقاب.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٩٠٧.

****

٦٤- عاتكة الغفوية :

١-قالت عاتكة: يا ضرار توسل إلى مولاك بجميع ما يمكنك من الوسائل، فإنك تجد ذلك لك موفراً عند حلول الأمور الجلائل، وانقطع إليه في حوائجك لديه، يأت لك عليها على غير تعب منك ولا نصب، واعلم أنه لن ينال المطيعون في الدنيا لذة أحلى في صدورهم من الازدياد لله في طاعته بقربه، ولحلاوة ساعة من مطيع، ألذ في قلوب المريدين من جميع ما أخرج إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدنيا من زهرة ولذّة، ولن يجد المريد فقد شيء تركه رجاء ثواب الله، فجد أي أخي قبل أن لا يمكنك الجِد، وبادر قبلَ فوات المبادرة فإن الدنيا لا تطيب لعارفها، وإنما تورطها أهل الغرة، وعما قليل فسوف يعلمون. قال: ثم أمسكت فقامت.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٩٠٧.

****

٦٥- عليلة بنت الكميت :

١- قال خالد القرشي: استأذنّا على عليلة بنت الكميت- وكانت من العابدات- قال: وذلك وقت الظهر. فقالوا: هي تصلي، فلم نزل ننتظرها إلى العصر، فلمّا صلّت العصر أذنت لنا، فدخلنا عليها فقلنا: رحمك الله لم نزل قعوداً منذ الظهر ننتظرك! قالت: سبحان الله قعوداً لم تصلّوا بين الظهر والعصر؟ قلنا: لا قالت: ما ظننت أنّ أحداً لا يصلي بين الظهر والعصر.

قال: وانقبضت عنا انقباضاً شديداً.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٩٠٨.

****

٦٦- قريشية النّسوية :

١-حُكى عنها أنها قالت : خلق اللهُ تعالى الجّنة لمن يعبدُه ويخافه ، لا لمنْ يعصيه ويتمنى عليه٠

٢-مكابَدَةُ الصمت أيسرُ من اعتذارٍ بكذِب٠

٣-وقالت يوماً للنصرآباذى (ت٣٦٧هـ): ما أحسنَ أقوالك وأوحشَ أخلاقك ! وحُكى أن النصراباذى قا ل لها يوما: أسكتى٠فقالت: اسكتْ حتى أسكت٠

٤-وقالت قُريشية: ماهيّمتني إلا الظنونُ٠ لو تحققتُ في شئ لخرستُ وخَمدتُ ، وظهرتْ عليَّ بركاتُه٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص١٠٥.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٧- فاطمة البردعية :

١-سمعتُ أبا الحَسَن السَّلامِيَّ ، يقول: سألتْ فاطمةُ البَرْدَعِيةُ بعضَ المشايخ ، عن قول النبَّى (صلى الله عليه وسلم) ، حاكياً عن ربِّه: (أنا جليسُ مَن ذكَرَني)* ففاوضها ساعة، فقالت: لا، ولكنْ أتمُّ الذِّكْر أن تشهدَ ذِكْرَ المذكورِ لك مع دوام ذِكْرِك له ، فيفْنَى ذِكرُك في ذِكره ، ويَبْقَى ذِكرُه لك حينَ لا مكانَ ولا زَمانَ.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٦٧.

*هو من حديث موسى عليه الصلاة والسلام، قال : "يارب ، أقريب أنت فأناجيك، أو بعيد فأناديك؟ فقيل له: يا موسى؛ أنا جليس من ذكرني" كشف الخفاء ٢٠١/١.

****

٦٨- سعيدة بنت زيد :

١-رُوِى عنها أنَّها كانت تقول: مَن تفكَّرَ في نِعَم الله عليه، وتقصيره في شُكْره استَحْيا من السُّؤال مع كثيرِ ما عليه مِن النَّوال.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص ٤٥.

****

٦٩- حسنا بنت فيروز :

١- وكانت تقول: إلهي، حتّى متى تَدَعُ أولياءَك تحتَ التُّراب والثَّرى ؟ ألا تُقيمُ القيامة حتى تُنْجِزَ لهم ما وعَدتَهم.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٥٠.

****

٧٠- شَبَكةُ البَصْريّة :

١-وكانت تقول: تُظهَرُ النفوسُ بالرياضات، وإذا طَهُرت أستراحَتْ إلى العبادة، كما كانت قبلَ ذلك تتعنَّى فيها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٣٦.

****

٧١- نُسيّة بنت سَلْمان : وكانت امرأة يوسف بنِ أسباط (ت١٩٩هـ) .

١-قالت ليوسف بن أسباط: اللهُ سائلُكَ عنّى، لا تُطْعِمْنى إلا حلالاً، ولا تمُدَّ يَدك إلى شُبْهةٍ بسبَبى.

٢-قال: وولدتُ ولداً، فقالت: يا رَبِ، لم ترْنِى أهلاً لخدمتك فشغَلْتَنِى با لولد !.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٣٧.

****

٧٢- لبابة العابدة :

١-قالت لُبابة: إنّى لأستَحْيى مِن الله تعالى أن يراني مشغولةً بغيره بعد أن عرفتُه.

٢- وقالت: المعرفةُ لله تُورثُ المحبُة له، والمحبَّة لله تورثُ الشوق إليه، والشَوقُ إليه يُورثُ الأنسَ به، والأنسُ به يورثُ المداومة على خِدمته ومُوافقَتِه.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٥٢.

٧٣- حُكيمَة الدِّمَشقيّة :

من سادات نِساء الشام، وكانت أُستاذ رابعة وصاحبتها.

١-عن العباسُ ابنُ حمزة، قال: حدَّثنا أحمد بن أبي الحَوارى، قال: قالت لي رابعةُ: دخلتُ على حُكيمْة وهي تقرأ في المصحف، فقالت لي: يا رابعة، بلغنى أنَ زوجَكِ يتزوَّجُ عليك، قلت: نعم. قا لت: كيف يَرْضَى مع ما يبلغَني من عَقْلِه، أن يشتغل قلبُه عن الله تعالى بامرأتين ؟ أما بلغك تفسيرُ هذه الآية: (إلاّ مَنْ أتى اللهَ بِقلْبٍ سليمٍ) ؟ (الشعراء:٨٩) قلت: لا، قالت: هو أن يلقى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللهَ تعالى وليس في قلبه أحدٌ غيرُه ، قال أبو سليمان: ما سمعت منذ ثلاثين سنة حديثاً أرفَعَ من هذا.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٥٣.

****

٧٤- رابعة الأزدية : من أهل البصرة، كانت من كبار أصحابهم ووَرعِيهم.

١-خطبَ عبدُ الواحد بن زيد(ت١٥٠هـ) رابعة الأزديّة فحَجبتَه، فاغْتَمّ، فتحمّل عليها حتى أذِنته، فلما دخل قالت : يا شَهْوانِى، أيُّ شئ رأيتَ فيَّ من آلةِ الشُهوة ؟ ألا خَطبْتَ شَهْوانَيةً مثلك !.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٥٤.

****

٧٥- أُمّ سالم الرّاسِبيّة : من أهل البصرة، كانت من المُجاهدات الكِبار.

١- كانت تقول إذا قصَدَت الحجَّ مُحرِمة : ما ينبغى للعبد أن يقصدَ سيِّدَه إلا بعَقْدٍ يَرَى على نفسِه آثارَ خدْمته ، فإن العبدَ إذا تعطّل عن آثا ر الخِدمة عن قريبٍ يتعطّل عنها٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٥٦.

****

٧٦- هند بنت المهلب : البَصريّة .

١-قالت هندُ بنت المُهَلّب : إذا رأيتم النَّعمة مُسْتدِرّةً فبادروها بالشُكر قبل حُلول الزّوال٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٥٨.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٧- عائشة الدينورية:

١- سألت عائشة الدِّينَورِيَّة عمًا أوصاها به إبراهيمُ بن شيبان (ت٣٣٧هـ)،قالت: دخلتُ عليه وأنا أريدُ الحجَّ، فقلتُ : أوصيني بشئ يُحَمِلُنى في الطريق فقال : إذا خرجْتِ من عَتَبةِ دارك، ووضَعْتِ قدَماً، فلا تأمُلِي أنك ترفعين الآخرَ حتى يكونَ قبرُكِ هناك قالت: فكان ذلك الذي حَمَلَنِي في الطريق، قالت : وحضَرْتُه عندَ وفاته، فقلت : أوصِينى بشئ ، قال : تبَركِى بكلِ ما يدفعُه إليك الشُيوخ.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات،ص ٦٨.

****

٧٨- أمَةُ الحميد بنت القاسم :

١-أخبرنا أبو بكر المفيدُ الجَرْجَراني، قال: سمعتُ أمة الحميدِ بنت القاسم، تقول: سمعتُ أبا سعيدٍ الخَرَّازَ(ت٢٨٦هـ)، يقول: الواصلون قومٌ أُدخِلَتْ قُلوبُهم خزائنَ الأنوار، فأناخَتْ بينَ يَدَي الجَبَّار.

٢-وقالت: قلت لأبى سعيدٍ الخَرَّاز: أوْصيني – فقال لي راقِبى اللهَ تعالى في سِيرّك، واتَّبعي أوامرَه على ظاهرك، واجْتهدي في قضاء حوائج المسلمين، والقيام بخِدْمتهم ، تَصِلي بذلك إلى مَقَام الأبرار ، إن شاء اللهُ عزَ وجلَ.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبّدات، ص ٦٩.

****

٧٩- أُمّ أحمد بنت عائشة :

وكانت واحدة وقتها ، هِمَّة وحالاً وخُلقا.

١- تقول: العلم حياةُ الخلق ، والعمل مَطيته ، والعقل زينته، والمعرفةُ نوره وبصيرته.

٢- وقالت: الأفعالُ كلها معيوبة، ولا يعرفُ عيوب نفسه إلا المبرَّءونَ من العيوب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- وقالت: من رضي بعيوب نفسه ولم يداوِها بذواتها أورثه اللهُ الدعاوَى الباطلة .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ص١٠٢.

****

٨٠- فـاطمة : الملقبة زيتونة .

خادمة أبي حمزة الخراساني(ت٢٩٠هـ)، والجُنيد بن محمد البغدادي، والنُّوريّ(ت٢٩٥هـ)، وكانت من الأولياء.

١-قالت أتيتُ أبا الحسين النُّوريُ ، في يومٍ شديدِ القُرّ، فقلتُ له : أجيئك بشئ تأ كلُه ؟ قال: نعم- قلت : ما تريدُ ؟ قال: خبزٌ ولبنٌ. وكان بين يديه نارٌ يُقَلبُها بيده فأكل من ذلك الخبز واللبن، ويدُه أسودُ من الرَماد. فجعل اللبنُ يسهلُ على يده، ويغسلُ ذلك السَوادَ عنه.. فنظرتُ اليه ، وقلتُ: يا ربِّ ما أقذرَ أولياءَ ك ! ما فيهم أحدٌ نظيفٌ ! ثم خرجتُ مِن عندِه ، فجُزْتُ على صاحب الرَّبع. فإذا بإمرأةٍ تعلّقتْ بي، وقالت: الرُزّمةُ التي كانت هاهنا أخَذْتيها .فحَملنِي صاحبُ الرَّبُع إلى الأمير، وبلغ ذلك النُّوريّ ، فأسرع في طلبى، فلمَّا صِرْنا بين يدى السّلطان قال النُّوريُ : لا تتعّرضْ لها فإنها وليَّةٌ لله . قال: ما حِيلتى ومعها مَن يُطالِبُها ؟

فإذا بجاريةٍ سوداءَ معها الرّزْمةُ ،قالت : قد وجَدْنا الرّزْمة. فأخذ النّوريّ بيدى، وأخرجنى مِن عندِ السّلطان، وقال : لِمَ تقولين : ما أوْحَشَ أولياءَك وأقذَرَهم ؟ فقلت : تبتُ إلى الله تعالى مِن قولى هذا .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات،ص ٧١-٧٢.

٨١- عائشة امرأة احمد بن السّري :

١- قالت: من لم يحرص على التكبيرة الأولى والجماعة فهو على الصلاة أقل حرصاً.

٢-وقالت: عَقلُ العارف مِرآة قلبه، وقلبه مرآةُ نفسهِ ، وروحه مرآةُ عقله، وسرَّه مرآةُ روحه، والتوفيقُ نورُ المرآة ، ودِقةُ البصيرة في المرآة يُظهر له الخطأ من الصواب.

٣-وقالت: ما أكلتُ أكلة قطُّ أتهنئ بها إلا أكلة مع فقيرٍ، أو في متابعةِ فقيرٍ، أو في مُشاهدتهِ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- وقالت : ما قصدنى أحدٌ من الفتيان من موضع إلا وجدتُ في سرّى نُوراً بقصده ، إلى أن يصل إليَّ٠ فإن وفقتُ لخدمته، والقيام بواجبه ، ثَم لى ذلك النور ، وإن قصّرتُ في خدمته طفئَ ذلك النور٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٩٠.

****

٨٢- أنيسة بنت عمرو العَدَويَّة : من أهل البصرة.

تلميذة مُعاذة العَدَويّة (ت١٠١هـ).

١- كانت أنَيْسة بنت عمرو تخدُم مُعاذةُ العَدويَّة، وكانت تقول: ما رُضتُ نفْسِي على شئ فأبَتْ على إباءَها إيَّاي على أكل الحَلال والكَسْب٠
٢- كانت تقول : العملُ يجب أن يكونَ معه ثلاثةُ أشياء : الأخلاصُ والصّوابُ والسنّة٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٧٤.

****

٨٣- أُم عليّ، امرأةُ أحمد بن خَضْرَوَيه البَلْخِي (ت٢٤٠هـ) :

١-حُكِيَ عن أمّ عليّ أنها قالت : دعا اللهُ تعالى الخلْقَ إليه بأنواع البرّ واللُطْف ،فما أجابُوه٠ فصَبَّ عليهم أنواعَ البلاء ، لِيَرُدَّهُمْ بالبلاءِ إليه ، لأنه أحَبَّهُمْ٠

٢-قالت أمُّ عليّ : ما ذكَرْتُ فقْرى قطُّ إلا ذكرتُ استِغنائى بربّى وغِناه ، فيُزيل عنّي مواقف الفَقر، وأقول: يكونُ فقيراً مَن له سيّد مثله ؟٠

٣-قالت: فَوتُ الحاجةِ أيسَرُ من الذُلِّ فيها٠

٤- وجاءتها إمرأةُ من أهل بَلخ ، فقالت لها: ما حاجتك ؟ قالت: جئتُ لأتقربَ إلى الله بخدمتِكِ٠ فقا لت لها: لِمَ لا تَتقرَّبين إليَّ بخِدمةِ ربّكِ ؟ .

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٧٦، رقم(٣ ،٤) في: ص٧٧.

****

٨٤- فخروية بنت علي من أهل نيسابور (ت٣١٣هـ) :

١-قالت: حالٌ ضعيف ، وخطرٌ عظيمٌ، ودعوى عريضة ، وصدقٌ قليل٠

٢-وقالت فخروية مرةً لأبى عليّ الثقفيّ (ت٣٢٨هـ): إنّ الإنسانَ إذا تكلّم بالعِلم يُريح قلبه ونفسه، ويعظُم في نفسه، لأستحسانه كلامه٠ وإذا استعمل العلم أتعبَ نفسه وقلبه، ويصغر في نفسهِ، لعلمِه بقلة إخلاصِه في معاملته٠

٣-وحُكي عنها أنها قالت: من جَعل السبب إلى الوصول إلى ربَّه غير مُلازمةِ طاعته، واتّباع رسوله (صلى الله عليه وسلم) ،فقد أخطأ السبيلَ إليه٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٨٠، رقم(٣) في: ص٨١ منه.

****

٨٥- فاطمة بنت عبد الله المعروفة بجوَيرية :

١-تقول: أول هَمَّ يردُ على العارف يقطعه عن كل شئ٠ إنما ذلك نظرٌ من الله لهم ، ليطهُّرهم عن كل شئ بذلك٠

٢-و قالت : سمعتُ أبا سعيد الخرّاز، يقول: مِن شأن المحب لمولاه إذا تمكنت مودّتُه في ضميره، أن يُطهّرَ قلبه للكلف به، والشغفِ بحبه، والهذيان بذكره، ويمنعه من الأتساع، ومن شأن من قد باشرَ قلبُه شيئاً من الشوق أن ينسى حظّه من الدنيا والآخرة، ويفقد تدبيرَ نفسِه، ولا يجد طعمَ الخدمة كما وجده المجنون ، يكون بمولاه كلفاً دَنِفاً هائماً متحيّراً٠

٣-و قالت : سمعتُ أبا سعيدٍ ، يقول : من شأن العارف أن تراه مرةً والِها مُنقطعاً ، لا فِعلَ فيه لغير سيده٠ وتارةً تراه مع الخلق، كأنه واحدٌ منهم ، قد خَفِيَ عليهم مكانه ،إلا أنه ساكنٌ من هَيَجانه، مُتّصلُ الهمة بواجِدِه٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٧٨.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨٦- أمُّ الفضل الوَهَطِّية :

كانت واحدة وقتها لساناً وعِلماً وحالاً. ورحلت آخر عمرها إلى الشيخ أبي عبد الله بن خفيف(ت ٣٧١هـ).

١- قالت : احذروا ألا يكون شغلكم طلب راحاتِ النفوس. وتوهَّمُون أنكم في طلب العلم، وطالبُ العلم هو العاملُ به ! وليس العملُ بالعلم كثرة الصوم والصدقة والصلاة، وإنما العملُ بالعلم إخلاصُ العملِ لله، بصحة النية، ومراقبة نظر الله تعالى إليه، إن لم يكن هو ناظراً إلى ربه ، ومشاهداً له.

٢- وقالت: من آلةِ الصوفيّ المتحقق ألا يطلبَ ، ولا يتشرفَ إلى شئ ، ولا يردُّ فتوحاً ، إذا كان من وجهٍ غير متهم ، ويدّخرَ من وقتٍ إلى وقت ، أو لوقت.

٣- وقالت: لا يكونُ لصاحبِ حقيقةٍ رجوعٌ إلى الأحوال بعدَ التحقق، بل تكون الأحوالُ كلها تبعاً له.

٤- وقالت: حقيقةُ المحبةِ أن يحرس المحب إلا عن محبوبه، ويصمّ إلا عن سماع كلامه.

٥- وسألت عن التصوّف، فقالت: نقضُ الأسباب وقطعُ العلائق.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَّمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، (١-٣) ص١٠٦، و(٤) ص١٠٧، ورقم(٥) في: ص١٠٨، منه.

****

٨٧- أمُّ عبد الله، امرأةُ أبى عبد الله السَّجزيّ :

١- يقول جَدّها: سمعتُ أم عبد الله تقول: من احتقر الفقراءَ لا يكون له همّةٌ بالله ، ولا حالٌ... .

٢-وسمعتها تقول: صحبةُ الإخوان في الدنيا نعيمُ دار الدنيا.

٣-قال: وسمعتها تقول: العيشُ في لقاء من شرح صدرك بلقائه، ويدّلك على الإقبال على الله، والإعراض عن الدنيا وأهلها.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُّلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٩٢.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨٨- آمنة المَرجية :

متعهدةٌ للفقراء، كانت صائنةٌ مستورة ، رفيعة الهمّة٠

١- قالت: الأولياء لاتُشبعهم الأقوات، ولكن تشبعهم الكفايات٠

٢- وقالت: خدمةُ الفقراء فيها نورُ القلب وصلاحُ السِّر٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ١٢٢.

****

٨٩- عزيزة الهروية :

١- قالت: الزاهدُ من لزم المَلِكَ لحاجته ، والعارفُ لزمه المَلِك لمُجالستِه٠

٢- قالت أم الحسين القرشية: سمعت عزيزة الهروية ، تقول: الزاهدُ والمتقرب، في علّو نفسه وارتفاعها ينظرُ إلى الناس، لذلك يتصاغرون في عينه٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص١١٥.

****

٩٠- فاطمة بنت أحمد الحجافيّة :

١-قالت: ما قال أحدٌ لأحدٍ : يا أحمقُ ، إلا قلتُ :لبَيك ، ظننتُ أنه يَعنيني به٠ فلا أحدَ أظهرُ حُمقاً ممّن يُوالى عَدوّه ، ويعادى وليّه ! النفسُ والشيطانُ عدوان ، ونحن نواليهما ونطيعهما٠ والكتابُ والسّنة مواضعُ نجاتنا وخلاصنا ، وقد أعرضنا عنهما٠

٢-وقالت فاطمةُ يوماً لأبى العباس الدّينورى (ت٣٤٠هـ)، وهو يتكلم في شئ من الأنس: ما أحسنَ وصفكَ عمّا أنت غائبٌ عنه !.

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٨٢.

****

٩١- فاطمة بنت أحمد بن هانئ النّيسابُورية :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١-سألتْ فاطمة أبا عُثمان: كيف السبيلُ إلى معرفة الله عزّ وجل ؟
فقال لها : بنسيانك نفسكِ والخلقَ ، وإنكارك كل شئ سوى اللهِ ، حتى تبلُغي إلى حقيقةِ معرفةِ الله٠
٢-وقالت فاطمةُ: الدنيا شبَكةٌ للحمقَى ، لا يقعُ فيها إلا من لا عقلَ له ولا توفيق٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٩١.

****

٩٢- فاطمة الخانقهية :

١-حُكى عنها أنها قالت: الفُتوّةُ هي القيامُ إلى الخدمة من غير تمييز٠
٢-وحُكى عنها أنها قالت: سرورُ قلوبِ العارفين برؤية الفتيان، وغَمها بمفارَقتهم٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص١٢٣.

****

٩٣- عائشة بنت أحمد الطّويل المَروزية، زوجة عبد الواحد السيّارىَ (ت٣٧٥هـ)

رحمهم الله . كانت من الأفاضل والمجتهدين.

١-قال لها بعض المُدّعين: افعلى كذ ا وكذ ا ليقعَ لكِ كشفٌ، فقالت: الستر أولى للنّساء من الكشف، لأنهن عَورات٠
٢-وقالت: من لم يستلذُّ طعم الفقر لا يُكشفُ له عن فضائل الفقر٠
٣-وقيل لها: إن فُلاناً لم يقبلْ رفقك ، وقال: في قبول أرْفاق النسوان مَذ لّة ، فقالت: إذا طلب العبدُ التّعززَ في عبوديته فقد أظهر رُعُونته٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص ١٢٤.

****

٩٤- أم عليّ بنت عبد الله بن حَمشاذ :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من كبار نساء نيسابور٠ رفيعةُ الحا ل ، عظيمةُ القدر صحبتْ أبا القاسم النصراباذى، وغيره من المشايخ ، كان المشايخ يكرمونها ويعرفون محلها٠

١- قالت: طرح الحشمةِ من غير انبساطٍ متقدم يورث الطردَ٠

٢- وقالت: الأكوانُ كلها أسبابٌ لقطع العبيد عن مكوّنها٠

٣- وحُكي عنها أنها قالت : من صحَّ له علم حقيقة العبودية فإنه عن قريبٍ يصلُ إلى علم الربوبية٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص١١٦.

****

٩٥- ذُكّارةُ : وهي من الوالهات.

١-قال عباس الإسكاف: كانت عندنا مجنونةٌ يقال لها : ذكّارةُ٠ فنظرتْ إلىَّ يومَ العيد وفي يدى قطعةٌ فا لوذُج فقالت : ما معك ؟ قلت : فالوذَج[١] ٠
فقالت: إنى أستحيى أن يرانى اللهُ تعالى حيثُ يكره٠ألا أصفُ لك فالوذَجاً تذهب فتعمله إن قدَرْتَ عليه ؟ قلت : بلى٠

قالت: خُذ سُكَّرَ العطاء، ونشا سُتَجَ [٢] الصّفاء، وماء الحياء، وسَمنَ المُراقبة، وزَعفران الجَزاء، وصفَّهِ بمناخِلِ الخَوف والرَّجاء، وانصِبْ تحته دَيكَدان [٣] الحزن، وركب ظناجير الكسد، واعقده باسطام الاعتبار، وأوقدْ تحته نيرانَ الزُّفير، وابسطْه على الحَذر حتى يَضربَه نسيمُ هواءِ التَّهجُّد٠ فإذا أكلتَ منه لقمَةً تصيرُ من الأكياس، وتبرأ من الوسواس، وحَببك إلى صدور الناس ، وتُبغضُ إليك ربط الأكياس، وتكفيك من شر الوسواس الخَنّاس، وتدور عليك الحورُ العِين في الفردوس بالكاس٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٨٣-٨٤.
التعريفات : ١-نوع من الحلوى، ٢- النشأ .

****

٩٦- فاطمة أُمُّ اليُمن :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- قالت مناجية: كيف لا أرغبُ في تحصيل ما عندك وإليك مَرجعِى ؟ وكيف لا أحبك وما لقيتُ خيراً إلا منك ؟ وكيف لا أشتاق إليك وقد شوقتنى إليك ؟٠

٢-وحُكى عنها أنها قالت : لا ينتفع العبد بشئ من أفعاله كما ينتفع بطلب قُوتِه من حَلال٠

٣-وقالت فاطمة: الزاهدُ طالبٌ حظّه، لأنه يطلبُ الاستراحة من طلب الدنيا وتعبها، لا غير٠

٤- خَرَجتْ يوماً من المِصر وقت خروج الحاجَ، والجِمالُ تمرُّ بها، وهى تبكى وتقول: واضَعفاهُ !... وقالت: هذِهِ حَسرةُ من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف تُرى حَسْرةَ من انقطع عن الوصول إليه ؟ .

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص ٨٦.

****

٩٧- سُريرة الشّرقية :

١-عن أم الحسين القرشية ، تقول : سمعتُ سُريرة ، تقول: أكثر سبب الأنكار العجزُ عن الإدراك٠

٢-قالت: وسمعتها تقول : المنتهى فيما يُقال من دقائق العلوم: عِلم الربوبية والعبودية ثم تتلاشى العبودية ، وتبقى الربوبية٠

٣-قالت: وسمعتها تقول : صحَّةُ الإقرار أن يكون عن الجهل خالياً، والمعرفة أن تكون عن التشبيه نقية، والعمل أن يكون عن الشرك صافيا٠

٤-قالت: وسمعتها تقول: البلاءُ والنعمةُ كلها من معدنٍ واحد، إلا أن الصادقين تتبين في الثبات عند نزُولِ البلاء٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات،ص١١٧.

****

٩٨- عنيزة البغدادية :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١-عن بعض أصحابها قال: قلت لعنيزة: أوصيني، فقالت: كُن للهِ اليومَ ، كما تحبُّ أن يكون ذلك غدا٠

٢-وحُكي لى عن عُنيزة، أنها قالت : من أحبه لم يتعب في خدمته ، بل يتلذ ذْ بها٠

٣-وحُكي عنها أنّها قالت: العارفُ لا يكون واصفاً ولا مُخبراً٠

٤-وحُكي عنها أنها قالت: العِلمُ يورث الخَشية ، والمعرفةُ تورث الهيبة٠

٥-وقالت: قوالب البشرية معادنُ العبودية٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص١١٨.

****

٩٩- عبدوسة بنت الحارث :

كانت خادمة الفقراء في بلدتها دامَغان، ثلاثين سنة.

١- سألها رجلٌ فقال: ما حالكِ ؟ فقالت: السؤالُ عن الحالِ مُحالٌ٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص ١١٢.

****

١٠٠- أُمُّ الحسين بنت أحمد بن حَمدان (ت٣١١هـ) : وتعرف بأمّ الحُسين القرشية.

١- بعض صَحِبها من النّسوان، تقول: سمعتُ أم الحسين ،تقول : من أحبَّ أن تصبح له طريقةُ الفقر فليختر من الفرُش التراب، ومن الأطعمة الجوع، ومن السرور الهَمَّ، ومن القبول الردّ، ومن العِزّ الذُلّ٠

٢-وحُكيَ عنها أنها قالت : إن الله تعالى لم يجعلْ لأنفس المؤمنين ثمناً إلا الجنة، وجعل قلوبهم محلاً لنظره ، فلا تبيعوا أنفسكم باللّون من العروض، وطالعوا موضعَ نظَر الله تعالى أن يكونَ مَصوناً عمّا لا يرضاه٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص١١٣.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠١- جُمعة بنت أحمد بن محمد بن عبيد الله، المعروفة بأمّ الحسين القُرشية :

١-تقول: دخلتُ ببغداد على الشيخ أبى الحسين الخضرى ، فقال لى: من صحبتِ ؟ قلتُ: النصراباذى، فقال لى: أيشٍ تحفظين من كلامه ؟ قلت: إنه يقول: من صَحَّت نسبته كملت معرفته، فسكت الخضرى٠

فلما رجعتُ، رضي النّصراباذى ذلك، وقال: كذا يجب على من يدخل على شيخ٠

٢-وسمعتها تقول: جرى بين يدىَّ فضلُ العلم والعمل٠

٣-وسمعتها تقول: من لم تكن له أوائل تُفنيه لم تكن له أواخرُ تبقيه ٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص ١١٩، و(٣) في: ص١٢٠ منه.

****

١٠٢- أمُّ الحُسين الورَّاقة : من العراق٠

حسنةُ الكلام ، مجتهدةٌ ورَعة٠

١-سمعتها تقول: ليس للأعمى من رؤية الجوهر إلا مسُّه٠

٢-وسمعتها تقول: قال الشبلى: إن فاتكم اللهُ فلا يفوتنكم أمره٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات،ص ١٢١.

****

١٠٣- فاطمة الدمشقية :

١-سمعتُ علىّ بن أحمد الطّرسُوسىّ يقول: لمّا دخل أبو الحسين المالكي دمشق، تكلّم في جامع دمشق، وأحسنَ الكلامَ٠ فحضرتْ مجلسه فاطمة، وقالت له: يا أبا الحسن: تكلمتَ فأحسنتَ، وأنت تحسِنُ أن تتكلم، هل تحسن أن تسكت ؟ فسكت أبو الحسن، ولم يتكلم بعد ذلك٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٩٤.

****

١٠٤- فُطيمَة : امرأة حمدون القصّار (ت ٢٧١هـ) :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١–حُكي عن فُطيمة أنها قالت : من أخلاق الصوفى في المعاشرة: أن من قصده قبله، ومن غاب عنه لا يفتقده ، ومن عاشره تخلّق معه ، ومن كره عشرته لم يجبره على صحبته٠

٢–وسُئلت فُطيمة عن العاقل٠ قالت: من يحيا قلبك بمجالسته٠

٣–وقالت فُطيمة: من عرف نفسه لم ينسم إلا بالعبودية ، ولا يفتخرُ إلا بمولاه٠

٤–وقالت فُطيمة: عمارةُ القلب بالإعراض عن الدنيا ،وخرابُ القلب بالاستعانة بالخلقْ٠

٥–قالت فُطيمة: من أبصرَ نعم الله عليه شغله القيام بشكرها عن كل شئ٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٩٥.

****

١٠٥- مَرهاء النصيبية :

صحبت أبا الحسين البصري، وأبا عبد الله الرُّوذباريّ وغيرهم.

١–كانت تقول : الفقرُ لباسُ عِــزٌ إذا تحقق الفقيرُ فيه٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٩٩.

****

١٠٦- أمةُ العزيز٠ المعروفة بهَوْرَةَ :

كانت إحدى الصّوفيات والعارفات، وأرباب الأحوال. وكانت من أفتى وقتِها في النِّسوان.

١–سمعتُ أبا نصر بن أبى إسحاق بن أبى بِشر بن مارَوَيه، يقول: دخلتْ امرأةٌ عليها ، وعليها جُبّةٌ صوفٍ وقميصُ صوف٠ فقالت لها: مَن لبس الصوف يجب أن يكون أصفى الناس وقتاً ، وأحسنَ الناس خُلقاً ، وأكرمَ الخَلق حركة ، وأعذب الناسِ طبعا ، وأجودهم نفساً ، وأسخاهم يداً، كما تميز عن الخلق بلباسهِ، كذلك يتميز عنهم بأوصافه٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص١٠٤.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠٧- عونة النيسابورية :

كانت زاهدة، كثيرة المُجاهدات، وكان يقال: إنها مُجابةُ الدعوة٠

١-سمعتُ أبا أحمد الحَسنوىَ ، يقول: سمعتُ عونة تقول: أنا أتوبُ من صلاتي وصيامى ، كما يتوبُ الزانى من زناه ، والسارقُ من سرقته٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص١٠٣.

****

١٠٨- أم كُلثوم، الخالة :

١- قالت أم الحسين القُرشية: خرجتُ معها إلى الجبل ،فقالت لي : رُدّيني إلى البلد ، فقد ضاق صَدري فلما انصرفنا سألتها: بماذا ضاق صدرك ؟ فقالت: كادتْ رُؤية القدرة أن تشغلَ عن القادر٠

٢- وقالت: سمعتُ أم كلثوم الخالة ، تقول: الوجدُ لا تصحُّ عنها العبارة، لأنه سِرُّ الله تعالى في العبد، إذا شاء أن يُظهرهُ أظهره، وإذا شاء أن يخفيهَ أخفاه، والمتكلفُ فيه ظاهرٌعليه تكلفه٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص١١٤.

****

١٠٩- هنيـــدة :

١-كانت إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه، فتوقظ ولدها وزوجها وخدمها فتقول لهم: قوموا فتوضؤوا وصلوا فستغتبطون بكلامي هذا، فكان هذا دأبها معهم حتى ماتت، فرأى زوجها في منامه، إن كنت تحب أن تزوجها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات، فأُتِى أكبر ولده في منامه فقيل له: إن كنت تحب أن تجاور أبويك في درجتهما من الجنة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما، قال: فلم يزل ذلك دأبه حتى مات، فكانوا يَدْعَون القوَّامين.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٩٠٨.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١١٠- عَمرة الفرغانية :

١-وهي امرأةَ أحمد بن السرّيّ (ت٣٥٧هـ)، تقول: قالت عَمرة الفرغانيةُ : ميراثُ الصمت الحكمةُ

والتفكُّر٠ ومن أنس بالخلوة مع العلم أورثه ذلك أنساً من غير وحشة٠

٢- وقالت: من خدم الأحرار والفتيان أورثه ذلك عِزًّا عند الخلقِ ومهابةً في أعينهم ، ودَّ له ذلك على رُشدهِ ، وبلَّغه درجاتِ الأولياء٠

٣- وسُئلت: كيف عرف موسى عليه السلام أن الذي يسمعه كلامُ الله تعالى ؟ قالت: لأنْ ذلك الكلام أفنى عنه أوصافه، وبغَّض إليه بعد ذلك كلامَ الخلق٠

.....

التخريج:

أبو عبد الرحمن السُلَّمي: ذكر النّسوة المتعبدات، ص٨٧.

****

١١١- عابدة مجهولة من بني عبد القيس:

١-عن أبي بكر الهذلي قال: كانت عجوز من بني عبد القيس متعبدة، فكانت تقول: عاملوا الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم، فإن لم تطيقوا فعلى قدر ستره فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه، فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٩٠٨.

****

١١٢- عابدة مجهولة :

١-مات ابن لها فقالت: اللهم إنك قد علمت فرط حنو الوالدين على ولدهما فلذلك لم تامرهما ببره، وقد علمت قدر عقوق الولدِ لوالديه من أجل ذلك حضضته على طاعتهما، وألزمته برّهما، وقد كان ولدي من البر بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما، فأجُره بذلك مني صلاة ولقه سروراً ونضرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقال لها إعرابي: نعم ما دعوت له، لولا انك شبته من الجزع بما لا يجدي عليه! فقالت: ٢-إذا وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفه، ولا في القدرة منعه، والله ولي عذري بفضله، فقد قال عزّ وجل "فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم" (البقرة: ١٧٣).

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، الأول في ص٩٠٨، والثاني، ص٩٠٩.

****

١١٣- عـابدة مجهولة:

١-قال أبو عبد الرحمن القرشي عن رجل من بني ثعلب قال: شهدت امرأة من أهل البادية توصي ابناً لها واراد سفراً فقالت: يا بني أوصيك بتقوى الله، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك، وإياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن وتفرق بين المحبين، ومثّل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثالاً ثم اتخذه إماماً، واعلم أنه من جمع بين الحياء والسخاء فقد استجاد الحُلّة إزارَها ورداءَها.

.....

التخريج:

ابن الجوزي: صفة الصفوة، ص٩٠٩.

****

١١٤- حيُّونـة : من الأهواز.

١- كانت إذا جنَّها الليل تبكي وتقول: عزَّ عليَّ أن تُعصى، أما قلبي فإنه والِهٌ بك، وأما جوارحي فإنها تشكو ضميرها إليك، إلهي إلى متى تَحبسني مع البطّالين؟ فلا تزال كذلك حتى تصبح .

٢- كانت حيّونة إذا جنّها الليل تقول: يا واحدي تُمَتِّعُني بالليل بدرس التلاوة، ثم تَقْطَعُني عنك بك في ضياء النّهار؟ إلهي ودِدتُ أنّ النّهار ليلٌ حتى أنمتّع بقربك.

٣- عن إسماعيل بن عبد الله قال: كنت إذا نظرتُ إلى حيّونة أقول إنها من أهل الآخرة. ورأيتها يوماً في سوق الحدّادين تنظر إلى المطارق تضربُ على الحديد، وهي تعدو في السوق وتنادي: يا مالك لا أعود، يا مالك لا أعود.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- صامت حيّونة حتى اسودّت، فعوتِبت في ذلك فرفعت طرفها نحو السماء وقالت: قد لامني خلقك في خدمَتِك، فوَعزّتك وجلالك لأخدمنَّك حتى لا يبقى لي عصب ولا قصب.

٥- زارَت رابعة حيّونة، فلما كان جوف الليل حمل رابعة النّوم، فقامت إليها فركَلتها برجلها وهي تقول: قومي قد جاء عرس المهتدين، يا من زيّن عرائس الليل بنور التّهجد.

٦- قال علي بن هشام الأبليّ: دخلت الأهواز فسألت عن حيّونة فقيل: في خرابات دار الأشناني، فدخلتها فإذا أنا قد تولّهت من خوف الله، قد قتلها الحب وأضناها، روحانيّة الظاهر سماوية الباطن.

٧- قالت: من أحبَّ اللهَ أنِسَ، ومن أنِسَ طَرِب، ومن طرب اشتاق، ومن اشتاق ولِهَ، ومن وَلِهَ خدم، ومن خدم وصل، ومن وصل اتّصل، ومن اتّصل عرف، ومن عرفَ قَرُب، ومن قَرُب لم يرقد/ وتسوَّرتْ عليه بوارق الأحزان.

٨- قال سلام: سمعتُ حيّونة نقول لبعض الناس: يا بطّال، ألك طاقةٌ بكلام مالِكٍ، وهو إذا غضب على النّار زجَرَها زجرةً تَدَكْدَكَت فأكل بعضها بعضاً من الفَرق؟ .

.....

التخريج:

النّيسابوري: عقلاء المجانين، (١ ،٢، ٣) في: ص٢٨٦، و(٤) في: ص٢٨٧، و(٥، ٦) في: ص٢٨٨، و(٧، ٨) في: ص ٢٨٩ منه.

****

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

*مصادر النّثر النّسوي الصوفي.

- أبو عبد الرحمن السُّلَمي، ذكر النّسوة المتعبدات الصوفيّات، تح: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٩٣م.
- جمال الدّين أبو الفرج بن الجوزي، صفة الصّفوة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢م.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، دار ابن حزم، ط١،بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمـة

سَعت التّجربة الصّوفيّة إلى تَجسيد صُورة الإنسان المثاليّ، ولكن بمنظارٍ مختلف يندرج ضمن رؤية خاصّة للوجود الإنساني، وانعكست هذه التجربة بطبيعة الحال، على الأدب النّسوي الصوفي شعراً ونثراً.

إذ إنَّ العلاقة التي أقامتها النّساء الصّوفيّات مع المعبود، تكشف عن مدى حجم العلاقة التي يحملنها بين ضلوعهن، فالعلاقة لها دلالات تُعين في معرفةِ حالِهن، وفهم واقعهن، ومعرفة مُعاناتهن، من أجل الوصول إلى رضى رب العالمين، ومدى خوفهن الكبير من عقاب الآخرة.

فيغدو رضى الخالق سبحانه بالنسبة للنّساء الصوفيّات، كالشيء المفقود الذي يحاولن أن يبحثن عنه، فيستَميتن من أجل بلوغه، وذلك من خلال تركهن لمتاع الدّنا وملذّاتها.

إذ يحتَفِظن بمبادىء التّصوّف التي تقوم على صفاء النّفس وقصد وجه الله، والتَّمسّك بالفَقر والافتقار، وتوطين القلب على الرّحمة والمحبّة، وأخيراً التَّجَمّل بمكارم الأخلاق التي بُعِثَ بها النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) لتمامها.

إذْ شَكَّلت هذِهِ المبادىء في ذات النّساء الصّوفيّات، وحاوَلن أن يتمسكن بها طوال حياتهن، من أجل نيل رضى الله سبحانه وتعالى والفوز بجائزة رؤية المحبوب، وهو الخالق جلَّ في علاه.

ونالت المرأة الصّوفيّة، في الأدب الصّوفي، حضوراً كبيراً، من حيث الشّعر والنّثر، وصوّر الشّعر والنثر، أخلاقهن، وسلوكهن المُشبع بالاستقامة والتأسي بالنّبي(عليه الصلاة والسلام) على نحوٍ يكشف عن زهدهنّ.

وتكشف كذلك عن دورهنّ في مُحيطهنّ، وهو دور الرّاصد للزلل والغلط، المُنبّه للخير والمحذّر من الغَفلة، دورٌ ارتضته الشريعة للمؤمن الصّادق الغَيور، والمُتمثّل بالأمر بالمَعروف، والنَّهي عن المنكَر، لذلك غلب على أدبهن، بناء هذه العبارات بأساليب الإنشاء من أمر ونهي واستِفهام، وتحضيض وغيرها.

وتميّزت هذه العِبارات ببعضِ التّفاوت عن مثيلاتها عند الصّوفيين الرجال، وتنبع من طبيعةِ المرأة عامةً، وشدّة حساسيّتها للأشياءِ، ولين عاطفتها واندفاعها.

وعلى الرغم مما يواجه المرأة الصّوفيّة من فقد وحرمان وفقر وقحط في الحياة الدُّنيا، وصَدّ النّفس عن المَلذّات، إلا أنَّهنّ لا يَقتَنِعن بهذه العوائق، متحديات مصاعب الدُّنيا ماشيات في طريق الزّهد، من أجل تحقيق المطلب والغاية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

*** ثبت المصادر والمراجع :**

القرآن الكريم .

١- ابن الأثير، علي بن محمد، المثل السائر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٢- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج، تلبيس إبليس، دار ابن خلدون، الاسكندرية، ط١، ١٩٩٨م.

٣- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج، صفة الصفوة، تح: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ٢٠١٢ م .

٤- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله، روضة التعريق بالحب الشريف، تح: محمد الكتاني، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٠م.

٥- ابن المعتز، عبد الله، كتاب البديع، تح: اغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م.

٦- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

٧- ابن عربي، محي الدين محمد بن علي، الكوكب الدّري في مناقب ذي النون المصري، الرسائل، ط ١ ، دار الانتشار العربي ، بيروت، ٢٠٠٢م.

٨- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧.

٩- أبو ديب، كمال، جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.

١٠- أبو شريفة، عبد القادر ، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٨م.

١١- أدونيس، علي أحمد سعيد ، الصوفية والسريالية، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٢م.

١٢- الأصفهاني، نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء في طبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٩٣٨م.

١٣- الأطرقجي، واجدة، المرأة في أدب العصر العباسي، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١م.

١٤- أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر العربي، الأنجلو المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٥٢م.

١٥- بدوي، عبد الرحمن، شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٢م.

١٦- بلّعلي، آمنة، تحليل الخطاب الصوفي، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر، ٢٠٠٢م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٧- البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين ، الزهد الكبير، حققه وخرّج أحاديثه وفهرسه: عامر أحمد حيدر، ط١، دار الجنان-ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٧م.

١٨- الترمذي الحكيم، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، دار عبد الرحمن عميرة، الجيل، بيروت.

١٩- الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٩٩٦م.

٢٠- التنير، سليم، الشاعرات من النساء، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٨م.

٢١- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.

٢٢- الجرجاني، عبد القاه، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ١٩٩١م.

٢٣- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٤- الجرجاني،عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٥- الجوزيّة، ابن قيّم ، مدارج السّالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠١م.

٢٦- الجويني، مصطفى الصّاوي، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الأسكندرية، ١٩٨٥م.

٢٧- الجيوسي، سلمى، الاتجاهات والحركات في الشعر الغربي، دار صادر بيروت، د.ن.

٢٨- الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٠م.

٢٩- الحريفيش، شعيب بن عبد الله بن سعيد، الرّوض الفائق في المواعظ والرقائق، الطبعة ١،المطبعة العامرة الشرفية، ١٣٠٨هـ.

٣٠- حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، القاهرة، ط٧، ١٩٦٤م.

٣١- الحسون، محمد ، و مشكور، أم علي، أعلام النساء المؤمنات، ط٢، دار الأسوة، طهران ، ١٤٣١هـ .

٣٢- حلمي،مصطفى، ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ١٩٨٢م.

٣٣- حمدي، أيمن، قاموس المصطلحات الصوفي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٤- خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب في التراث الصوفي، دار غريب، القاهرة ، ١٩٨٠م.
٣٥- درنيقة، محمد أحمد ، معجم شعراء الحب الإلهي، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٠م.
٣٦- درنيقة، محمد أحمد، أعلام العابدات الزاهدات، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠م.
٣٧- الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥م.
٣٨- ربابعة، موسى، تشكيل الخطاب الشعري، دار جرير للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٦م.
٣٩- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، معين النعم ومبيد النقم، تح: محمد أبو العيون، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٥م.
٤٠- ستار، ناهضة، بنية السرد في القصص الصوفي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.
٤١- السُّلمي، أبي عبد الرحمن، ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، تح: محمود محمد الطناحي، ط١، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٩٣م .
٤٢- السيد، عزالدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٦م، ط٢.
٤٣- السيروان، عبد العزيز عزالدين، الصوفيون وأرباب الأحوال مواعظ وحكم وأقوال، تقديم: أحمد كفتارو، السيروان للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٥م .
٤٤- الشريشي، أبو العباس أحمد، شرح مقامات الحريري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م.
٤٥- شلق، علي، مراحل تطور النثر العربي في نماذجه، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٤م.
٤٦- صبح، علي، البناء الفني للصورة الأدبية، دار المعارف، القاهر، ١٩٧٦م.
٤٧- صلاح الدين، السير والسلوك إلى ملك الملوك، الخاني، دراسة وتحقيق : سعيد عبد الفتاح، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
٤٨- ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، الطبعة ٨، دار المعارف، القاهرة.
٤٩- ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، الطبعة ٢، دار المعارف، القاهرة.
٥٠- الطاهر، أحمد مكي، امرؤ القيس حياته وشعره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
٥١- الطّوسي، أبو نصر السّراج، اللُّمع، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي، دار الكتب الحديثة بمصر، والمثنى ببغداد، ١٩٦٠م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥٢- عاشور، فهد ناصر، التكرار في شعر محمود درويش، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م، ، ط١.
٥٣- العاملي، زينب بنت علي، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، تحقيق: منى محمد زياد الخراط، ط١، مكتبة التوبة، ومؤسسة الريان، الريان، ٢٠٠٠م.
٥٤- عباس، إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط٢، ١٩٩٢م.
٥٥- عبد الدايم، صابر، موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.
٥٦- عبد الرحمن، طه ، سؤال العمل بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠١٢م.
٥٧- عبد الرحمن، ممدوح ، المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.
٥٨- عبد، مهنا، معجم الشاعرات في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
٥٩- عتيق، عبد العزيز، علم العروض والقافية، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥م.
٦٠- عثمان، عبد الفتاح، شعر المرأة في العصر العباسي، دار غريب للطباعة والنشر،القاهرة، ٢٠٠٤ م.
٦١- العجم، رفيق ، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٩م.
٦٢- العطار، فريد، تذكرة الأولياء، مصحح: أحمد آرام. د.ت.
٦٣- عمر، فائز طه، النثر الصوفي دراسة تحليلية فنية، الطبعة ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ٢٠٠٤م.
٦٤- عون، فيصل بدير، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٣م.
٦٥- الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، ط١،بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.
٦٦- فؤاد، فاطمة، السماع عند صوفية الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٧م.
٦٧- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، راجعه واعتنى به: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٦٨- فيّود، بسيوني عبد الفتاح، دراسات بلاغية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٩- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفجي، بدون طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٠- القزويني، محمد عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.

٧١- القشيري، عبد الكريم هوزان، الرسالة القشيرية في علم التصوف، تح: معروف زريق، دار الخير، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

٧٢- القشيري، مسلم بن الحجاج ، المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل، تح: محمد فؤاد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٣- القصيري، فيصل صالح، بنية القصيدة في شعر عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٦م.

٧٤- القيرواني، ابن رشيق العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، منشورات (ELGA)، د.ط، ٢٠٠١م.

٧٥- القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد قرقزان، دار المعرفة، دمشق ، ١٩٩٤م.

٧٦- الكاشاني، عبد الرزاق ، معجم اصطلاحات الصوفية ، تحقيق: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

٧٧- كامل، مجدي، أحلى قصائد الصوفية، دار الكتاب العربي-وعربية للطباعة والنشر، ط١، مصر، ١٩٩٧م.

٧٨- كحالة، عمر رضا، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٩- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف، حققه وقدم له: محمود أمين النواوي، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٠م .

٨٠- المبرّد، أبو العباس محمد بن زيد، الكامل في اللّغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.

٨١- محمد بن عبد الرازق كرد، خطط الشام، ط٣، ١٩٨٣م.

٨٢- مختار، عطية، علم البيان وبلاغة التشبيه، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

٨٣- المقدسي، ابن قدامة، المتحابين في الله، تح: خيرالله شريف، ط١، دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،١٩٩١م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨٤- المكي، محمد بن علي عطية ،قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
٨٥- مندور، محمد، في الميزان الجديد، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة، ١٩٧٧م.
٨٦- النيسابوري، أبو القاسم الحسن، عقلاء المجانين، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٨٥م.
٨٧- هدارة، محمد مصطفى، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
٨٨- الهروي، عبد الله الأنصاري ، منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.
٨٩- هلال، محمد غنيمي، الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار المعارف، القاهرة، د.ن.
٩٠- هلال، محمد غنيمي، ليلى والمجنون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م.
٩١- اليافعي، عبد الله بن أسعد، روض الرياحين في حكايات الصالحين، وضع حواشيه: خليل عمران منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٠م.
٩٢- يونس، وضحى، القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦م.

الدوريات والمنشورات:

١- التصوف الاسلامي بين التأثر والتأثير، حوليات التراث مجلة علمية محكمة تعنى بالتراث، العدد ١٠ ، ٢٠١٠م، جامعة مستغانم – الجزائر.
٢- الحلبوني، خالد ، أدب المرأة في العصر العباسي وملامحه الفنية، مجلة جامعة دمشق، المجلد٢٦، العدد الثالث +الرابع، ٢٠١٠م.
٣- الدخيل، محمد، طقوس الحب في الشعر الصوفي ، مؤتمر فيلاديفيا الدولي الثالث عشر ،٢٠٠٨م.
٤- الشرع، فائز، التشفير بالتغاير في النص الصوفي ،٣٨٣. مجلة البحوث والدراسات الاسلامية تصدر عن الهيئة العلمية الاستشارية ، ديوان الوقف السني ، ع ٢٧ ، ٢٠١٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- عودة، أمين يوسف، الحب الإلهي ولوازمه في شعر النساء الصوفيات إلى نهاية القرن الثالث الهجري قراءة في الأدب النّسوي الصوفي، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد ٤، العدد ٢ ، ٢٠٠٨م.

٦- ناصف، مصطفى، محاورات النثر العربي، مجلة سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢١٨)، ١٩٩٧م.

٧- نهزمى، يوسف هادي بور، المرأة والخمرة رمزان في الشعر الصوفي، مجلة التراث الأدبي، السنة الثانية، العدد السادس، ١٣٨٩ هـ .

الرسائل الجامعية :

١- أدب الزهد في العصر العباسي، نشأته وتطوره وأشهر رجاله، أطروحة دكتوراه، متولي، عبد الستار ، ١٩٧٢ م.

٢- شعر الحب الإلهي في العصر العباسي-دراسة موضوعية فنية- أطروحة دكتوراه، القيسي، محمود شلال حسين ، الجامعة الإسلامية، بغداد، ٢٠١٠ م .

٣- المزيد، محمد، التشكيل الفني والموضوعي في شعر أبي دهبل الجمحي ، رسالة دكتوراه ، اليرموك ،٢٠١٢م.

***المصادر الألكترونية:**

١- أحمد صبحي منصور، التمهيد لكتاب التصوف والحياة الدينية في مصر المملوكية، ٢٠١٤، مقال من موقع أهل القرآن، http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=12638.

٢- أنور أحمد حسن : رابعة العدويّة في التراث الإسلامي ، دراسة نقديّة .http://tawaseen.com/?p=1884

٣- مصطفى فهمي: ما بين الحال والمقام-وجهة نظر صوفية، الموقع الفلسفي للدكتور مصطفى فهمي،نشريوم:٣يونيو ٢٠١٢، http://kenanaonline.com/users/Dr-mostafafahmy/posts/419690

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

" Sufi womens Literature of the Abbasid period

Athematic, Artistic study "

By: -Mohammed Ayyed Saleh

The supervision of Dr. Abdul Rahman Huwaidi

This is an attempt to study the literature of Sufi women in-depth at the Abbasid era. The study comes to investigate the subjective and artistic structure of their literature; in addition to investigate the impact of the religious restrain on their psyches. Moreover, to find out the reasons behind their high asceticism that led them away from the life and its delights. The study tackled the authentic old references as "Safwat AlSafwah" which is written by Ibn AlJawzi, "Thiker AlNeswa of Sufi women" for Abdul Rahman AlSalami, in addition to many other references and resources that talked about Sufi women heritage.

The study included four chapters, the first chapter presents the subjects and topics that Sufi women tackled in their poetry; and talked about their social positions in their communities and the general conditions in the Sufi women's poetry in addition to its religious worthiness inside them. While the second chapter talks about the Sufi women prose and its types in a theoretical and practical way. The researcher here studied the features, implications, dimensions, and knowledge of some incidental effects of Sufi prose.

On the other side, in chapter three the researcher tries to highlights the artistic characteristics that have been used, in the literature of Sufi women, furthermore the study stand on the theory and application, in addition to the extent that Sufi women engaged those artistic characteristics to show that dominant emotion and its impact on them.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

In the fourth chapter, the researcher presents all the collected texts of prose and poetry that were applied that concept by Sufi women in the Abbasid era.

Keywords: Abbasi Literature, Sufi Women, Feminist Poetry, Feminist Prose.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com